

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية أصول الدين

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

المسائل العقدية

في كتاب حجة الله البالغة " **لولي الله الدهلــوي**"

" عرض ودراسة "

بحث تكميلي لتسجيل درجة الماجستير الموازي – قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة-

إعداد الطالب :

طارق بن إبراهيم البهكلي

إشــــراف :

د / إسماعيل بن عبد المحسن قطب عبد الرحمن

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

للعام : ١٤٤٠ – ١٤٤١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ ، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١] ، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢] ، ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧١] ، أما بعد :

فإن أحسن الحديث كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثةٍ بدعة ، وكل بدعةٍ ضلالة ، وكل ضلالةٍ في النار .

وبعد ، فإن علم التوحيد أشرف العلوم وأفضلها ، وأرفعها مكانة ، إذ شرف العلم بشرف المعلوم ، ولا أشرف من توحيد الله تعالى ، ومعرفة ما يجب له من الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وإدراك حقوقه تعالى على عباده ، والالتزام بذلك علماً وعملاً ؛ فإن العبد كلما كان بهذا أعرف وله أتبع ، كان إلى ربه أقرب ، وبهذا تنال النجاة والفلاح ، والسعادة في الدنيا والآخرة .

ولما كان من فضل الله عليّ أن جعلني أحد طلاب الدراسات العليا بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة لمرحلة الماجستير ، اخترت الكتابة في موضوع (**المسائل العقدية في كتاب حجة الله البالغة لولي الله الدهلوي ،عرض ونقد في ضوء عقيدة السلف**) ، بعد استخارة الله تعالى ، ثم استشارة مشايخي الفضلاء الذين أشاروا علي بستجيله والكتابة فيه .

أسباب اختيار الموضوع :

١- أهمية دراسة الأعلام المشهورين وآرائهم الاعتقادية ، وعظم الفائدة المرجوة من ذلك ؛ فإن البحث في آراء هؤلاء الأعلام يفيد الباحث من حيث قراءته الكتب الكثيرة في الفنون المختلفة ، ودراسته لأغلب المسائل العقيدة من جهة ، ويفيد الباحثين من حيث جمع آراء هؤلاء الأعلام الاعتقادية المتناثرة في كتبهم ، وتمحيصها من جهة آخرى .

٢- مكانته العلمية: فهو من كبار أعلام المذهب الحنفي المتأخرين ، وله اليد الطولى في تأليف كثير من الكتب التي لا تزال معتمدة عندهم .

٣- كثرة مصنفاته وتنوع فنونها ، حيث زادت على الثلاث والخمسين كتاباً.

٤- أهمية دراسة آراء أشهر الفرق ، ونقدها وفق المنهج الصحيح منهج أهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح .

٥- أهمية دراسة المسائل الاعتقادية في كتاب حجة الله البالغة على الخصوص ويتجلى ذلك في أمور :

أ- كتاب " حجة الله البالغة " من الكتب التي حوت علوم الفقه ، والحديث ، والتفسير، والعقائد ، وأشراط الساعة...، وله منزلة كبيرة عند العلماء ، وهم يعدون هذا الكتاب مأثرة علمية قيمة ، يقول محمد رشيد رضا في معرض حديثه عن الدهلوي: " كان جامعاً بين العلوم النقلية والعقلية والفسلفة...، كما يُعلم من كتابه المشهور: حجة الله البالغة ؛ الذي وضعه لبيان مقاصد الشريعة وحكمها وأسرارها".

ب- والدهلوي قد مر بعدة أطوار عقدية وذلك لاضطراب كلامه في كتبه .

وهو في الإجمال وإن انتسب إلى الأشعرية في بعض كتاباته فقد قيد انتسابه في الفضل المبين بقوله :" ومختاره في العقيدة مذهب المتقدمين من الأشاعرة "[١] ، وذكر الشيخ ثناء الله المدني مفتي أهل الحديث في باكستان أن الدهلوي سلفي بالجملة.

وكان مدافعاً عن التوحيد وناشراً له ،كما في كتابه حجة الله البالغة ، وكان متأثراً بالصوفية شأن كثير من أهل وقته وبلده ، ويؤول لبعضهم ، بل له توسع في الروحانيات وعبارات تُستنكر وتُنتقد ، وعنده تفويضٌ وتأويل .

---

[١] انظر الفضل المبين في المسلسل من حديث النبي الأمين ﷺ ، الشاه ولي الله الدهلوي ،ص٦٣، دار الكتاب بيوبند ، الهند ،١٤١٨ هـ.

أهداف البحث :

١- بحث المسائل العقدية المتفرقة في كتاب (حجة الله البالغة) للدهلوي .
٢- مناقشتها على ضوء عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة .

الدراسات السابقة :

بعد البحث والاطلاع في مكتبة الملك فهد الوطنية ، وغيرها من المواقع الإلكترونية، وسؤال المختصين، فلم أطلع من خلال بحثي على رسالة علمية في نفس الموضوع الذي أريد دراسته إلا بعض الدراسات في تخصصات أخرى ومنها:

١- (الإمام الدهلوي منهجه في التفسير وآراؤه في مباحث من علوم القرآن) ، للباحث: خليل الرحمن سجاد ، بإشراف الدكتور: أحمد إبراهيم مهنا ، قدمها لنيل درجة الماجستير في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ، ١٤٠٢هـ.

فهذه الرسالة تتناول منهج الدهلوي في التفسير، وأما بحثي فيتناول المسائل العقدية في كتاب حجة الله البالغة للدهلوي، وبينهما فرقٌ ظاهر .

٢- (نظرية المقاصد عند الإمام الشاه ولي الله الدهلوي من خلال كتابه حجة الله البالغة). للباحث: محمد كرم الله محمد ، قدمها لنيل درجة الماجستير من جامعة أم درمان الإسلامية ، بإشراف الدكتور: التجاني أبو بكر علي ، ٢٠٠٦م .

تناول الباحث في دراسته جانباً من جوانب أصول الفقه، وهو علم المقاصد من خلال كتاب حجة الله البالغة للدهلوي ، فدراسة الباحث في أصول الفقه ، وأنا سأتناول في دراستي المسائل العقدية في كتاب حجة الله البالغة للدهلوي، وبين الدراستين فرق كبير ؛ إذ دراسة الباحث في أصول الفقه، ودراستي في تناول المسائل العقدية في الكتاب وبيان ما وافق فيه أهل السنة والجماعة ، ومناقشته فيما خالفهم فيه .

٣- (الدهلوي وآراؤه الكلامية والفلسفية) للباحثة : وفاء العَمْرى ، وقد قدمتها لنيل درجة الماجستير من جامعة المنيا ،كلية دار العلوم ، بإشراف الأستاذ دكتور: السيد محمد سيد ، والأستاذ دكتور: محفوظ عزام ، ١٤٢٨ هـ.

تكلمت المؤلفة عن آراء الدهلوي الكلامية والفلسفية ،وكان الكلام في مسائل متعددة منها الأسماء والصفات ومسألة خلق أفعال العباد والتحسين والتقبيح والمسائل الفلسفية والمصطلحات الصوفية، واصلاح الدهلوي ، لكن الرسالة لم تقم على معتقد أهل السنة والجماعة ، وغالباً ما تنسب الباحثة المتكلمين لأهل السنة ، و نادراً ما تذكر الباحثة قول أهل السنة، ولم تتكلم عن كل المسائل التي سأبحثها في كتاب الحجة مثل : مسألة وزن الأعمال ، والرؤى ، والإسراء والمعراج ، والكلام عن الصحابة رضي الله عنهم ، ولم تتوسع في مسائل التوحيد ، ولم تتكلم عن عذاب القبر ، ولم تنقد الباحثة بعض تأويلات الدهلوي وألفاظه التي خالف فيها معتقد السلف الصالح ، ولم تتوسع في باب توحيد الألوهية ، والأسماء والصفات .

٤- جهود الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ"الشاه المحدث ولي الله الدهلوي" في نشر عقيدة السلف رسالة ماجستير للباحثة : منى محمد البطش ، إشراف الدكتور: جابر زايد المسيري ، الجامعة الإسلامية بغزة ، كلية أصول الدين ، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، ٢٠١٤م .

تكلمت فيها الباحثة عن ولي الله الدهلوي وسيرته وعقيدته وجهوده في نشر بعض عقيدة السلف ولم تتعرض إلى كثير من المسائل التي سوف اذكرها .

منهج البحث :

سأتبع المنهج الاستقرائي والتحليلي والنقدي ، وذلك بتتبع المسائل العقدية ، ثم أقوم بتحليلها ، ونقدها على ضوء عقيدة السلف الصالح .

- **ويمكن تلخيص منهجي في البحث كالآتي:**

فيما يتعلق بعرض المادة العلمية:

- أعتمد في عرض المادة العلمية على استقراء كتاب حجة الله البالغة ، ومن ثم أقوم بفرز المسائل العقدية فيه ، ومِنَّ ثَمَّ انقدها على ضوء الكتاب والسنة .
- أرتب المسائل حسب الخطة .

ما يتعلق بكتابة البحث وتوثيقه:

- أعزو الآيات إلى سورها ، وأذكر رقم الآية فيها ، وأجعل ذلك في صلب البحث.
- أخرج الأحاديث التي ورد ذكرها في البحث ، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك ، وإن كانت في غيرهما خرجته من المصادر مبيناً حكم الأئمة عليها.
- أوثق النقول التي أذكرها من مصادرها.
- أترجم للأعلام المذكورين في البحث من غير الصحابة ﷺ .
- أضع فهارس للآيات ، والأحاديث ، والآثار ، والأعلام المترجم لهم ، والمصادر والمراجع ، والمحتويات.
- في الحاشية أذكر اسم الكتاب ، ثم المؤلف ، ثم المترجم أو المحقق – إن وجد – ، ثم دار الطبع ، ثم رقم الطبعة ، ثم التاريخ.
- عند تكرار الكتاب في الحاشية ، اكتفي بذكر اسم الكتاب فقط ، ورقم الصفحة.

خطة البحث :

تتكون خطة البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة

المقدمة وفيها :

أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره والدراسات السابقة وخطة البحث ومنهج إعداده.

التمهيد وفيه :

- ترجمة الشيخ شاه ولي الله الدهلوي.

- عقيدة الشيخ الدهلوي .

الفصل الأول : المسائل العقدية المتعقلة بالإيمان بالله – تعالى –:

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : توحيد الربوبية.

المطلب الأول : تعريفه .

المطلب الثاني : أنواع الشرك في الربوبية .

المطلب الثالث : الخلاف مع المتكلمين فيه .

المطلب الرابع : نسبة الوقائع إلى الدهر والرد على القائلين به .

المبحث الثاني : توحيد الألوهية.

المطلب الأول : تعريفه .

المطلب الثاني : أنواع الشرك في الألوهية .

المطلب الثالث :التوسل وأقسامه والغلو في الصالحين .

المطلب الرابع : النذر وأقسامه .

المبحث الثالث :توحيد الأسماء والصفات.

المطلب الأول : تعريفه .

المطلب الثاني : أنواع الانحراف فيه .

المطلب الثالث : حدوث الصفات .

المطلب الرابع : التفويض .

المطلب الخامس : الاستواء .

المطلب السادس : الرؤية .

المطلب السابع : النزول.

المطلب الثامن : الكلام عن لفظ الجسم .

المطلب التاسع : صفة الحياة والإرادة والكلام .

المطلب العاشر : التأويل .

الفصل الثاني :المسائل المتعلقة ببقية أركان الإيمان :

المبحث الأول : الإيمان بالملائكة عليهم السلام.

المطلب الأول : التعريف بهم عند أهل السنة والجماعة وذكر صفاتهم .

هذا وأحمد الله جل وعلا على ما منَّ به علي من إتمام هذا البحث ، وأشكر له فضله وإنعامه ، فله الحمد أولاً وآخراً ، وأسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، ومباركاً فيه ، وأن يعفو عما وقع لي فيه من خطأ أو تقصير ، وأن يوفقني للسداد ويهديني سبل الرشاد .

وأشكر بعد شكر الله تعالى والداي الكريمين على حسن تربيتهما وكريم عنايتهما ، ثم لزوجتي المباركة التي كانت ولا زالت نعم المعين على الدراسة والبحث .

كما أشكر فضيلة الشيخ الدكتور : إسماعيل بن عبد المحسن قطب عبد الرحمن ، الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، الذي أشرف على هذا البحث ، ولم يدخر جهداً في توجيهه وتصويبه ، فأعلى الله درجته ، ووفقه في دينه ودنياه وبارك له في علمه وعمله وعمره .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

التمهيد :

ترجمة الشيخ شاه ولي الله الدهلوي :

شاه ولي الله الدهلوي هو : أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الهندي ، أبو عبد العزيز، فقيه حنفي من المحدثين ، من أهل دهلي بالهند ، ولد سنة ١١١٠ هـ ، ويعود نسبه إلى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ كما يحكي ذلك عن نفسه رحمه الله ، وقد زار الحجاز سنة ١١٤٣هـ.

ولقبه قطب الدين ولقب بذلك بسبب الشيخ قطب الدين بختيار الأوشي ؛ الذي رأى رؤيا صالحة في الشيخ عبد الرحيم ، وقد رأى أنه يولد له ولد صالح ، فرغب والد الدهلوي إذا تحققت الرؤيا أن يسمي ابنه باسمه ، فلما ولد المولود وتحققت الرؤيا ، لقب بهذا اللقب ، وكانت ولادته يوم الأربعاء ١٤ شوال سنه ١١١٤ للهجرة ، ببلدة دلهي ، وتوفي بها رحمه الله في شهر الله المحرم سنه ست وسبعين ومائه وألف ودفن عند والده خارج البلدة وله ٦٢ سنة ، وشهرته التي اشتهر بها شاه ولي الله ، وشاه كلمة فارسية معناها الملك يلقب بها الملوك والمشايخ هناك .

وأبوه الشيخ عبد الرحيم وهو من وجوه مشايخ دلهي ومن أعيانهم ومن العلماء الذين راجعوا الفتاوى الهندية العلماكيرية المشهورة ، وكان من علماء بلده ومن المتصوفة المعروفين . [1]

---

[1] حجه الله البالغة لولي الله الدهلوي ، مقدمة المحقق ص١١ وما بعدها ، تحقيق سيد سابق ، دار الجيل ، بيروت ، ط: ١، ١٤٢٦هـ ، وانظر جهود شاه ولي الله الدهلوي في نشر عقيدة السلف لمنى محمد عبد الوهاب البطش الجامعة الإسلامية ، غزة ،كلية أصول الدين ، ١٤٣٥هـ، وانظر رجال الدعوة والفكر (ولي الله الدهلوي) ، لأبي الحسن علي الحسني الندوي ، ص١٣٣ ، دار القلم ، الكويت ، ط: ١ ، ١٤٠٥هـ.

دراسة الدهلوي :

يمكن تقسيم مراحل دراسه الشيخ ولي الله إلى ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : وقد حفظ فيها القران الكريم وسنه لم يتجاوز السابعة .

المرحلة الثانية : وفيها درس على والده علوم زمانه وهي اللغة والتفسير والحديث والفقه والأصول والتصوف والعقائد والمنطق والطب والفلسفة والحساب وأتم ذلك وسنه خمسة عشر سنة ، وحينما توفي أبوه سنه ١١٣١هـ ، قام بالتدريس بمدرسة أبيه الرحيمية ، واستمر في التفوق ، فوفد عليه الطلاب من كل ناحية.

المرحلة الثالثة : وهذه المرحلة لم تتجاوز العامين فقد رحل إلى الحجاز سنة ١١٤٣هـ ، وعاد منها إلى الهند سنة ١١٤٥هـ ، وفي خلال هذين العامين بالحرمين الشريفين صحب العلماء هناك ، وتتلمذ على كبار شيوخ مدرسة الحديث ، وغيره من العلوم ، كما أدى فريضة الحج ، وقد تأثر في هذه الرحلة بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، وكان لهذه الرحلة أعظم الأثر عليه ، وبعد عودته استأنف حياة الجهاد ، فأخذ ينشر علمه على الناس ، واشتغل في وظيفه التدريس والتأليف في بيت أبيه أولاً ، فلما كثر طلابه ، واشتهر أمره أعطاه السلطان محمد شاه بناءً كبيراً للمدرسة وافتتحها بنفسه ، واشتهرت بدار العلوم فخرج علماء ممتازين على غراره في العلم والبحث.[1]

---

[1] المصدر السابق .

شيوخه :

١- أبوه عبدالرحيم الذي كان عالماً بالحديث ، وحافظاً لكثير من الأحاديث الصحيحة ، وعالم بالفقه ، وهو ممن قام بمراجعة الفتاوى العلماكيرية المشهورة ، وهو الذي أنشأ المدرسة الرحيمية التي خلفها فيها ابنه ولي الله .[1]

٢- أمام الحديث في زمانه محمد أفضل السيالكوتي .[2]

٣- أبو طاهر محمد بن ابراهيم الكردي الذي لقيه في المدينة النبوية الذي أجازه وأخذ عنه جميع البخاري وشيئاً من مسلم وجامع الترمذي وغيره .

٤- الشيخ المحدث وفد الله ابن الشيخ محمد بن محمد بن سليمان المغربي المالكي قرآ عليه الموطأ وأجازه بمرويات أبيه الشيخ محمد المغربي .

٥- الشيخ المحدث تاج الدين القلعي ابن القاضي عبد المحسن وكان مفتياً بمكة المكرمة حضر الشاه ولي الله مجلسه لمدة ثلاثة أيام وأجازه برواية الحديث بقلمه ولم يكتف له بالإجازة الشفوية .

٦- الشيخ عمر بن أحمد بن عقيل وهو ابن بنت الشيخ المحدث عبد الله سالم البصري.

٧- الشيخ المحدث عبد الرحمن بن أحمد بن محمد النخلي .[3]

أبناؤه :

كان لأبناء الشيخ ولي الله دور أساسي في حركة الإصلاح والتجديد في الهند ، فهم أهل بيت علم ، وأبناء لداعية مجتهد مصلح ، وهم من الأكبر إلى الأصغر على النحو التالي :

---

[1] انظر الامام المجدد المحدث ولي الله الدهلوي ص ٢٢وما بعدها .

[2] المصدر السابق ص٢٧ .

[3] انظر المصدر السابق ص٢٨ وما بعدها .

١- الشاه محمد بن أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي توفي سنة ١٢٠٨هـ .

٢- **الشاه عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي (١١٥٩هـ - ١٢٣٩هـ)** ، توفي والده وهو ابن سبعة عشر عاماً ، فكان خليفته ووارث علمه وفضله وكان داعياً إلى التوحيد مدافعاً عنه ، عارفاً به وناشراً له على غرار أبيه وأخوانه ، وكان من كبار المحدثين والفقهاء ، وله مؤلفات نفسية منها :

تفسير القرآن الكريم المسمى بـ"فتح العزيز"وله كتاب التحفة الاثنى عشرية الذي أًصبح مرجعاً فيما بعد للرد على الشيعة .[١]

٣- **ابنه الشاه رفيع الدين (١١٦٣هـ -١٢٣٣هـ)** تولى التدريس بعد أخيه الشاه عبدالعزيز حين كف بصره وأصابته الأمراض عرف بنبوغه في العلوم ، له مؤلفات عديدة من أهمها :

ترجمة القرآن الكريم للغة الأردية التي نالت قبولاً واسعاً .

٤- **ابنه الشاه عبد القادر (١١٦٧هـ - ١٢٣٠هـ)** عرف بالحلم والتواضع والصلاح والحرص على اتباع السنة ، اشتغل بالتدريس والارشاد فانتفع به خلق كثير ، له ترجمة للقرآن مسماة بموضح القرآن ، مع حواش موجزة .

٥- **ابنه الشاه عبد الغني (ت ١٢٠٣هـ)** نال حظاً وافراً من العلم ورزقه الله بمولود كان من المصلحين المجاهدين وهو محمد بن اسماعيل الشهيد .

---

[١] انظر المصدر السابق ص٤٩ .

تلاميذه :

١- **ابن خاله الشيخ محمد عاشق الفلتي** ، كان الملازم للشيخ ورحل معه إلى الحجاز فاستفاد منه ودرس بعده وتلقى عنه خلق كثير في مقدمتهم ابن ولي الله عبدالعزيز الدهلوي ، والفلتي هو من أِشار على ولي الله بتأليف كتاب حجة الله البالغة ، له مؤلفات منها سبيل الرشاد ، وشرح دعاء الاعتصام .

٢- **الشيخ الخواجه محمد أمين الكشميري الدهلوي** ،كان من أجلة أصحاب الدهلوي .

٣- **الشيخ مخدوم محمد معين السندي التتوي** ، له مؤلفات منها دراسات اللبيب في الأسوة الحسنة بالحبيب ﷺ ، وقد وجه له الشاه بعض رسائله .

٤- الشيخ ابراهيم آفندي المكي الكتبي .

٥- **الشيخ نور الله الصديقي البرهانوي** ، وكان معه في الرحلة الحجازية .

٦- **الشيخ نور الله الصديقي البرهانوي (ت١١٨٨هـ)** وهو من أجلة أصحابه ، وكان معه في الرحلة الحجازية .

٧- **الشيخ ثناء الله الباني بتي** صاحب التفسير المظهري وكان يلقب ببيهقي الزمان .[1]

[1] انظر الامام المجدد المحدث ولي الله ، للسيالكوتي ص٥١ وما بعدها .

الهند في القرن الثاني عشر :

كان عصر ولي الله الدهلوي عصر انحطاط للدولة المغولية الاسلامية في الهند ، في وسط مجتمع مليء بالبدعيات والشركيات والطرق والأفكار الهدامة المأخوذة من الديانات التي تمتلئ بها الهند ، وقد تأثر بذلك كثير من المسلمين هناك كما هو معلوم ، يقول أبو الحسن الندوي :"قد كانت البدع والمحدثات وكثير من تقاليد الهنادك والشيعة وعاداتهم تسيطر على المجتمع المسلم ...وكانت توجد للشرك الجلي في كثير من المواضع والأوساط صور وأشكال لا يمكن أن تعلل تعليلاً علمياً ، فمن عبادة القبور ، وسجدة التحية للمشايخ ، وتقديس الأماكن الخاصة للزيارة كتقديس الحرم ووضع الكسوة على القبور والنذور والقرابين ، والذبح بأسماء الأولياء والمشايخ ، والطواف بالقبور والأماكن المقدسة المزورة ، والاحتفال وإقامة الأعياد بها ...كانت منتشرة في كل مكان..وبالجملة فإن الهند في القرن الثاني عشر الهجري كانت قد تردت من الناحية السياسية والإدارية ، والخلقية والاجتماعية ، والإعتقادية إلى حد كبير في الحضيض ، ووصلت إلى آخر نقطة من الانحطاط والانهيار .." [1]

---

[1] رجال الفكر والدعوة (الإمام الدهلوي) ، لأبي الحسن الندوي ، ص٣٧ ، ص ٥٥-٥٧.

عقيدة الدهلوي :

نشأ الإمام الدهلوي نشأةً صوفيةً وتلقن أشغال الصوفية ، وأتقن طرقها الأربعة المعروفة في بلاده ، حتى إن والده كان من كبار الصوفية ، فكان متأثراً بهم ، وكان يستعمل رموز الصوفية وإشاراتهم في مؤلفاته ، وقد قال عن نفسه:"ولبست الخرقة الصوفية ، من الشيخ أبي طاهر المدني[١] ولعلها الحاوية لخرق الصوفية كلها " [٢] ، وقال عن نفسه في كتاب الفضل المبين أنه على عقيدة متقدمي الأشاعرة [٣]، لكن كان في جملة زيارة الإمام الدهلوي للحرمين واطلاعه على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم عظيم الأثر عليه بعد ذلك .

وله كتاب دافع فيه عن الإمام ابن تيمية وقد أُعْجب الدهلوي بسعة اطلاع شيخ الإسلام ابن تيمية ، وحسن بيانه واستقامة سيرته في نصر عقيدة السلف ، وقوة حجته في إنكار البدع والرد على الملحدين ، ومما يدل على إعجابه به أنه في رسالة البلاغ المبين ذكر اسمه ومنزلته مراراً وتكراراً ، وليس ذلك فحسب بل دافع عنه وفند بعض الشبه التي أثيرت حوله ، وفندها تفنيداً علمياً فأحسن الدفاع عنه ، كل ذلك في رسالة أرسلها إلى أحد الطلاب[٤] السائلين عن حال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

كما أنكر الدهلوي وجود الغوث ، والقطب ، والخضر ، والمهدي الذي تدعيه الشيعة [٥]، فوقف الدهلوي من التصوف موقفاً مغايراً ، ورد وأنكر كثيراً من أمورهم ، ووقف موقفاً مبنياً على معرفته

---

[١] أبو طاهر محمد بن ابراهيم الكردي (ت١١٥٤هـ) أشهر مشايخ الشاه ولي الله الذين أخذ عنهم الحديث توفي الشيخ أبو طاهر بالمدينة ، انظر الفضل المبين في المسلسل من أحاديث النبي الأمين ﷺ ، لولي الله الدهلوي ، ص٦٥ ، علق عليه : محمد عاشق البرني الهندي ، دار الكتاب ، ديوبند ، ١٤١٨هـ

[٢] الفضل المبين ص ٦٥ ، رجال الفكر والدعوة (ولي الله الدهلوي) ص ٩١.

[٣] انظر الفضل المبين ص ٦٤.

[٤] هو محمد معين السندي توفي في المدينة ١١٦١هـ ، وهو صاحب كتاب : دراسات اللبيب في الأسوة الحسنة بالحبيب ﷺ ، انظر جهود الامام الدهلوي منى البطش ص٩٨.

[٥] انظر رسالة في مناقب ابن تيمية والدفاع عنه لولي الله الدهلوي نقلاً عن جهود ولي الله الدهلوي لمنى بطش ص ١١٥ .

التامة بحال الصوفية وأفكارهم ؛ لأنه كان واحداً منهم ، وقد ندد الدهلوي بالصوفية وخرافاتهم ودعاهم إلى التمسك بالكتاب والسنة.[1]

ودعا الشاه ولي الله الدهلوي إلى إصلاح التصوف وتخليصه من الشوائب التي لحقت به من الأفكار والفلسفات اليونانية ، حيث دعا إلى :

١- التمسك بالقرآن والسنة في العقيدة والعمل :

دعا الإمام الدعلوي كل مسلم ومسلمة إلى اتباع القرآن الكريم والسنة النبوية في العقيدة والعمل فهما الميزان لمعرفة الخير والشر ، وحذر من اتباع التأويلات البعيدة عنهما والتي لا إٍاس لها ، بل ابتدعها المتكلفون من الصوفية والمتكلمون ، فوقعوا في التحريف ، وصرف الآيات عن مراد الله تعالى ، فبذل الإمام جهده لإصلاح التصوف ، وإزالة انحرافاته الفكرية والعلمية .

٢- التحذير من الانخداع بالصوفية الجهال:

فحذر الناس من الانخداع بمشايخ الطرق الصوفية ، وعدم تصديق الكرامات المنسوبة إليهم ، فهم يخدعون الناس بالطلاسم وغيرها التي لا دخل لها في صلاح أحد أو قربه من الله ، حيث قال واعظاً للناس:"- وعلى الناس أن - لا يضعوا أيديهم في مشايخ اليوم ولا يبايعوهم ، ولا يغتروا بغلوا عامة الناس بحبهم ، ولا بالكرامات المنسوبة إليهم فإن ذلك أمر يتوارثونه ، ولا أساس له ، ولا عبرة به .."[2]

---

[1] انظر جهود الإمام الدهلوي ص٢١٠ -٢١١ ، ٢٥٤وما بعدها ، وفيه نقد الدهلوي إجمالاً. وانظر فصل التصوف .

[2] المقالة الوضية في النصحية والوصية ، ص١٠ نقلاً عن جهود الدهلوي لمنى بطش ص ٢١٢ .

٣- الدعوة إلى تطهير المجتمع من داء التصوف :

منهج الدهلوي ودعوته أساسها التمسك بالقرآن والسنة إجمالاً لذلك نجده يكرر في كثير من المواطن ذكر أهل التصوف ويدعوهم إلى الاكتفاء بما ورد من القرآن والسنة من الإحسان والإخلاص في العقيدة والعمل ويرى بوجوب تطهير المجتمع من التصوف ومفاسده وخزعبلاته .[١]

وفي هذا رد على من نسبه إلى الصوفية نسبة كاملة في كل مراحل حياته .

يقول الشيخ عبدالرحمن الفريوائي :" اختلفت آراء علماء الهند في مذهب الشاه ولي الله فيجره الحنفية إلى الحنفية ، ويجره السلفية إلى السلفية ، ولكن الأولى والأحسن أن ننظر إلى ما صرح هو بنفسه في مذهبه في كتابه الجزء اللطيف فهو يقول :" وبعد دراسة فاحصة لكتب المذاهب الأربعة وكتب أصول الفقه ، والأحاديث التي يتمسكون بها ، أستقر في القلب بتوفيق من الله وهدايته طريق الفقهاء المحدثين "[٢].

ومع هذه الصراحة وتلك الوصية والأقوال لا يرى من البأس انتسابه إلى الحنفية والقيام ببعض الأعمال التي هي طريقة عامة الأحناف اقتضاءً لأحوال العصر وخطورة الموقف وخشية من فتنة المقلدة الجامدين على المذهب لئلا ينفروا من دعوته الإصلاحية وهذا كان من حكمته وتدبره .."[٣]

ويقول :" ولا يهمنا ما كتب وألف في أول عصره في باب التصوف والسلوك فلا نعتمد على هذه الكتابات ، وإنما يعنينا ما قام به من خدمة الكتاب والسنة ، ولذا نقول نحن نعرف الإمام الدهلوي المحدث المجتهد الداعي إلى حرية الفكر لا الصوفي المقلد الشغوف بأعمال التصوف .."[٤]

---

[١] الشاه ولي الله الدهلوي ، حياته ودعوته ، محمد بشير السيالكوتي ،ص ١١٧-١١٨ ، دار ابن حزم ، الرياض . ط:١ ، ١٤٢٠هـ.

[٢] التفهيمات الإلهية نقلاً بواسطة جهود مخلصة في خدمة السنة النبوية ص٥٢، للدكتور عبدالرحمن الفريوائي ، إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والافتاء ، بنارس – الهند ، ط:١ ، ١٤١٦هـ.

[٣] المصدر السابق.

[٤] المصدر السابق ص٤٩ .

ويقول الدهلوي :"اعلم أنه لا سبيل لنا إلى معرفة الشرائع والأحكام إلا خبر النبي ﷺ بخلاف المصالح، فإنها قد تدرك بالتجربة والنظر الصادق والحدس ونحو ذلك، ولا سبيل لنا إلى معرفة أخباره ﷺ إلا بتلقي الروايات المنتهية إليه بالاتصال والعنعنة ، سواءً كانت من لفظه ﷺ ، أو كانت أحاديث موقوفة قد صحت الرواية بها عن جماعة من الصحابة والتابعين بحيث يبعد إقدامهم على الجزم بمثله لولا النص أو الاشارة من الشارع، فمثل ذلك رواية عنه ﷺ دلالة، وتلقي تلك الروايات لا سبيل إليه في يومنا هذا إلا بتتبع الكتب المدونة في علم الحديث ، فإنه لا يوجد اليوم رواية يعتمد عليها غير مدونة ، وكتب الحديث على طبقات مختلفة ، ومنازل متباينة ، فوجب الاعتناء بمعرفة طبقات كتب الحديث."[1]

وهذا مقال بليغ فيه رد على الصوفية الذي يقولون بالكشف ولو جاء ببدعة جديدة في الدين.

ومما قال الدهلوي عن عقيدته أيضاً :"وها أنا أبرئ من كل مقالةٍ صدرت مخالفةً لآيةٍ من كتاب الله ، أو سنةٍ قائمةٍ عن رسول الله ﷺ ، أو إجماع القرون المشهود لها بالخير ، أو ما اختاره جمهور المجتهدين ومعظم سواد المسلمين فإن وقع شيء من ذلك فإنه خطأ ،رحم الله من أيقظنا من سِنتنا ،أو نبهنا عن غفلتنا "[2].

ويقول مؤكداً :" أقول الفرقة الناجية هم الآخذون في العقيدة والعمل جميعاً بما ظهر من الكتاب والسنة ، وجرى عليه جمهور الصحابة والتابعين ، وإن اختلفوا فيما بينهم فيما لم يشتهر فيه نص، ولا ظهر من الصحابة اتفاقٌ عليه استدلالاً منهم ببعض ما هنالك ، أو تفسيراً لمجمله، وغير الناجية كل فرقة انتحلت عقيدةً خلاف عقيدة السلف ، أو عملاً دون أعمالهم."[3]

[1] حجة الله البالغة ٣٠٣-٣٠٤ .

[2] المصدر السابق ٢٩/١ .

[3] المصدر السابق ٣٨٥/١.

ومن المآخذ عليه رحمه الله :

١- استعماله رموز الصوفية وإشاراتهم في مؤلفاته ، ولا شك أن هذا الامتزاج قلل من قيمة بعض مؤلفاته ، وجعلها عرضة لتأويل المبطلين حتى أن بعض الصوفية نسبوا أنفسهم له ، وجعلوه قطباً من أقطابهم .

٢- موافقة المرجئة في اثبات الإيمان بمجرد التصديق .

٣- التفويض والتأويل لبعض النصوص ، ومن ذلك قوله "ولا يصح عليه الحركة والانتقال والتبديل في ذاته ولا صفاته "[١]،

٤- نفي حدوث الذات أو الصفات ، وسلك هنا منهج المتكلمين الذين أردوا بذلك نفي الصفات الاختيارية مثل المحبة والرضا عن الله ﷻ .

٥- الكتابة في القدر عنده بمعنى الإيجاب والتعين ، وجعل القضاء الصورة المخلوقة في عالم يقال له عالم المثال .

٦- وفي مسألة خلق أفعال العباد وافق الأشاعرة بالقول بالكسب .

٧- موافقته للأشاعرة في القول بأن الأسباب تنسب إلى المسببات مجازاً وأن العلاقة بين الأسباب ومسبباتها علاقة اقتران ولا يشترط لوجود المسبب وجود السبب .

٨- مساوته بين شيخ الإسلام ابن تيمية وابن عربي الزنديق الوجودي وهذا خلط كبير .[٢]

وسبب مخالفة الدهلوي للسلف في مسائل العقيدة هذه:

بُعد الهند عن المنبع الصافي للعقيدة ، و وقلة الكتب المتعلقة بالعقيدة السليمة بالهند في عهده، وانتشار التصوف والتشيع والفلسفة وعلم الكلام .

---

[١] رسالة العقيدة الحسنة ص٢، نقلا عن جهود ولي الله الدهلوي لمنى البطش ص٥٥ وما بعدها .

[٢] انظر جهود الدهلوي في نشر عقيدة السلف ، لمنى بطش ، ص ٢٥٦ وما بعدها .

ولا ننسى جهوده رحمه الله التي تذكر وتشكر ومن ذلك: نشر عقيدة التوحيد وعلوم القرآن ، والسنة ، ومحاربة بعض أمور التصوف.[1]

مكانته العلمية :

قال عنه صاحب فهرس الفهارس:"أحيا الله به وبأولاده وأولاد بنته وتلاميذهم الحديث والسنة بالهند بعد موته ، وعلى كتبه وأسانيده المدار في تلك الديار" .[2]

وقال صديق حسن القنوجي[3] في كتاب الحطة بذكر الصحاح الستة في ذكر من جاء بعلم الحديث في الهند:" ثم جاء الله – ﷻ- من بعدهم بالشيخ الأجل والمحدث الأكمل ناطق هذه الدورة وحكيمها وفائق تلك الطبقة وزعيمها الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي المتوفي سنة ست وسبعين ومائة وألف وكذا بأولاده الأمجاد ، وأولاد أولاده أولي الإرشاد ، المشمرين هذا العلم عن ساق الجد والاجتهاد ، فعاد لهم علم الحديث غضاً طرياً بعد ما كان شيئاً فرياً ، وقد نفع الله بهم وبعلومهم كثيراً من عباده المؤمنين ، ونفى بسعيهم المشكور من فتن الإشراك والبدع ومحدثات الأمور في الدين ما ليس يخفى على أحد من العالمين ، فهؤلاء الكرام قد رجحوا علم السنة على غيرها من العلوم وجعلوا الفقه كالتابع له والمحكوم ، وجاء تحديثهم حيث يرتضيه أهل الرواية ويبغيه

---

[1] انظر جهود الدهلوي في نشر عقيدة السلف ، لمنى بطش ، ص ٢٥٦ وما بعدها .

[2] انظر الأعلام ، لخير الدين الزركلي الدمشقي ، ١٤٩/١ ، دار العلم للملايين ، ط : ١٥ ، ٢٠٠٢ م .

[3] صديق حسن خان (١٢٤٨ - ١٣٠٧ هـ) أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي ، من رجال النهضة الإسلامية المجددين. ولد ونشأ في قنوج (بالهند) وتعلم في دهلي ، وتزوج بملكة بهوبال، ولقب بنواب عالي الجاه أمير الملك بهادر ، له نيف وستون مصنفا بالعربية والفارسية والهندسية ، منها بالعربية : "حسن الأسوة في ما ثبت عن الله تعالى ورسوله ﷺ في النسوة" ، و"أبجد العلوم" ، انظر الأعلام للزركلي ١٦٨/٦ .

أصحاب الدراية ، شهدت بذلك كتبهم وفتاويهم ، ونطقت به زبرهم ووصاياهم ، ومن يرتاب في ذلك فليرجع إلى ما هنالك "[1]

وقد حكي عن المفتي عنايت أحمد الكاكوري[2] أنه كان يقول:"إن الشيخ ولي الله مثله كمثل شجرة طوبى أصلها في بيته ، وفرعها في كل بيت من بيوت المسلمين، فما من بيت ولا مكان من بيوت المسلمين وأمكنتهم إلا وفيه فرعٌ من تلك الشجرة ، لا يعرف غالب الناس أين أصلها."[3]

أبرز جهوده :

١- إصلاح العقيدة وذلك بالعودة إلى القرآن الكريم و السنة المطهرة وعلومهما ، والحث على التمسك بهما.

٢- بيان توحيد العبادة والتحذير من الشرك وأهله ، وهذا ظاهر في كل كتبه .

٣- إبراز الشرع الإسلامي على أديان زمانه ، وانحرافات قومه ؛ ببيان مقاصد الشريعة الغراء وذلك من خلال كتابه حجة الله البالغة .

٤- الحث على الرجوع إلى كتاب الله تعالى وقد قام بعمل ترجمة تفسيرية للقرآن باللغة الفارسية اسماه فتح الرحمن .

٥- الدفاع عن السنة المطهرة ونشرها ،والاهتمام بالأسانيد والإجازات ، والقيام بالحلقات ، وإعداد الطلاب لذلك ، والتوفيق بين الفقه والحديث والتحذير من التقليد الأعمى.

٦- الذب عن الصحابة الكرام وعلى رأسهم الخلفاء الراشدين ﷺ ، خصوصاً مع انتشار مذهب الرافضة في البلاد الهندية في عهده.

---

[1] الحطة في ذكر الصحاح الستة ، لأبو الطيب محمد صديق خان الحسيني البخاري القِنَّوجي ، ص١٤٥ ، دار الكتب التعليمية ، بيروت ، ط: ١ ، ١٤٠٥هـ .

[2] كان مفتياً ومن تلاميذ الشاه محمد إسحاق الدهلوي ، انظر مقدمة الفضل المبين ص٨ .

[3] المصدر السابق ٨٦٠/٦ .

٧- مقاومة فتنة التشيع والرفض وبعض شطحات الصوفية .

٨- خاطب الدهلوي ملوك زمانه ووزرائهم بالنصح والتوجيه وجمع كلمة المسلمين.

٩- دعا إلى إحياء الجهاد في سبيل الله ، ومقاومة أكبر خطرٍ وأعظم تحدٍ لحرية المسلمين وسلطتهم الإسلامية في الهند من الهندوس وغيرهم .

١٠- خرج جيل من العلماء المصلحين ، وعلى رأسهم أبناؤه . [١]

مؤلفاته :

١) الأربعين (عربي).

٢) الإرشاد الى مهمات علم الإسناد (عربي).

٣) إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء (عربي وفارسي).

٤) أطيب النغم في مدح سيد العرب والعجم – ﷺ - (عربي).

٥) ألطاف القدس (فارسي) .

٦) الإمداد في مآثر الأجداد (فارسي).

٧) الانتباه في سلاسل أولياء الله (فارسي).

٨) آنسان العين في مشايخ الحرمين (فارسي).

٩) الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف (عربي).

١٠) أنفاس العارفين (فارسي).

١١) البدور البازغة (عربي).

---

[١] انظر رجال الفكر والدعوة الجزء الرابع (ولي الله الدهلوي) لأبي الحسن علي الحسيني الندوي ،١٠٥ وما بعدها ، ص١١٣ ، ١٣٩ ، ٢٣٤ – ٢٤٠ ، ٢٧٣.

١٢) بوارق الولاية (فارسي).

١٣) تأويل الأحاديث (عربي).

١٤) تحفة الموحدين (فارسي).

١٥) تراجم أبواب البخاري (عربي).

١٦) التكريمات الإلهية في العربية والفارسية.

١٧) الجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف (فارسي وعربي).

١٨) حجة الله البالغة (عربي).

١٩) حسن العقيدة (عربي).

٢٠) الخير الكثير (عربي).

٢١) الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين ﷺ .

٢٢) ديوان الشعر العربي .

٢٣) رسالة في الرد على رساله الشيخ خواجه خورد عبد الله بن عبد الباقي.

٢٤) رسالة الحكمة الفارسية .

٢٥) الزهراوين .

٢٦) سطعات (فارسي).

٢٧) سرور المحزون (فارسي).

٢٨) شرح تراجم ابواب صحيح البخاري (عربي).

٢٩) شفاء القلوب (فارسي).

٣٠) شوارق المعرفة (فارسي).

٣١) العطية الصمدية في الأنفاس المحمدية (فارسي).

٣٢) عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد (عربي).

٣٣) العقيدة الحسنة الرحمن (فارسي).

٣٤) فتح الخبير (عربي).

٣٥) فتح الودود لمعرفة الجنود (عربي).

٣٦) الفضل المبين في المسلسل من حديث النبي الأمين ﷺ (عربي) .

٣٧) الفوز الكبير (فارسي).

٣٨) فيوض الحرمين (عربي).

٣٩) قرة العينين في تفضيل الشيخين (فارسي).

٤٠) القول الجميل في بيان سواء السبيل (عربي).

٤١) كشف الغين عن شرح الرباعيتين (فارسي).

٤٢) لمعات (فارسي).

٤٣) المقالة الوضيئة في الوصية والنصيحة (فارسي).

٤٤) المقدمة السنية في الانتصار للفرقة السنية (عربي).

٤٥) المقدمة في قوانين الترجمة (فارسي).

٤٦) من أحاديث الموطأ (عربي).

٤٧) المصفى (فارسي).

٤٨) المكتوب المدني (عربي).

٤٩) مجموعة رسائل في مناقب الإمام البخاري وفضل ابن تيمية (عربي وفارسي).

٥٠) النبذة الإبريزية في اللطيفة العزيزية (فارسي).

٥١) النوادر من أحاديث سيد الأوائل والأواخر (عربي).

٥٢) لمعات (فارسي).

٥٣) هوامع شرح حزب البحر (فارسي). [١]

---

[١] انظر رجال الفكر ٣٠٩- ٣١١ ، جهود مخلصة في خدمة السنة النبوية ص٥٣ وما بعدها .

كتاب حجة الله البالغة :

يعد كتاب الدهلوي من أهم الكتب التي ألفها ، والموضوع الأصلي الذي ألف من أجله كتاب حجة الله البالغة هو العقيدة وبيان مقاصد الشريعة.[1]

وقد اشتمل كتاب حجة الله البالغة على مباحث متعلقة في الجملة بالتوحيد واخلاصه لله ﷻ ، ومباحث متعلقة بالعبادات كالصلاة والصيام والزكاة والحج ، ومباحث متعلقة بالمعاملات واشتمل على أبواب تدبير المنزل والخلافة والقضاء وأبواب المعيشة وآداب الصحبة التي تتعلق بالأخلاق والاجتماع ، والمدينة والاقتصاد ، والإحسان والتزكية والجهاد ، والخلافة والتصوف والمناقب والسعادة ، وتكلم أيضاً عن حفظ الدين ، وعن الاعتصام بالكتاب والسنة .

وقد قام الدهلوي في كتابه بتوضيح مقاصد الشرع المطهر في أحكام شرعية كثيرة بحسب علمه الذي بلغ إليه ، يقول صديق حسن القنوجي عن علم تبيين المصالح الشرعية :" وفي هذا العلم كتاب :"حجة الله البالغة" للشيخ الأجل أحمد ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي المتوفى سنة ١١٧٤هـ ، وقل من صنف فيه أو خاض في تأسيس مبانيه ، أو رتب منه الأصول والفروع ، أو أتى بما يسمن أو يغني من جوع ،كيف ولا تتبين أسراره إلا لمن تمكن في العلوم الشرعية بأسرها ، واستبد بالفنون الإلهية عن آخرها ، ولا يصفو مشربه إلا لمن شرح الله صدره لعلم لدني ، وملأ قلبه بسر وهبي ، وكان مع ذلك وقاد الطبيعة سيال القريحة ، حاذقاً في التقرير والتحرير ، بارعاً في التوجيه والتحبير ، وقد عرف كيف يوصل الأصول ، ويبني عليها الفروع ، وكيف يمهد القواعد ، ويأتي لها بشواهد المعقول والمسموع ، ولم أعرف أحداً آتاه الله منه حظاً وجعل له منه نصيباً إلا صاحب الحجة [2]؛ فإنه قد تفرد بالتأليف في هذا العلم وهدى الناس إلى المحجة – والله أعلم "[1].

---

[1] رجال الفكر والدعوة (ولي الله الدهلوي) ص١٨٠وما بعدها .

[2] وهذا خطأ منه رحمه الله فقد سبق الشيخ ولي الله في ذلك بعض أهل العلم مثل الإمام الشاطبي (ت٧٩٠هـ) في كتابه الموافقات المسمى "بعنوان التعريف بأسرار التكليف " ، ولابن عاشور (ت١٣٩٣ هـ) كتاب"مقاصد الشريعة "، حاول فيه أن يُلخِّص كلام من سبقه في علم المقاصد .

ويقول الدهلوي :" أما معرفة المقاصد التي بُنيت عليها الأحكام ، فعلم دقيق ، لا يخوض فيه إلا من لَطُف ذهنه ، واستقام فهمه" [٢]

ويقول ابن عاشور[٣]في كتاب "مقاصد الشريعة" :"وليس كلُّ مكلف بحاجةٍ إلى معرفة مقاصد الشريعة ؛ لأن معرفة مقاصد الشريعة نوعٌ دقيق من أنواع العلم ... وحَقّ العالم فهم المقاصد ، والعلماء في ذلك متفاوتون على قَدْر القرائح والفهوم"[٤] .

طبعاته :

طبع الكتاب طبعاتٍ كثيرةٍ من أبرزها : طبعة بولاق سنة ١٢٩٤هـ ، وطبع في مصر عدة طبعات منها: طبعة دار الكتب الحديثة بالقاهرة بتحقيق السيد سابق ، كما طبع بعدها في بيروت بمراجعة وتعليق : محمد شريف سكر في عام ١٤١٣ هـ ، وطبع في مكتبة المؤيد بالرياض بمراجعة وتعليق: محمد طعمه الحلبي عام ١٤١٨هـ ، وهي النسخة التي اعتمدتها في بحثي ، وطبع في مكتبة الكوثر في الرياض بتحقيق : د.عثمان جمعة ضميرية عام ١٤٢٠هـ.[٥]

---

[١] أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، صديق بن حسن القنوجي ، تحقيق : عبدالجبار زكار ، ٢/١٤٤ – ١٤٥ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨م.

[٢] حجة الله البالغة ١/٣١٤ .

[٣] ابن عاشُور(٠٠٠ – ١٢٨٤ هـ) محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور، من كبار علماء تونس ، ولي قضاءها سنة ١٢٦٧ هـ ثم الفتيا (سنة ١٢٧٧) ، من مؤلفاته :"تفسير ابن عاشور" و "هداية الأريب" في علم النحو . انظر الأعلام للزركلي ١٧٦/٦.

[٤] مقاصد الشريعة الإسلامية ، لابن عاشور ، ٥١/٣ تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر ، ١٤٢٥ هـ ..

[٥] انظر اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ، أدورد فنديك ، ص١٤٣ ، الناشر دار صادر ، بيروت ، ١٨٩٦م ، لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، محمد عجاج بن محمد تميم بن صالح بن عبد الله الخطيب ، ص٣٤٥ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط : ١٩ ، ١٤٢٢هـ

الفصل الأول :- المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بالله :

المبحث الأول : توحيد الربوبية.

المطلب الأول : تعريفه .

المطلب الثاني : أنواع الشرك في الربوبية .

المطلب الثالث : الخلاف مع المتكلمين فيه .

المطلب الرابع : نسبة الوقائع إلى الدهر والرد على القائلين به .

تمهيد :

المراد بالإيمان بالله : العلم والتصديق والإقرار والاعتقاد الجازم بأن الله موجود ، وأنه واحد في أفعاله، واحد في عبادته ، واحد في أسمائه وصفاته.[1]

والإيمان بالله هو أول أركان الإيمان الستة وأعظمها وأساسها والأدلة عليه كثيرة ومن ذلك :

قوله ﷻ : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقوله ﷻ : ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦]

ومن السنة حديث جبريل ﵇ في تعريف الإيمان عندما سأل الرسول ﷺ عن تعريف الإيمان ، فقال عليه الصلاة والسلام :((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ...)) [2]

فيتضمن الإيمان بالله الإيمان بوجوده ﷻ وتوحيده في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

يقول الدهلوي في بيان أهمية التوحيد :" (باب التوحيد) : أصل أصول البر ، وعمدة أنواعه ؛ وذلك لأنه يتوقف عليه الإخبات لرب العالمين ، الذي هو أعظم الأخلاق الكاسبة للسعادة ، وهو أصل التدبير العلمي الذي هو أفيد التدبيرين ، وبه يحصل للإنسان التوجه التام تلقاء الغيب ،

---

[1] انظر رسالة في أسس العقيدة ، للدكتور محمد بن عودة السعوي ، ص١٥ ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، الرياض ، ط:١ ، ١٤٢٥هـ.

[2] رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب ﵁ ، كتاب الإيمان ، ص ٦٨١، ح٨ .

ويستعد بنفسه للحوق به بالوجه المقدس[1] ، وقد نبه النبي ﷺ على عظم أمره ، وكونه من أنواع البر بمنزلة القلب إذا صلح صلح الجميع ، وإذا فسد فسد الجميع ، حيث أطلق القول في من مات لا يشرك بالله شيئاً أن يدخله الله الجنة ، أو يحرمه الله على النار ، أو لا يحجب من الجنة ونحو ذلك من العبارات ، وحكى ﷺ عن ربه تبارك وتعالى قوله ((من لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بالله شيئا لقيته بمثلها مغفرة))[2].

واعلم أن التوحيد أربع مراتب : إحداها : حصر وجوب الوجود فيه تعالى ، فلا يكون غيره واجباً ، والثانية : حصر خلق العرش والسموات والأرض وسائر الجواهر فيه تعالى ، وهاتان المرتبتان لم تبحث الكتب الإلهية عنهما ، ولم يخالف فيهما مشركو العرب ، ولا اليهود ، ولا النصارى ، بل القرآن العظيم ناص على أنهما من المقدمات المسلمة عندهم .

والثالثة : حصر تدبير السموات والأرض وما بينهما فيه تعالى .

والرابعة : أنه لا يستحق غيره العبادة ، وهما متشابكتان متلازمتان لربط طبيعي بينهما[3].

وقد اختلف فيهما طوائف من الناس معظمهم ثلاثة فرق : النجامون ذهبوا إلى أن النجوم تستحق العبادة ، وأن عبادتها تنفع في الدنيا ، ورفع الحاجات إليها حق .

قالوا : قد تحققنا أن لها أثراً عظيماً في الحوادث اليومية ،وسعادة المرء ،وشقاوته ، وصحته ، وسقمه ، وأن لها نفوساً مجردة عاقلة تبعثها على الحركة ، ولا تغفل عن عبادها ، فبنوا هياكل على

---

[1] لعله يقصد – وهو الظن فيه – تعريف الإحسان وهو أن يعبد العبد الله كأنه يراه وإن لم يكن يراه فإنه يراه .

[2] رواه مسلم بنحوه من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الذكر والدعاء ، ص ١١٤٥-١١٤٦، ح (٢٦٨٧) ، قال أبو ذر ﷺ : قال النبي ﷺ :يقولُ اللهُ ﷻ : من جاءَ بالحسنةِ فلهُ عشرُ أمثالِهَا وأزيدُ ، ومن جاءَ بالسَّيِّئةِ ، فجزاؤهُ سيِّئةٌ مثلُها ، أو أغفِرُ ، ومن تقرَّبَ منِّي شبراً ، تقرَّبتُ منه ذراعاً ، ومن تقرَّبَ منِّي ذراعاً ، تقرَّبتُ منه باعاً . ومن أتاني يمشي ، أتيتُهُ هرولةً ، ومن لَقِيَني بقُرابِ الأرضِ خطيئةٍ لا يشركُ بي شيئاً ، لقِيتُهُ بمثلِها مغفرةً ، وفي روايةٍ : نحوَهُ . غيرَ أنَّه قال : فلَهُ عشرُ أمثالِها أو أزيدُ)).

[3] لأن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية كما جاء ذلك في آيات كثيرة ومن ذلك قوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]

أسمائها وعبدوها ، والمشركون وافقوا المسلمين في تدبير الأمور العظام ، وفيما أبرم وجزم...ولم يوافق المشركين المسلمين في سائر الأمور ، بل ذهبوا إلى أن الصالحين من قبلهم عبدوا الله وتقربوا إليه فأعطاهم الله الألوهية ، فاستحقوا العبادة من سائر خلق الله ، كما أن ملك الملوك يخدمه عبده ، فيحسن خدمته ، فيعطيه خلعة الملك ، ويفوض إليه تدبير بلد من بلاده ، فيستحق السمع والطاعة من أهل ذلك البلد ، وقالوا : لا تقبل عبادة الله إلا مضمومةً بعبادتهم ، بل الحق في غاية التعالي ، فلا تفيد عبادته تقرباً منه ، بل لا بد من عبادة هؤلاء ليقربوا إلى الله زلفى ، وقالوا هؤلاء يسمعون ، ويبصرون ، ويشفعون لعبادهم ، ويدبرون أمورهم ، وينصرونهم ، فنحتوا على أسمائهم أحجاراً ، وجعلوها قبلةً عند توجههم إلى هؤلاء ، فخلف من بعدهم خلف ، فلم يفطنوا للفرق بين الأصنام وبين من هي على صورته ، فظنوها معبودات بأعيانها ، ولذلك رد الله تعالى عليهم تارة بالتنبيه على أن الحكم والملك له خاصة ، وتارة ببيان أنها جمادات قال تعالى : ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف: ١٩٥].

والنصارى ذهبوا إلى أن للمسيح عليه السلام قرباً من الله ، وعلواً على الخلق ، فلا ينبغي أن يسمى عبداً ، فيسوى بغيره ، لأن هذا سوء أدب معه ، وإهمال لقربه من الله ، ثم مال بعضهم عند التعبير عن تلك الخصوصية إلى تسميته ابن الله – تعالى– ؛ نظراً إلى أن الأب يرحم الابن ، ويربيه على عينيه ، وهو فوق العبيد ، فهذا الاسم أولى به وبعضهم — ذهب – إلى تسميته بالله نظراً إلى أن الواجب حل فيه ، وصار داخله ، ولهذا يصدر منه آثار لم تعهد من البشر ، مثل إحياء الأموات ، وخلق الطين ، فكلامه كلام الله ، وعبادته هي عبادة الله ، فخلف بعدهم خلف لم يفطنوا لوجه التسمية ، وكادوا يجعلون النبوة حقيقية ، أو يزعمون أنه الواجب من جميع الوجوه ، ولذلك رد الله تعالى عليهم تارة . بأنه لا صاحبة له وتارة بأنه بديع السموات والأرض ، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وهذه الفرق الثلاث لهم دعاوى عريضة وخرافات كثيرة لا تخفى على المتتبع ، وعن هاتين المرتبتين بحث القرآن العظيم ، ورد على الكافرين شبهتهم ردا مشبعاً "[1].

---

[1] حجة الله البالغة ، لشاه ولي الله الدهلوي ، ص١٣٧-١٣٨ ، راجعه وعلق عليه محمود طعمه الحلبي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط: ١ ، ١٤١٨هـ.

المبحث الأول:– توحيد الربوبية :

يقول الدهلوي " واعلم أن التوحيد أربع مراتب : إحداها : حصر وجوب الوجود فيه تعالى ، فلا يكون غيره واجبا .

والثانية : حصر خلق العرش والسموات والأرض وسائر الجواهر فيه تعالى ، وهاتان المرتبتان لم تبحث الكتب الإلهية عنهما ، ولم يخالف فيهما مشركو العرب ، ولا اليهود ، ولا النصارى ، بل القرآن العظيم ناص على أنهما من المقدمات المسلمة عندهم .

والثالثة : حصر تدبير السموات والأرض وما بينهما فيه تعالى .

والرابعة : أنه لا يستحق غيره العبادة ، وهما متشابكتان متلازمتان لربط طبيعي بينهما[١] . "[٢]

المطلب الأول : تعريف التوحيد :

التوحيد في اللغة الإفراد ، وجاء في القاموس المحيط :"وحده توحيداً أي جعله واحداً" .[٣]

وجاء في لسان العرب إطلاق اسم الرب على المالك والمدبر والمربي والقيم والمنعم والمصلح والمالك"[٤]

---

[١] لأن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية كما جاء ذلك في آيات كثيرة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ۝٢١﴾ [البقرة: ٢١]

[٢] حجة الله البالغة ١/١٣٨.

[٣] القاموس المحيط ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، ١/٦٣٢ ، تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط: ٨ ، ١٤٢٦ هـ.

[٤] لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن على ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، ١/٣٩٩ ، دار صادر، بيروت ، ط:٣ ، ١٤١٤ هـ.

ويلخص أهل السنة والجماعة توحيد الربوبية بأنه : توحيد الله ﷻ بأفعاله كالإقرار بأنه خالق كل شيء والمالك والمدبر والرازق والمعطي المانع النافع الضار والمعز المذل المحيي المبيت ونحو ذلك ، ولا ننسب شيئاً من أفعاله تعالى إلى غيره أو نشرك معه غيره فيها [1] .

الأدلة على توحيد الربوبية :

أدلة توحيد الربوبية كثيرة متنوعة، تدل على تفرد الله تعالى بالربوبية على خلقه أجمعين ، وقد دل على وجوده سبحانه وتعالى: الشرع، والفطرة ، والعقل ، والحس ،[2] فمن دلالة الشرع على ذلك:

قوله تعالى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]، وقوله : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ۝٨٢ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ۝٨٣﴾ [يس: ٨٢، ٨٣]، وقوله: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ۝١٦٤﴾ [البقرة: ١٦٤] ، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ۝٤٠﴾ [الروم: ٤٠].

ومن دلالة الفطرة :

لجوء الإنسان وفزعه إلى خالقه سبحانه، سواء كان هذا الإنسان موحداً أو مشركاً عند الشدة والحاجة.[1]

---

[1] انظر تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد الله آل الشيخ ، ص١٧-١٨ ، دراسة وتحقيق: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق ، ط:١ ، ١٤٢٣هـ

[2] الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة ، عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد ، ص ٦٩ وما بعدها مكتبة الرشد ، الرياض ، ط:١ ،١٤١١هـ.

والرسل – عليهم الصلاة والسلام –كانت تقول لأقوامهم : ﴿... أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ...﴾ [إبراهيم: ١٠]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:"فدل ذلك على أنه ليس في الله شك عند الخلق المخاطبين، وهذا يبين أنهم مفطورون على الإقرار" [٢]

وما من مولود إلا ويولد على الفطرة السليمة الصحيحة قال ﷺ ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة ..))[٣] .

ومن دلالة الحس :

إجابة الدعوات وكشف الكربات ، وهذا أمرٌ معلوم لا ينكر،وكثير لا يحصر.

ومن دلالة العقل :

نقول: هل وجود هذه الكائنات بنفسها، أو وجدت هكذا صدفة؟

فإن قال أحدهم: وجدت بنفسها، فمستحيل عقلاً ما دامت هي معدومة؟ كيف تكون موجودة وهي معدومة؟! المعدوم ليس بشيء حتى يوجد، إذاً لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها وإن قال: وجدت صدفة ، فنقول: هذا يستحيل أيضاً فما وجد من صناعات كبيرة من صنع الإنسان لم تصنع صدفة ، وهذا محال ، فكذلك خلق الله ﷻ لا يمكن أن يوجد صدفة أبداً.[٤]

---

[١] درء تعارض العقل والنقل ١٣٥/٣ ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، ٧٠/٩ وما بعدها ، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧هـ.

[٢] المصدر السابق ١٣٣/٧ .

[٣] أخرجه البخاري ،كتاب القدر ، باب الله أعلم بما كانوا عاملين ،ص٥٥٢ ، ح ٦٥٩٩ .

[٤] انظر شرح العقيدة الواسطية ، الشيخ محمد ابن عثيمين ، ٥٦/١ ، ، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ، ط: ٦ ، ١٤٢١هـ .

وقد أقر مشركوا العرب برب ﷻ وبأنه الخالق الرازق المدبر وأن له الملك ، وأنه المحيي المميت كما جاء في آيات كثيرة من ذلك :

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١] ، ومنها قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

المطلب الثاني : أنواع الشرك في الربوبية :

المثبتون للخالق نوعان :

أهل توحيد وأهل إشراك في الربوبية، ولم يقع الشرك في الربوبية إلا من طوائف معدودة، والشرك في الربوبية نوعان:

أ- **شرك التعطيل:** وهو من أقبح أنواع الشرك كشرك فرعون عندما قال: ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ۝٢٣﴾ [الشعراء: ٢٣] ، فهو أشهر مَن أنكر الصانع لكنه كان في الباطن مستيقناً أن موسى عليه السلام أصدق منه في الدعوة لربوبية الله ، قال تعالى عنه وعن قومه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ۝١٤﴾ [النمل: ١٤] ، لذلك كان رد موسى عليه السلام عليه: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا۝١٠٢﴾ [الإسراء: ١٠٢].

وكذلك القائلون بالصدفة والطبيعة، والدهريون الذين قالوا : ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ۝٢٤﴾ [الجاثية: ٢٤] ، ومنهم الشيوعيون في زماننا.

وكذلك الفلاسفة القائلون بقدم العالم وأبديته وأن العقل الفعال هو الخالق المدبر لكل ما تحته، ومنهم الذين يقولون بأن النجوم أحياء فاعلة مؤثرة بالخلق، وكذلك من أهل شرك التعطيل القائلين بوحدة الوجود[١] كابن عربي[٢]، وابن سبعين[١].

---

[١] وحدة الوجود مذهب فلسفي صوفي يقوم على القول بالاتحاد العام بين الخالق والمخلوق ، فوجود المخلوق هو وجود الخالق ، بل الخالق هو المخلوق والمخلوق هو الخالق ، ولا وجود لموجودين خلق أحدهما الآخر ، ومن أشهر من قال به : ابن عربي وابن الفارض ومن على منهجهما من أهل الاتحاد ، انظر مجموع الفتاوى ، لتقي الدين أحمد بن تيمية الحراني ، ٢/٣٦٤ – ٣٦٥ ، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار ، دار الوفاء ، ط:٣ ، ١٤٢٦هـ.

[٢] ابن عربي: هو أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي، يعرف بابن عربي ، ولد سنة ٥٦٠ هـ بمرسية بالأندلس وتوفي سنة ٦٣٨ هـ بدمشق.صوفي مغالي، من أبرز القائلين بوحدة الوجود ، من مؤلفاته : فصوص الحكم يقول الإمام الذهبي :" ومن أردأ تواليفه كتاب "الفصوص"، فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة،

ب– **النوع الثاني من شرك الربوبية يكون باعتقاد أكثر من صانع للعالم** ، كالثنوية من المجوس الذين يقولون بوجود أصلين خالقين للعالم وهما: يزدان إله النور ويخلق الخير، وأهرمن: إله الظلمة ويخلق الشر، لكن إله الخير عندهم أحسن من إله الشر.

وكذلك شرك النصارى الذين يقولون بالآب والابن وروح القدس، ولكنهم لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب منفصلة بل يقولون بأن صانع العالم واحد وهم مضطربون جدّاً في تعبيرهم بالأقانيم الثلاثة لأنهم يفسرون الأقنوم تارة بالخواص وتارة بالأشخاص وتارة أخرى بالصفات[٢].

مما سبق يتبين لنا أن العباد جميعاً حتى المشركين في الربوبية هم مفطورون على توحيد الربوبية ؛ لأن المعطلة كفرعون والدهريين الطبيعيين والشيوعيين والفلاسفة وأهل وحدة الوجود وأمثالهم من المعطلين للصانع هم مقرون في الباطن بالرب سبحانه بدليل رجوع فرعون وغيره من الملاحدة إلى الإيمان عند موتهم.

وأما الذين قالوا بأكثر من صانع للعالم كالثنوية والنصارى، فإنهم لم يسووا بينهم كما بينا ، بل يفاضلون بينهم، فيكون شركهم شركاً في بعض الربوبية.

وبهذا يتبين أنه ليس في طوائف العالم قط من يثبت صانعين خالقين متماثلين في جميع الصفات. فالشرك في الربوبية إذن بهذا الاعتبار معلوم الامتناع عند جميع طوائف أهل الأرض من الموحدين والمشركين[١].

فواغوثاه بالله" ومن مؤلفاته : الفتوحات المكية . انظر ترجمته:شذرات الذهب ٢٠٢ –١٩٠ /٥ ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، ٦٥٩/٣–٦٦٠ ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، ط :١ ، ١٣٨٢ هـ ، وسير أعلام النبلاء ، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ، دار الحديث– القاهرة ، الطبعة: ١٤٢٧هـ.٢٣١ /١٣.

[١] ابن سبعين (٦١٣ – ٦٦٩ هـ) عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر ابن سبعين الإشبيلي المرسي الرقوطي، قطب الدين أبو محمد: من زهاد الفلاسفة ، ومن القائلين بوحدة الوجود ، درس العربية والآداب في الاندلس، وانتقل إلى سبتة، وحج، واشتهر أمره. وكفره كثير من الناس. له مريدون وأتباع يعرفون بالسبعينية. من مؤلفاته : الحروف الوضعية في الصور الفلكية وأسرار الحكمة المشرقية ، انظر الأعلام للزركلي ٢٨٠/٣.

[٢] انظر مجموع الفتاوى ٩٦/٣ ، وتيسير العزيز الحميد ص٢٦.

المطلب الثالث : الخلاف مع المتكلمين في توحيد الربوبية:

انحرف المتكلمون عن منهج السلف الصالح في توحيد الربوبية وسأجعل الكلام في محورين:

الأول : استدلالهم على وجود الله بحدوث الأعراض .

والثاني : جعلهم الهدف الأول إثبات توحيد الربوبية.

الأول : استدلالهم على وجود الله بحدوث الأعراض :

معنى حدوث الأعراض :

طريقة المتكلمين في إثبات الخالق هي الاستدلال على حدوث العالم بحدوث الأجسام ، ولا يستدل على حدوث الأجسام إلا بحدوث الأعراض ، فهم لا يستدلون بذات الأشياء وأعيانها من السحاب والمطر والحيوان والنبات ، إنما يستدلون بحدوث الأعراض ؛ لأن الأجسام عندهم مكونة من الجواهر الفردة ، والله أنما يحدث تأليفها وتركيبها ، فإذا أثبتوا أن الأعراض القائمة بالأجسام حادثة ، قالوا بأن ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث وما لا يسبق الحوادث فهو حادث ، بناءً على أن هذه مقدمة ظاهرة ؛ لأن ما لا يسبق الحادث أما أن يكون مقارناً له ، أو متأخراً عنه ، وما قارن الحادث أو تأخر عنه فهو حادث مثله [2].

---

[1] انظر مجموع الفتاوى ٩٧/٣، و مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر الزرعي (ابن القيم الجوزية) ، ٦٢/١ ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط:٢ ، ١٣٩٣هـ ، شرح الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي ، ٢٨/١، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط:١٠، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م . ، وانظر كتاب عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ، لمحمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي ، ص ١١٣ ، مكتبة دار الزمان ، المدينة المنورة ، ط:١، ١٤٠٥هـ

[2] انظر مجموع الفتاوى ١٤٠/١٢- ١٥٠ ،٢١٢/١٢ ، وانظر درء تعارض العقل والنقل ٧٠/٩ .

وهذا القول باطل لأنه يلزم عليه لوازم فاسدة ، من نفي صفات الله ، ونفي قدرته على الفعل ، والقول بأنه فعل بعد أن كان الفعل ممتنعاً عليه ، وأنه يرجع أحد المقدورين على الآخر بلا مرجح، وكل هذا خلاف المعقول الصحيح ، وخلاف الكتاب والسنة .

وأن هذا أوجب تسلط الفلاسفة على المتكلمين في مسألة حدوث العالم إلى غير ذلك من الوجوه.

وقد ادخل المعتزلة ومن وافقهم من أهل الكلام مسألة حدوث الأعراض في صفات الله تعالى وخالفوا المنهج السليم في صفات الله ﷻ فنفوا ، وأولوا ، وحرفوا النصوص عن معانيها .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[1] :"وأصل ما أوقعهم – أي المعتزلة – في نفي الصفات والكلام والأفعال، والقول بخلق القرآن، وإنكار الرؤية، والعلو لله على خلقه هي طريقة حدوث الأعراض وتركيب الأجسام ".[2]

ويقول: "والمتكلم يظن أنه بطريقته – التي انفرد بها – قد وافق طريقة القرآن ، تارة في إثبات الربوبية ، وتارة في إثبات الوحدانية ، وتارة في إثبات النبوة ، وتارة في إثبات المعاد ، وهو مخطئ في كثيرٍ من ذلك أو أكثره ، مثل هذا الموضع ؛ فإنه قد أخطأ المتكلم في ظنه أن طريقة القرآن توافق طريقته من وجوه منها :

أن إثبات الصانع في القرآن بنفس آياته التي يستلزم العلم بها العلم به ،كاستلزام العلم بالشعاع: العلم بالشمس من غير احتياج إلى قياس كلي يقال فيه : وكل محدث فلا بد له من محدث ، أو

---

[1] ابن تيمية (٦٦١ – ٧٢٨ هـ) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الامام، شيخ الاسلام. ولد بحران وتوفي في قلعة دمشق وأفتى ودرس وهو دون العشرين ، أما تصانيفه ففي الدرر أنها ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة ، وفي فوات الوفيات أنها تبلغ ثلاث مئة مجلد ، منها : الجوامع في السياسة الالهية والآيات النبوية، ويسمى (السياسة الشرعية) ومجموع الفتاوى ، انظر شذرات الذهب ٨/ ١٤٢ ، الأعلام للزركلي ١/١٤٤ –١٤٥.

[2] درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١٠٦/٧ .

كل ممكن فلا بد له من مرجح ، أو كل حركة فلا بد لها من علة غائية أو فاعلية ، ومن غير احتياج إلى أن يقال : سبب الافتقار إلى الصانع هل هو الحدوث فقط – كما تقوله المعتزلة ؟ أو الإمكان – كما يقوله الجمهور ؟ حتى يرتبون عليه أن الثاني حالٌ باقيةٌ مفتقرةٌ إلى الصانع على القول الثاني الصحيح دون الأول ، فإني قد بسطت هذا الموضع في غير هذا المكان وبينت ما هو الحق.." [١]

وسيأتي الكلام على حدوث الصفات في مطلب آخر .

الثاني : جعل المتكلمون الهدف الأول إثبات توحيد الربوبية :

جعل المتكلمون هدفهم الأول الاستدلال على وجود الله وإثبات توحيد الربوبية ، وقالوا بدليل التمانع واستدلوا عليه بقوله تعالى﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ ..﴾ [الأنبياء: ٢٢] .

ودليل التمانع عندهم هو : أنه لو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم وآخر تسكينه، أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته: فإما أن يحصل مرادهما، أو مراد أحدهما، أو لا يحصل مراد واحد منهما. والأول ممتنع، لأنه يستلزم الجمع بين الضدين، والثالث ممتنع، لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون، وهو ممتنع، ويستلزم أيضا عجز كل منهما، والعاجز لا يكون إلهاً، واذا حصل مراد أحدهما دون الآخر، كان هذا هو الإله القادر، والآخر عاجزاً لا يصلح للإلهية.[٢]

---

[١] مجموع الفتاوى ٢/٨ ، وانظر مبحث حدوث الصفات .

[٢] انظر موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود ، ص١٠٢١ .

مناقشة القول :

١- هذا الدليل قد ورد في القرآن للدلالة على وحدانية الله ، وقد أخبر تعالى أنه لو كان فيهما آلهة غيره ولم يقل أرباب ؛لأنه لو كان فيهما أربابٌ غيره لم توجدا أصلاً ولقال: لم توجدا، ولكنه قال: لفسدتا: أي لو كان فيهما آلهةٌ غيره وهما موجودتان لفسدتا .[١]

٢- أما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ ..﴿٢٢﴾﴾ ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في أحد ردوده عليهم : " هذه الآيات ليس المقصود بها ما يقوله من يقوله من أهل الكلام من ذكر دليل التمانع على وحدانية الرب تعالى؛ فإن التمانع يمنع وجود المفعول لا يمنع فساده بعد وجوده، وذلك يذكر في الأسباب والبدايات التي تجري مجرى العلل الفاعلات"[٢].

٣- هذا الدليل المستدل به جاء ليقرر توحيد العبادة الذي يتضمن توحيد الربوبية :

يقول ابن أبي العز :" وكثير من أهل النظر يزعمون أن دليل التمانع هو معنى قوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ ..﴿٢٢﴾﴾ لاعتقادهم أن توحيد الربوبية الذي قرروه هو توحيد الإلهية الذي بينه القرآن، ودعت إليه الرسل عليهم السلام، وليس الأمر كذلك، بل التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ونزلت به الكتب، هو توحيد الإلهية المتضمن توحيد الربوبية، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، فإن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وأن خالق السماوات والأرض واحد، كما أخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ

---

[١] انظر مجموع الفتاوى ١٤/٢ و٩٨/٣ وشرح الطحاوية ٦٧٦/٢.

[٢] اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم ، لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، ٤٧٨/١-٤٧٩ ، ط: ٢ ، ١٣٦٩هـ.

أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴿٢٥﴾ [لقمان: ٢٥] ، ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴿٨٥﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٥] ، ومثل هذا كثير في القرآن."[١]

ومن هنا يتبين خطأ المتكلمين الذين بذلوا جهدهم ، وأتعبوا أنفسهم لتقرير توحيد الربوبية وأنكروا معرفة الله الفطرية – ومنهم الجهمية والقدرية الذين هم عند سلف الأمة من أجهل الطوائف وأضلهم– ظانين أن مشكلة البشرية من أول التاريخ أنها لا تعرف وجود الرب، وقد غفلوا عن هذه المعرفة الفطرية وأن المشكلة الحقيقية هي انحراف البشرية عن توحيد الألوهية[٢].

[١] شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٢٧/١–٢٨ .

[٢] انظر مجموع الفتاوى ١٤/١٤ و ٢/ ١٤، وانظر كتاب عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ص ١١٢ .

المطلب الرابع : نسبة الوقائع إلى الدهر والرد على القائلين به .

يقول الدهلوي : " وكان أهل الجاهلية ينسبون الوقائع إلى الدهر وهذا نوع من الشرك ، وأيضاً ربما يريدون بالدهر مقلب الدهر، فالسخط راجع إلى الله وإن أخطأوا في العنوان ...". [1]

ذكر الدهلوي في مجمل كلامه الدهرية ورد على ما أوردوه بشأن التسخط من الدهر ، وسأذكر في هذا المبحث الدهرية ، والرد عليهم ، والرد على التسخط من الدهر .

الدهر لغة :

يقول ابن فارس[2] :" الدَّهر: ما أصابَ الإنسانَ من عظائم نُوَبِه ، والدَّهْي: النُّكْر وجَودةُ الرّأي ، وهو من الباب؛ لأنَّه يُصِيب برأيه ما يريدُه.

(دهر) الدال والهاء والراء أصلٌ واحد، وهو الغَلَبة والقَهْر ، وسُمِّي الدّهرُ دَهْراً لأنَّه يأتي على كلِّ شيءٍ ويَغلِبُه " . [3]

الدهرية اصطلاحاً:

الدهرية: هم الذين يقولون بقدم العالم وإنكار الصانع[4]، وهم الفلاسفة الذين تابعوا أرسطو[1] في القول بقدم العالم، وقدم حركة الأفلاك، ودوامها، ويطلق عليهم الفلاسفة الدهرية.

---

[1] حجة الله البالغة ٣٥٥/٢.

[2] ابن فارس (٣٢٩ – ٣٩٥ هـ) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين: من أئمة اللغة والادب. قرأ عليه البديع الهمذاني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان. أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها، وإليها نسبته ، من تصانيفه (مقاييس اللغة – ط) ، و(جامع التأويل) في تفسير القرآن . انظر شذرات الذهب ١٣٢/٢ ، الأعلام للزركلي ١٩٣/١ .

[3] تهذيب اللغة ٣٠٥/٢ .

[4] انظر: بيان تلبيس الجهمية ٤٣٨/١ .

ويقول ابن القيم[٢] عن الدهرية أنهم: "قوم عطلوا المصنوعات عن صانعها"[٣].

وقيل أيضاً : الدهري من يقول بقدم الدهر، واستناد الحوادث إليه، ولكنه يقول بوجود الباري – تعالى –[٤].

والدهرية فرقتان:

فرقة قالت: إن الخالق – سبحانه – لما خلق الأفلاك متحركةً أعظم حركة، دارت عليه فأحرقته، ولم يقدر على ضبطها، وإمساك حركاتها.

---

[١] أرسطو طاليس (٣٨٤ –٣٢٢ق.م) فيلسوف يوناني ، تلميذ أفلاطون ، وأستاذ الإسكندر المقدوني ، جرت فلسفته في اتجاه مغاير لمثالية أفلاطون ، وتعاظم اهتمامها شيئاً فيشئاً بالعلم وظواهر الطبيعة ، وكان مشركاً يعبد الأوثان ، وقد أنسحب أثره على المفكرين الذين جاءوا بعده حتى بداية العصر الحديث ، من أشهر آثاره : الأورغانون في المنطق وكتاب السياسة ، انظر موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها ،د. صالح الغامدي ، ص١٣، مكتبة المعارف – الرياض ، ط١ ، ١٤٢٤هـ .

[٢] ابن قيم الجوزية (٦٩١ – ٧٥١ هـ) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين: من أركان الاصلاح الاسلامي، وأحد كبار العلماء.مولده ووفاته في دمشق. تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية . وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأطلق بعد موت ابن تيمية.وكان حسن الخلق محبوبا عند الناس، أغري بحب الكتب، فجمع منها عدداً عظيماً ، وألف تصانيف كثيرة منها : (إعلام الموقعين – ط) و (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل – ط) .انظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) ، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط ، محمود الأرناؤوط ، دار بن كثير — دمشق ، ١٤٠٦هـ ٣/٢٨٧ ، الأعلام ، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى : ١٣٩٦هـ) ، ٦/٥٦ ، دار العلم للملايين ، الطبعة : الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م .

[٣] إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) ، ٢/١٠١٦ ، تحقيق: محمد عزير شمس ، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة ، ط: ١، ١٤٣٢ هـ .

[٤] انظر: موسوعة مصطلحات جامع العلوم للنكري ص٤٣٢ – نقلاً عن الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية ، للدكتورة آمال العمرو ،ص ٣٨٥ ، رسالة دكتوراة مقدمة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض، ١٤٢٥–١٤٢٦هـ –.

وفرقة قالت: إن الأشياء ليس لها أول ألبتة، وإنما تخرج من القوة إلى الفعل، فإذا خرج ما كان بالقوة إلى الفعل، تكونت الأشياء مركباتها، وبسائطها، من ذاتها لا من شيء آخر.

وقالوا إن العالم دائم، لم يزل ولا يزال، لا يتغير، ولا يضمحل، ولا يجوز أن يكون المبدع يفعل فعلاً يبطل ويضمحل، إلا وهو يبطل ويضمحل مع فعله، وهذا العالم هو الممسك لهذه الأجزاء التي هي فيه.[1]

فبعض الدهرية يقرون بخالق للأفلاك لكنهم يقولون بفنائه، وأن العالم بقي يسير نفسه ، وبعضهم يجحد وجود خالق للعالم، ويقول بأن الشيء أوجد نفسه بخروجه من القوة إلى الفعل ، وأقوالهم هذه ظاهرة الكفر، وهي خارجة عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها.[2]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " إنكار الصانع ليس مقالة معروفةً لصاحب مقالة ، فإنه وإن لم يكن مذهباً مشهوراً عليه أمة من الأمم المعروفة ، لكنه مما يعرض لكثير من الناس ويقوله بعض الناس إما ظاهراً دون الباطن كحال فرعون ونحوه ، وإما باطناً وظاهراً كما ذكر الله مناظرة إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه للذي حاجه في ربه ، ومحاجة موسى صلوات الله عليه وسلامه لفرعون ، لكن هذا لا يمنع أن تكون المعرفة به مستقرةً في الفطرة ،ثابتة بالضرورة فإن هذا نوع من السفسطة والسفسطة حال يعرض لكثير من الناس إما عمداً وإما خطأً، وكثيرٌ من الناس قد ينازع في كثير من القضايا البديهية والمعارف الفطرية في الحسيات والحسابيات وكذلك في الإلهيات ، ومن تأمل ما يحكيه الناس من المقالات عن الناس في العلوم الطبيعية والحسابية رأى عجائب وغرائب وبنو

---

[1] انظر: إغاثة اللهفان ٢/٢٥٥ – ٢٥٦.

[2] الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية ، للدكتورة آمال العمرو . ص٣٨٥

آدم لا ينضبط ما يخطر لهم من الآراء والإرادات فإنهم جنس عظيم التفاوت ليس في المخلوقات أعظم تفاضلاً منه" [1]

ويقول الدهلوي : "..فأشد شقاوة الإنسان أن يكون دهرياً، وحقيقة الدهري أن يكون مناقضاً للعلوم الفطرية المخلوقة فيه، وقد بينا أن له ميلاً في أصل فطرته إلى المبدأ[2] جل جلاله، وميلاً إلى تعظيمه أشد ما يجد من التعظيم ، وإليه الإشارة في قوله تبارك وتعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢] ، وقوله ﷺ : ((كل مولود يولد على الفطرة))[3] .

والتعظيم الأقصى لا يتمكن من نفسه إلا باعتقاد تصرف في بارئه بالقصد والاختيار ومجازاة وتكليف لهم وتشريع عليهم، فمن أنكر أن له رباً تنتهي إليه سلسلة الوجود، أو أعتقد رباً معطلاً لا يتصرف في العالم أو يتصرف بالإيجاب من غير إرادة أو لا يجازي عباده على ما يفعلون من خير وشر، أو أعتقد ربه كمثل سائر الخلق، أو أشرك عباده في صفاته، أو اعتقد أنه لا يكلفهم بشريعة على لسان نبي ، فذلك الدهري الذي لم يجمع في نفسه تعظيم ربه ، وليس لعلمه نفوذ إلى حيز القدس أصلا، وهو بمنزلة الطائر المحبوس في قفص من حديد ليس فيه منفذ ولا موضع إبرة، فإذا مات شف الحجاب وبرزت الملكية بروزاً ما، وتحرك الميل المفطور فيه ، وعاقته العوائق في علمه بربه وفي الوصول إلى حيز القدس ، فهاجت في نفسه وحشة عظيمة، ونظر إليها بارئها والملأ

---

[1] درء تعارض العقل والنقل ٧/٤٠٤ .

[2] المبدأ من أسماء الله وأسماء الله تعالى وصفاته توقيفية ولا يشتق من صفاته أسماء بخلاف أسماءه يشتق منها الصفات ، فقوله تعالى :﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠] المكر صفة والاسم المشتق الماكر وهذا اشتقاق خاطئ لا ينسب لله تعالى إلا على سبيل المقابلة ، فالصفة لا يشتق منها اسم بخلاف الأسماء فالسميع اسم ،وصفته أنه تعالى يسمع ، فباب الصفات أوسع من باب الأسماء ، انظر القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين ، ص٢١ ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ط: ٣ ، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

[3] أخرجه البخاري ،كتاب القدر ، باب الله أعلم بما كانوا عاملين ،ص٥٥٢ ، ح ٦٥٩٩ .

الأعلى، وهي في تلك الحالة الخبيثة، فأحدقت فيها بنظر السخط والازدراء، وترشحت في نفوس الملائكة – عليهم السلام – إلهامات السخط والعذاب، فعذب في المثال[١] وفي الخارج، .."[٢]

ويقول :" وإنما عظمت العناية بشرح هذه العلوم لأن الإنسان خلق في أصل فطرته ميل إلى بارئه جل مجده، وذلك الميل أمر دقيق لا يتشبح إلا بخليقته ومظنته، وخليقته ومظنته على ما أثبته الوجدان الصحيح : الإيمان بأن العبادة حق الله تعالى على عباده لأنه منعم لهم مجاز على أعمالهم، فمن أنكر الإرادة أو ثبوت حقه على العباد، أو أنكر المجازاة، فهو الدهري الفاقد لسلامة فطرته، لأنه أفسد على نفسه مظنة الميل الفطري المودع في جبلته ونائبه وخليفته والمأخوذ مكانه ".[٣]

ويقول الإمام ابن كثير[٤] في تفسيره : " يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ لَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ...﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية: ٢٤] ، – أي – ما ثم إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون وما ثم معاد ولا قيامة وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم ينكرون البداءة والرجعة، ويقوله الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه ، وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا المعقول ، وكذبوا المنقول، ولهذا قالوا ﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾ ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ﴿٢٤﴾﴾ ، أي: يتوهمون ويتخيلون...

---

[١] يغني عن هذا التكلف ما ورد في شأن الكافر من العقوبات ومن بغض الله تعالى وملائكة عليهم السلام له .

[٢] حجة الله البالغة ١/١٨٣–١٨٤.

[٣] المصدر السابق ١/١٥٩ .

[٤] ابن كثير(٧٠١ – ٧٧٤ هـ) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦ هـ ورحل في طلب العلم. وتوفي بدمشق. تناقل الناس تصانيفه في حياته. من كتبه :تفسير القرآن العظيم ، والبداية والنهاية ، انظر الأعلام للزركلي ١/٣٢٠.

وقوله تعالى﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ﴾ أي: إذا استدل عليهم وبين لهم الحق، وأن الله قادر على إعادة الأبدان بعد فنائها وتفرقها، ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴿٢٥﴾﴾ أي: أحيوهم إن كان ما تقولونه حقا.

قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ ، أي: كما تشاهدون ذلك يخرجكم من العدم إلى الوجود، ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ..﴾ [البقرة: ٢٨] أي: الذي قدر على البداءة قادر على الإعادة بطريق الأولى والأحرى..﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ..﴿٢٧﴾﴾ [الروم: ٢٧] ، ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ..﴿٢٦﴾﴾ [الجاثية: ٢٦]..أي: لا شك فيه، ﴿... وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴿٢٦﴾﴾ [الجاثية: ٢٦] أي: فلهذا ينكرون المعاد، ويستبعدون قيام الأجساد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴿٧﴾﴾ [المعارج: ٦-٧] ، أي: يرون وقوعه بعيداً، والمؤمنون يرون ذلك سهلاً قريباً."[1]

وكان أهل الجاهلية يسبون الدهر ، ويكون سخطهم راجع إلى الله ، وإن أخطأوا العنوان

يقول الدهلوي : " وأيضاً ربما يريدون بالدهر مقلب الدهر، فالسخط راجع إلى الله وأن أخطأوا في العنوان..." [2]

قال الإمام الشافعي[3] في تأويل النهي عن سب الدهر:"تأويله ، والله أعلم ، أن العرب كان شأنها تذم الدهر وتسبه عند المصائب التي تنزل بهم من موت ، أو هدم أو تلف أو غير ذلك ،

[1] تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، ٢٦٨/٧-٢٧٠ ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط: ٢ ، ١٤٢٠هـ .

[2] حجة الله البالغة ٣٥٥/٢ .

[3] الإمام الشافعي(١٥٠ - ٢٠٤ هـ) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبد الله ، إليه يرجع المذهب الشافعي ، قال عنه الإمام ابن حنبل:" ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلا وللشافعي في رقبته منة." وأفتى وهو ابن عشرين سنة. وكان ذكيا مفرطا. له تصانيف كثيرة، أشهرها كتاب الأم ، والمسند ، انظر الأعلام للزركلي ٢٦/٦

فيقولون : إنما يهلكنا الدهر وهو الليل والنهار ، فيقولون : أصابتهم قوارع الدهر ، وأبادهم الدهر ، فيجعلون الليل والنهار اللذان يفعلان ذلك ، فيذمون الدهر بأنه الذي يفنينا ويفعل بنا .." [١].

حكم تسمية الله بالدهر:

سبب الحديث عن تسمية الله بالدهر، ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال:((قال الله يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار)) [٢]، وللناس في هذا الحديث قولان معروفان ، لأصحاب الإمام أحمد[٣] وأكثر العلماء أن هذا الحديث خرج الكلام فيه لرد ما يقوله أهل الجاهلية ومن أشبههم ، فإنهم إذا أصابتهم مصيبة ، أو منعوا أغراضهم ، أخذوا يسبون الدهر والزمان ، وهم يقصدون سب من فعل تلك الأمور ، ويضيفونها إلى الدهر ، فيقع السب على الله – تعالى – لأنه هو الذي فعل تلك الأمور.

والقول الثاني قول نعيم بن حماد[٤]، وطائفة معه من أهل الحديث ، والصوفية ، أن الدهر من أسماء الله – تعالى – ومعناه القديم الأزلي، وهذا المعنى صحيح لأن الله – سبحانه – هو الأول

---

[١] الأسماء والصفات ، لأحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي ، ص٣٧٨ تحقيق : عبد الله بن محمد الحاشدي ، مكتبة السوادي ، جدة ، ط: ١ ، وانظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، ص٤٢٣ وما بعدها ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ط:٧ ، ١٣٧٧هـ.

[٢] أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ ، كتاب التفسير، باب سورة الجاثية ، ص١٢٤١ ، ح ٤٨٢٦.

[٣] الإمام ابن حنبل (١٦٤ – ٢٤١ هـ) أحمد محمد بن حنبل، أبو عبد الله، الشيباني الوائلي: إمام أهل السنة ، وأحد الائمة الاربعة ، أصله من مرو، وكان أبوه والي سرخس، وولد ببغداد ، فنشأ منكباً على طلب العلم، وسافر أسفاراً كثيرةً طلباً للعلم ، وفي أيامه دعا المأمون إلى القول بخلق القرآن ومات قبل أن يناظر ابن حنبل، وتولى المعتصم فسجن ابن حنبل ثمانية وعشرين شهرا لامتناعه عن القول بخلق القرآن، وأطلق سنة ٢٢٠ هـ ولم يصبه شر في زمن الواثق بالله – بعد المعتصم – ولما توفي الواثق وولي أخوه المتوكل ابن المعتصم أكرم الإمام ابن حنبل وقدمه، ومكث مدة لا يولي أحدا إلا بمشورته، وتوفي الإمام وهو على تقدمه عند المتوكل ، من مؤلفاته : المسند ، ويحتوي على ثلاثين ألف حديث ، وله كتاب الناسخ والمنسوخ ، انظر الأعلام للزركلي ١/ ٢٠٣ .

[٤] نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي ، أبو عبد الله ، الإمام الحافظ ، أول من جمع " المسند " في الحديث ، كان من أعلم الناس بالفرائض ، ولد في مرو الشاهجان، وأقام مدة في العراق والحجاز يطلب الحديث ، ثم سكن مصر، ولم يزل فيها إلى أن حمل إلى العراق في خلافة المعتصم، وسئل عن القرآن: أمخلوق هو ؟ فأبى أن يجيب، فحبس في سامراء، ومات في سجنه ، من مؤلفاته : الفتن والملاحم .انظر سير أعلام النبلاء ١٠/٥٩٥ –٦١٥ ، الأعلام للزركلي ٨/٤٠.

ليس قبله شيء، وهو الآخر ليس بعده شيء، فهذا المعنى صحيح إنما النزاع في كونه يسمى دهراً بكل حال ، فقد أجمع المسلمون، وهو مما علم بالعقل الصريح، أن الله – سبحانه وتعالى – ليس هو الدهر، الذي هو الزمان، أو ما يجرى مجرى الزمان .[1]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً ذلك :" قد أخبر سبحانه بخلقه الزمان في غير موضع كقوله : ﴿... وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ...①﴾ [الأنعام: ١] ، وقوله : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ㉝﴾ [الأنبياء: ٣٣] وقوله : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا㉒﴾ [الفرقان: ٦٢]...وغير ذلك من النصوص التي تبين أنه خالق الزمان .

ولا يتوهم عاقل أن الله هو الزمان ؛ فإن الزمان مقدار الحركة ، والحركة مقدارها من باب الأعراض والصفات القائمة بغيرها : كالحركة والسكون والسواد والبياض ، ولا يقول عاقل إن خالق العالم هو من باب الأعراض والصفات المفتقرة إلى الجواهر والأعيان فإن الأعراض لا تقوم بنفسها بل هي مفتقرة إلى محل تقوم به والمفتقر إلى ما يغايره لا يوجد بنفسه بل بذلك الغير فهو محتاج إلى ما به في نفسه من غيره فكيف يكون هو الخالق ؟

ثم أن يستغني بنفسه وأن يحتاج إليه ما سواه وهذه صفة الخالق سبحانه فكيف يتوهم أنه من النوع الأول ."[2]

---

[1] انظر مجموع الفتاوى ٤٩٣/٢ – ٤٩٤.

[2] مجموع الفتاوى ٤٩٢/٢.

المبحث الثاني : توحيد الألوهية:

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريفه .

المطلب الثاني : أنواع الشرك في الألوهية .

المطلب الثالث : التوسل وأقسامه ، والغلو في الصالحين .

المطلب الرابع : النذر وأقسامه .

المبحث الثاني :– توحيد الألوهية :

يقول الدهلوي : " ..أجمع الأنبياء عليهم السلام على توحيد الله تعالى عبادةً واستعانة ، وتنزيهه عما لا يليق بجلاله ، وتحريم الإلحاد في أسماءه .."[1]

المطلب الأول :– تعريف توحيد الألوهية :

تعريف الأُلوهية : الإله هو المألوه ، أي المعبود ، قال الجوهري في الصحاح :" أله بالفتح إلاهة ، أي عبد عبادة ، ومنه قولنا الله ، وأصله إلاه على فعال بمعنى مفعول لأنه مألوه أي معبود كقولنا إمام فعال بمعنى مفعول لأنه مؤتم به ، فلما أدخلت الألف واللام حذفت الهمزة تخفيفاً ، والتأليه : التعبيد ، والتأله التنسك والتعبد "[2]

وفي الاصطلاح الشرعي : هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة ، أو توحيد الله بأفعال العباد التي تعبدهم بها ، كالمحبة والخوف والرجاء والتوكل والدعاء والاستعانة والصلاة والذبح ونحو ذلك .[3]

والعبادة لا تصرف إلا لله ، قال تعالى : ﴿.. أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ۝٤٠﴾ [يوسف: ٤٠].

وهذا هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله ، فاللام فيها نافية للجنس والمنفي المعبود الحق ، وإلا أداة استثناء والمستثنى الله جل جلاله .[1]

---

[1] حجة الله البالغة ١/١٩٩–٢٠٠.

[2] كتاب الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، ٦/٢٢٢٣–٢٢٢٤ ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط:٤، ١٤٠٧ هـ.

[3] انظر تيسير العزيز الحميد ص٢٠ .

يقول ابن أبي العز[2] عن شهادة التوحيد (لا إله إلا الله)" وهي أول واجب على المكلف ، لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم ، بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان"[3].

ويقول الدهلوي :" قوله ﷺ : ((لقنوا موتاكم لا إله إلا الله))[4]...أقول : هذا غاية الإحسان بالمختصر بحسب صلاح معاده ، وإنما خص (لا إله إلا الله) ؛ لأنه أفضل الذكر مشتمل على التوحيد ونفي الإشراك" [5]

وقال أيضاً :" ومنها لا إله إلا الله وله بطون كثيرة : فالبطن الأول طرد الشرك الجلي ، والثاني طرد الشرك الخفي ، والثالث طرد الحجب المانعة عن الوصول إلى معرفة الله...وورد من فضل من قالها مائة كانت له عدل عشر رقاب ...[6] ؛ وذلك لأنها جامعة بين المعرفة الثبوتية والسلبية ، والسلبية أقرب لمحو الذنوب ، والثبوتية أفيد لوجود الحسنات وتمثل الأجزية."[7]

---

[1] إعراب القرآن وبيانه ، لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش ، ١٢٢/١ ، دار الإرشاد للشؤون الجامعية ، حمص ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت) ،ط: ٤ ، ١٤١٥هـ .

[2] ابن أبي العز (٧٣١ - ٧٩٢ هـ) علي بن علي بن محمد بن أبي العز، الحنفي الدمشقي، فقيه كان قاضي القضاة بدمشق، ثم بالديار المصرية، ثم بدمشق ، وامتحن بسبب اعتراضه على قصيدة لابن أيبك الدمشقي، له كتب، منها " التنبيه على مشكلات الهداية - خ " فقه، و " النور اللامع فيما يعمل به في الجامع " أي جامع بني أمية ، انظر الأعلام للزركلي ٣١٣/٤.

[3] شرح العقيدة الطحاوية ص٢٧ .

[4] أخرجه مسلم في كتاب الجنائز من رواية أبي سعيد الخدري ﷺ ، باب تلقين الموتى لا إله إلا الله ، ص٨٢١-٨٢٢ ،ح ٩١٧.

[5] حجة الله البالغة ٦٣/٢.

[6] رواه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة أبليس وجنوده ،ص٢٦٦ ، ح ٣٢٩٣ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ ((مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ (كَانَ) لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.))

[7] حجة الله البالغة ١٢٨/٢.

ومن الأدلة عليه أيضاً :

قوله تعالى : ﴿۞وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ .. ٣٦﴾ [النساء: ٣٦] ،

وقوله سبحانه : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ٥﴾ [البينة: ٥].

وقوله ﷻ : ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا٢٠﴾ [الجن: ٢٠].

ومن السنة : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن ((إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم ، فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ،فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ..))[١]

أهمية توحيد الألوهية :

ومن أهمية هذا التوحيد أنه الغاية من خلق الجن والأنس كما قال الله ﷻ : ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦] .

ومن أهميته أيضاً أنه أول دعوة الرسل يقول الله تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥] .

[١] رواه البخاري من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ،كتاب الزكاة ، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء ، ص١١٨، ح ١٤٩٦ .

يقول الدهلوي :" وكل نبي يبعث في قومه فإنه لابد أن يفهمهم حقيقة الإشراك ، ويميز كُلاً من الدرجتين ، ويحصر الدرجة المقدسة في الواجب ...كما قال ﷺ : ((السيد هو الله)) " [1] [2]

ويقول ابن القيم:"وغالب سور القرآن بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد ، بل نقول قولا كلياً ، إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد ، شاهدة به داعية إليه ، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، فهو التوحيد العلمي الخبري ، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له ، وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي ، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره فهي حقوق التوحيد ومكملاته وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته ، وما فعل بهم في الدنيا ، وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده ، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال ، وما يحل بهم في العقبى من العذاب ، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد .

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه ، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم ، فا﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ توحيد ، ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ۝٢ ﴾ توحيد ، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ توحيد ، ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ۝٤ ﴾ توحيد ، ﴿ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ۝٥ ﴾ توحيد ، ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ، توحيد متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد الذين أنعم الله عليهم ، ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ۝٧﴾ الذين فارقوا التوحيد ولذلك شهد الله لنفسه بهذا التوحيد ، وشهد له به ملائكته وأنبياؤه ورسله عليهم الصلاة والسلام ، قال تعالى : ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

---

[1] أخرجه أبو داود باختلاف يسير عن عبد الله بن الشخير ﷺ ، باب في كراهية التمادح ، ص ١٥٧٧ ، ح ٤٨٠٦، قال ((انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول اللهِ ﷺ فقلنا أنت سيدنا فقال السيد الله تبارك وتعالى . قلنا : وأفضلنا فضلا ، وأعظمنا طولا ، فقال : قولوا بقولكم ، أو بعض قولكم ، ولا يستجرينكم الشيطان))وصححه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح ، لمحمد بن عبد الله الخطيب العمري، لأبي عبد الله ولي الدين التبريزي ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط:٣، ١٩٨٥م ، حديث ١٣٧٣.

[2] حجة الله البالغة ٤٢/١ .

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ۝١٨ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ .. ﴾ [آل عمران: ١٨-١٩] "[١]

وبعد أن وضح الدهلوي مسألة توحيد العبادة لله ﷻ لا شريك له قال بعد ذلك :" وإن كنت في ريب مما ذكرنا ، فانظر فيما قص الله تعالى في القرآن العظيم واحتج عليهم بما عندهم من بقية العلم ، وكشف ما أدخلوه فيه من الشبه والشكوك ، لا سيما قوله تعالى لما أنكروا نزول القرآن ﴿.. قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ ..۝٩١﴾ [الأنعام: ٩١] ، ولما قالوا:﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ ۝٧﴾ [الفرقان: ٧] ، أنزل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ..﴾ [الأحقاف: ٩] ، وما يشابه ذلك .

فتعلم من هنالك أن المشركين وإن كانوا قد تباعدوا عن المحجة المستقيمة ، لكن كانوا بحيث تقوم عليهم الحجة ببقية ما عندهم من العلم ، وانظر إلى خطب حكمائهم كقس بن ساعدة[٢] ، وزيد بن عمرو بن نفيل [٣]...، بل لو أمعنت في تصفح أخبارهم غاية الأمعان وجدت أفاضلهم وحكماءهم كانوا يقولون بالمعاد وبالحفظة وغير ذلك .

ويثبتون التوحيد على وجهه حتى قال زيد بن عمرو ابن نفيل في شعره :

(عبادك يخطئون وأنت ربٌ ** بكفيك المنايا والحتوم)

---

[١] مدارج السالكين ٣/٤٤٩-٤٥٠

[٢] قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك ، من بني إياد: أحد حكماء العرب ، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية ،كان أسقف نجران ، ويقال: إنه أول عربي خطب متوكئا على سيف أو عصا ، وأول من قال في كلامه " أما بعد ". وكان يفد على قيصر الروم زائراً ، فيكرمه ويعظمه ، وهو معدود في المعمرين، طالت حياته وأدركه النبي ﷺ قبل النّبوّة ، انظر الأعلام للزركلي ص٥/١٩٦ .

[٣] زيد بن عمرو (٠٠٠ – ١٧ ق هـ) زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى، القرشي العدوي: نصير المرأة في الجاهلية، وأحد الحكماء ، وهو ابن عم عمر بن الخطاب ، لم يدرك الاسلام ، وكان يكره عبادة الأوثان ولا يأكل مما ذبح عليها ، ورحل إلى الشام باحثاً عن عبادات أهلها ، فلم تستمله اليهودية ولا النصرانية ، فعاد إلى مكة يعبد الله على دين إبراهيم ، وجاهر بعداء الأوثان ، توفي قبل مبعث النبي ﷺ بخمس سنين ، انظر الأعلام للزركلي ٣/٦٠ .

وقال أيضاً :

(أرباً واحداً أم ألف ربٍ ** أدين إذا تقسمت الأمور)

(تركت اللات والعزى جميعاً **كذلك يفعل الرجل البصير)

... وذلك مما توارثوه من منهاج إسمعيل - عليه السلام -، ودخل فيهم من أهل الكتاب ، وكان من المعلوم عندهم أن كمال الإنسان أن يسلم وجهه لربه ..."[1].

[1] حجة الله البالغة ١/٢٨٨.

المطلب الثاني :- أنواع الشرك في الألوهية :

١- **شرك الدعوة ، أي الدعاء** ، يقول الدهلوي : " منهم من نسي جلال الله بالكلية ، فجعل لا يعبد إلا الشركاء ، ولا يرفع حاجته إلا إليهم ، لا يلتفت إلى الله أصلاً ، وإن كان يعلم بالنظر البرهاني أن سلسلة الوجود تنصرم إلى الله، ومنهم من اعتقد أن الله هو السيد وهو المدبر، لكنه قد يخلع على بعض عبيده لباس الشرف والتأله ، ويجعله متصرفاً في بعض الأمور الخاصة ، ويقبل شفاعته في عباده ، بمنزلة ملك الملوك يبعث على كل قطر ملكاً ، ويقلده تدبير تلك المملكة فيما عدا الأمور العظام ، فيتلجلج لسانه أن يسميهم عباد الله ، فيسويهم وغيرهم ، فعدل عن ذلك إلى تسميتهم أبناء الله ومحبوبي الله، وسمى نفسه عبداً لأولئك ،كعبد المسيح وعبد العزى ، وهذا مرض جمهور اليهود والنصارى والمشركين وبعض الغلاة من منافقي دين محمد ﷺ يومنا هذا. "[١]

[١] حجة الله البالغة ٢٨٨/١.

وهذا لا شك في بطلانه فقد قال ﷻ : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] ، فبابه مفتوح ولا يحتاج الدخول إليه – وله المثل الأعلى – إلى ما قال هؤلاء فهو قريب مجيب ، يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ، والدعاء من أعظم أنواع العبادة ، بل هو لب العبادة كما قال النبي ﷺ : ((الدعاء هو العبادة))[1] ، وقال الله تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

ولما ثبت أن الدعاء عبادة ، فصرفه لغير الله شرك ، فمن دعا نبياً أو ملكاً أو ولياً أو قبراً أو حجراً أو غير ذلك من المخلوقين فهو مشركٌ شركاً أكبر ، كما قال تعالى : ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] .

ومن الأدلة على أن الدعاء عبادة وأن صرفه لغير الله شرك قوله تعالى : ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] ، فأخبر عن هؤلاء المشركين بأنهم يشركون بالله في رخائهم ، ويخلصون له في كربهم وشدتهم ، فكيف بمن يشرك بالله في الرخاء والشدة عياذاً بالله ، ومن أعظم ما عبد المشركون به أصحاب القبور دعاءهم من دون الله تعالى .

٢ – **شرك النية والإرادة والقصد** ، وذلك أن ينوي بأعماله الدنيا أو السمعة فقط ، إرادة كلية كأهل النفاق الخالص ، ولم يقصد بها وجه الله والدار الآخرة ، فهو مشركٌ شركاً أكبر ، قال الله تعالى : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦] .

٣– **شرك الطاعة** ، يقول الدهلوي : "ومنها أنهم كانوا يتخذون أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله تعالى ، بمعنى أنهم كانوا يعتقدون أن ما أحله هؤلاء حلال لا بأس به في نفس الأمر ، وأن ما حرمه هؤلاء حرام يؤاخذون به في نفس الأمر ، ولما نزل قوله تعالى:﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا

---

[1] أخرجه أبو داود ، من حديث النعمان بن بشير ، كتاب الوتر ، باب الدعاء ، ص١٣٣٣، ح ١٤٧٩ ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود وضعيفه ، ١٩/٥ ، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع ، الكويت ، ط:١ ، ١٤٢٣ هـ .

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١] .

سأل عدي بن حاتم رسول الله ﷺ عن ذلك فقال : ((كانوا يحلون لهم أشياء فيستحلونها ، ويحرمون عليهم أشياء فيحرمونها)).[١]

وسر ذلك أن التحليل والتحريم عبارة عن تكوين نافذ في الملكوت أن الشيء الفلاني يؤاخذ به أو لا يؤاخذ به ، فيكون هذا التكوين سبباً للمؤاخذة وتركها ، وهذا من صفات الله تعالى ، وأما نسبة التحليل والتحريم إلى النبي ﷺ ، فبمعنى أن قوله أمارةٌ قطعيةٌ لتحليل الله وتحريمه ، وأما نسبتها إلى المجتهدين من أمته ، فبمعنى روايتهم ذلك عن الشرع ، من نص الشارع أو استنباط معنى من كلامه .[٢]

وأعلم أن الله تعالى إذا بعث رسولاً ، وثبت رسالته بالمعجزة ، وأحل على لسانه بعض ما كان حراماً عندهم ، ووجد بعض الناس في نفسه انحجاماً عنه ، وبقي في نفسه ميل إلى حرمته لما وجد في ملته من تحريمه ، فهذا على وجهين : إن كان لتردد في ثبوت هذه الشريعة ، فهو كافر بالنبي – ﷺ – ، وإن كان لاعتقاد وقوع التحريم الأول تحريماً لا يحتمل النسخ لأجل أنه تبارك وتعالى خلع على عبد خلعة الألوهية ، أو صار فانياً في الله باقياً به ، فصار نهيه عن فعل أو كراهيته له مستوجباً لحرم في ماله وأهله ، فذلك مشرك بالله تعالى ، مثبتٌ لغيره غضباً وسخطاً مقدسين وتحليلاً وتحريماً مقدسين .

[١] أخرجه الترمذي بنحوه ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة التوبة .ص(١٩٦٤) ، ح (٣٠٩٥) عن عدي بن حاتم ﷺ قال ((أتيتُ النَّبيَّ ﷺ وفي عنقي صليبٌ من ذَهبٍ ، فقالَ يا عديُّ اطرح عنْكَ هذا الوثَنَ وسمعتُهُ يقرأُ في سورةِ براءةٌ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قالَ أما إنَّهم لم يَكونوا يعبدونَهم ولَكنَّهم كانوا إذا أحلُّوا لَهم شيئاً استحلُّوهُ وإذا حرَّموا عليْهم شيئاً حرَّموه)) وقال عنه هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب ، وحسنه الألباني ، في صحيح وضعيف الترمذي برقم ٣٠٩٥.

[٢] وهذا مذهب بعض الجبرية من الأشاعرة والماتريدية وغيرهم ، والحق أنه ليس أمارة ولا علامة ، بل هو مبين عن كلام الله تعالى ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤] .

وتفسير الآية الذي لا إشكال فيه : طاعة العلماء والعباد في المعصية (أي في تبديل حكم الله) لا دعاؤهم إياهم ، كما فسرها النبي ﷺ لعدي بن حاتم – رضي الله عنه – لما سأله فقال : لسنا نعبدهم ؟ فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية (في تبديل حكم الله) ، فقال : ((أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه ، قال : بلى ،قال : ((فتلك عبادتهم))[1]"[2].

فمن أطاع المخلوقين في تحليل ما حرم الله ، أو تحريم ما أحل الله ، ويعتقد ذلك بقلبه ، أي أنه يسوغ لهم أن يحللوا ويحرموا ، ويسوغ له ولغيره طاعته في ذلك ، مع علمه بأنه مخالف لدين الإسلام ، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله ، وأشرك بالله الشرك الأكبر ، وأما من لم يعتقد ذلك بقلبه فهذا عاصٍ ولا يخرج من ملة الإسلام .

٤– شرك المحبة ، والمراد محبة العبودية المستلزمة للإجلال والتعظيم والذل والخضوع التي لا تنبغي إلا لله وحده لا شريك له ، ومتى صرف العبد هذه المحبة لغير الله فقد أشرك به الشرك الأكبر ، والدليل قوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ١٦٥﴾ [البقرة: ١٦٥] .[3]

[1] سبق تخريجه .

[2] انظر حجة الله البالغة ١/١٤٦–١٤٧.

[3] أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ، لنخبة من العلماء ، ص٦١–٦٥ ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، الرياض ، ط: ١ ، ١٤٢١هـ.

المطلب الثالث :التوسل وأقسامه والتوسل بالصالحين:

يقول الدهلوي حاكياً حال أهل الجاهلية : " وأن هناك لأدعية الملائكة المقربين وأفاضل الآدميين تأثيراً بوجه من الوجوه ، لكن صار ذلك في أذهانهم متمثلاً بشفاعة ندماء الملوك." [1]

ومحصل كلام الدهلوي هنا : هو أن أهل الجاهلية اتخذوا الملائكة وأفاضل الآدميين شفعاء يتوسلون بهم إلى الله فلا يلتجئون إلى الله مباشرة بل الى الملائكة والمقربين وقاسوا ذلك بحال المخلوقين من ملوك الأرض – تعالى الله عن ذلك – ، وهذا هو التوسل الممنوع ،كما سوف أبينه في هذا المطلب.

أولاً :التوسل :

التوسل إلى الشيء في عرف أهل اللسان: هو التقرب إليه ، واستعمال السبب الموصل إليه، وهو الوسيلة.

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥] ، قال ابن جرير[2] في تفسير هذه الآية :"الوسيلة هي الفعيلة من قول القائل: توسلت إلى فلان بكذا بمعنى تقربت إليه...وقوله: وابتغوا إليه الوسيلة يقول: واطلبوا القرب إليه بالعمل بما يرضيه"[3]

[1] حجة الله البالغة ٢٨٧/١.

[2] ابن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الامام ، ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها ، وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى ، من مؤلفاته : أخبار الرسل والملوك وجامع البيان في تفسير القرآن ويعرف بتفسير الطبري، الأعلام للزركلي ٦٨/٦-٦٩ .

[3] جامع البيان في تأويل القرآن ، لأبي جعفر الطبري ، ٢٧٠/١٠ ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط: ١ ، ١٤٢٠ هـ.

وجاء في الصحاح : "الوسيلة: ما يتقرب به إلى الغير، والجمع الوسيل والوسائل، والتوسيل والتوسل واحد، يقال وسل فلان إلى ربه وسيلة ، وتوسل إليه بوسيلة ، أي تقرب إليه بعمل..."[١] .

أما التوسل في الشرع فهو : فهو على قسمين :

توسل مشروع وتوسل ممنوع ، وكلاهما داخلان في معنى التقرب .

ثانياً : أقسام التوسل :

يقسم العلماء التوسل إلى الله إلى قسمين :

أولا . توسل مشروع.

ثانيا . توسل ممنوع.

فالتوسل المشروع ما قام عليه دليلٌ من الشرع وهو خمسة أنواع:

أ- التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا:

وصفته أن يقول المسلم في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم اللطيف الخبير أن تعافيني ، أو يقول: أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن ترحمني وتغفر لي.

ودليل مشروعية هذا التوسل من الكتاب قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ومن السنة حديث أنس بن مالك ﵁ وفيه أنه كان مع رسول الله ﷺ جالساً ورجل يصلي، ثم دعا: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض، يا ذا

[١] الصحاح ١٨٤١/٥.

الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال النبي ﷺ : ((لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى))[1].

ب– التوسل بالعمل الصالح:

وصفته كأن يقول المسلم في دعائه: اللهم بإيماني بك ومحبتي لك واتباعي لرسولك اغفر لي.

ودليل مشروعية هذا التوسل من الكتاب قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ۝٣٥﴾ [المائدة: ٣٥].

وقوله جلّ وعلا: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا۝٥٧﴾ [الإسراء: ٥٧].

وقوله جل وعلا: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ۝١٦﴾ [آل عمران: ١٦].

ومن السنة: ما تضمنته قصة أصحاب الغار الثلاثة كما يرويها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((خرج ثلاثة نفر يمشون فأصابهم المطر، فدخلوا في غار في جبل، فانحطت عليهم صخرة، قال: فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه، فقال أحدهم: اللهم إني كان لي أبوان شيخان كبيران، فكنت أخرج فأرعى، ثم أجيء فأحلب فأجيء بالحلاب، فآتي به أبوي فيشربان، ثم أسقي الصبية وأهلي وامرأتي، فاحتبست ليلة، فجئت فإذا هما نائمان، قال: فكرهت أن أوقظهما، والصبية يتضاغون عند رجلي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما، حتى طلع الفجر، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فرجة نرى منها السماء، قال: ففرج عنهم، وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أني كنت أحب امرأة من

---

[1] أخرجه أبو داود ،كتاب الوتر ، باب الدعاء، ص١٣٣٣-١٣٣٤، ح ١٤٩٥ .وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٢٢٣/٥ ، ح ١٣٤٢.

بنات عمي كأشد ما يحب الرجل النساء، فقالت: لا تنال ذلك منها حتى تعطيها مائة دينار، فسعيت فيها حتى جمعتها، فلما قعدت بين رجليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركتها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فرجة، قال: ففرج عنهم الثلثين، وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أني استأجرت أجيرا بفرق من ذرة فأعطيته، وأبى ذاك أن يأخذ، فعمدت إلى ذلك الفرق فزرعته، حتى اشتريت منه بقرا وراعيها، ثم جاء فقال: يا عبد الله أعطني حقي، فقلت: انطلق إلى تلك البقر وراعيها فإنها لك، فقال: أتستهزئ بي؟ قال: فقلت: ما أستهزئ بك ولكنها لك، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فكشف عنهم)) .[1]

ج- **التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابة دعائه** ، كأن يذهب المسلم إلى رجل يرى فيه الصلاح والتقوى والمحافظة على طاعة الله ، فيطلب منه أن يدعو له ربه ليفرج الله كربته وييسر أمره .

ويدل على مشروعية هذا النوع أن الصحابة ﷺ كانوا يسألون النبي ﷺ أن يدعو لهم بدعاء عام ودعاء خاص .

ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك ﷺ : ((أن رجلاً دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبل رسول ﷺ قائماً فقال : يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا ، قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال : اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا ، قال أنس : ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئا ، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار ، قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء انتشرت ، ثم أمطرت ، قال : والله ما رأينا الشمس ستا ، ثم دخل رجل من

---

[1] رواه البخاري ، كتاب البيوع ، باب إذا اشترى شيئاً لغيره بغير أذنه فرضي ، ص١٧١-١٧٢ ، ح ٢٢١٥.

ذلك الباب في الجمعة المقبلة- ورسول الله ﷺ قائم يخطب- فاستقبله قائما فقال : يا رسول الله ، هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله يمسكها ، قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والجبال والظراب ومنابت الشجر ، قال : فانقطعت ، وخرجنا نمشي في الشمس)) ، قال شريك : فسألت أنساً : أهو الرجل الأول ؟ قَال : لا أدري))[1] .

وهذا التوسل يكون في حياة المدعو أما بعد مماته فلا يجوز وهو شرك أكبر .

د- : التوسل بالاعتراف بالذنب :

كما قال الله تعالى عن يونس ﷺ:﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧] .

هـ- التوسل إلى الله بإظهار الضعف والعجز :

ومن ذلك قصة نبي الله أيوب ﷺ قال الله تعالى حاكياً قوله :

﴿۞وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ٨٣﴾ [الأنبياء: ٨٣] .

والتوسل الممنوع : هو التقرب إلى الله تعالى بوسيلة ممنوعة ، وهو أربعة أنواع :

١- التوسل إلى الله تعالى بسؤال الأموات ودعائهم .

٢- التوسل إلى الله تعالى بطلب الدعاء من الأموات .

٣- التوسل إلى الله تعالى بذوات المخلوقين .

٤- التوسل إلى الله تعالى بجاه المخلوقين أو حقهم .

---

[1] رواه البخاري ، كتاب الاستسقاء ، باب الاستسقاء في المسجد الجامع ، ص٧٩ ، ح ١٠١٣ .

وهي مترددة بين الشرك والبدعة ، فالتوسل بسؤالهم ودعائهم ، وطلب الدعاء منهم بعد وفاتهم شرك أكبر كما قال الله تعالى : ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٤-١٥] ، فسماه شركاً ؛ ولأجل هذا أرسل الله رسله وأنزل كتبه ؛ لتوحيده في العبادة جل وعلا ، قال تعالى:﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] ، وقال تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ولأن الميت في قبره لا يعلم الغيب ، لأن دعاء الغائب بدون الآلات الحسية معناه اعتقاد أنه يعلم الغيب أو أنه يسمع الدعاء وإن بَعُد، وهذا اعتقاد باطل يوجب كفر من اعتقده، يقول الله جل وعلا: قال تعالى : ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥].[١]

وقال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنعام: ٥٠] ، فأمر الله تعالى نبيه ﷺ بتفويض الأمر أليه ، وأن يخبر عن نفسه أنه لا يعلم الغيب، ولا اطلاع له على شيء من ذلك إلا بما أطلعه الله عليه ، كما أن الله سبحانه هو كاشف الضر وحده :﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧].[٢]

وقال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨] .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ

---

[١] انظر مجموع فتاوى الشيخ عبدالعزيز ابن باز ، ٣٣٥/٥ أشرف على جمعه وطبعه : محمد بن سعد الشويعر ، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد .

[٢] انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٢٣/٢ .

بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴿١٩٥﴾ [الأعراف: ١٩٤-١٩٥] وهذا نوع من التحدي للمشركين العابدين للأوثان، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ ﴾ أي: لا فرق بينكم وبينهم، فكلكم عبيد لله مملوكون، فإن كنتم كما تزعمون صادقين في أنها تستحق من العبادة شيئاً ﴿ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ فإن استجابوا لكم وحصَّلوا مطلوبكم، وإلا تبين أنكم كاذبون في هذه الدعوى، مفترون على الله أعظم الفرية، وهذا لا يحتاج إلى التبيين فيه، فإنكم إذا نظرتم إليها وجدتم صورتها دالة على أنه ليس لديها من النفع شيء،فليس لها أرجل تمشي بها، ولا أيد تبطش بها، ولا أعين تبصر بها، ولا آذان تسمع بها، فهي عادمة لجميع الآلات والقوى الموجودة في الإنسان.

فإذا كانت لا تجيبكم إذا دعوتموها، وهي عباد أمثالكم، بل أنتم أكمل منها وأقوى على كثير من الأشياء، فلأي شيء عبدتموها.

﴿قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ أي: اجتمعوا أنتم وشركاؤكم على إيقاع السوء والمكروه بي، من غير إمهال ولا إنظار فإنكم غير بالغين لشيء من المكروه بي.[1]

وهذا الميت لا يبصر مكان من يدعوه ولا يسمع كلامه ، كما قال الله تعالى : ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴿١٤﴾ [فاطر: ١٤] والآيات في ذلك كثيرة كما سبق .

يقول الدهلوي :"...وجعلوا هذا التوسل متمثلاً بشفاعة ندماء الملوك " [2].

وهذا قول عامة من يتوسل التوسل الممنوع ، وهذا مردود بقول الله جل جلاله : ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴿٣﴾ [الزمر: ٣]

---

[1] انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، ص٣١٢ ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط: ١ ، ١٤٢٠هـ.

[2] حجة الله البالغة ٢٨٧/١.

وبقوله تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] ، فبابه مفتوح ، وسؤاله مباشر بلا وسائط ، وله الملك والعزة سبحانه ، وهو أرحم الراحمين .

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ ، قال: كنا مع رسول الله ﷺ ، فكنا إذا أشرفنا على واد، هللنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا، فقال النبي ﷺ : ((يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنه معكم إنه سميع قريب، تبارك اسمه وتعالى جده))[1]

وأما التوسل بذواتهم أو جاههم أو حقهم بدعة منكرة .

والنبي ﷺ علم الصحابة أن التوسل به إنما هو التوسل بالإيمان به وطاعته ومحبته وموالاته، أو التوسل بدعائه في حياته ﷺ ، وسؤال شفاعته من الله ﷻ ، فلهذا لم يكونوا يتوسلون بذاته مجردة عن هذا وهذا. [2]

ثالثاً : الغلو في الصالحين :

يقول الدهلوي : "...حقيقة الشرك أن يعتقد إنسان في بعض المعظمين من الناس أن الآثار العجيبة الصادرة منه إنما صدرت لكونه متصفاً بصفة من صفات الكمال مما لم يعهد في جنس الإنسان ، بل يختص بالواجب جل مجده ما لا يوجد في غيره إلا أن يخلع هو خلعة الألوهية على غيره ، أو يفنى غيره في ذاته ويبقى بذاته أو نحو ذلك مما يظنه هذا المعتقد من أنواع الخرافات ، كما ورد في الحديث : ((إن المشركين كانوا يلبون بهذه الصيغة : لبيك لبيك لا شريك لك – إلا

[1] أخرجه البخاري ، كتاب :الدعوات ، باب : الدعاء إذا علا العقبة ، ص٥٣٦ ، ح٦٣٨٤ .

[2] انظر قاعدة جليلة في التوسل الوسيلة ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي ، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي ، ص٢٦ ، ص٢٧٤ وما بعدهما ، مكتبة الفرقان ، عجمان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.

شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك)) [1] ، فيتذلل عنده أقصى التذلل ، ويعامل معه معاملة العباد مع الله تعالى ".[2]

ويقول في موضعٍ آخر تعليقاً على حديث النبي ﷺ :((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا ومسجدِ الحرام ومسجدِ الأقصى)) [3] " أقول كان أهل الجاهلية يقصدون مواضع معظمة بزعمهم يزورونها ويتبركون بها ، وفيه من التحريف والفساد ما لا يخفى ، فسد النبي ﷺ الفساد لئلا يلتحق غير الشعائر بالشعائر ، ولئلا يصير ذريعة لعبادة غير الله ، والحق عندي أن القبر ومحل عبادة ولي من أولياء الله والطور كل ذلك سواءٌ في النهي والله أعلم " [4]

وذكر هذه العلة أيضاً في موضعٍ آخر يقول فيه :" ونهى أن يصلي في سبعة مواطن في المزبلة والمقبرة ، والمجزرة ، وقارعة الطريق ، وفي الحمام ، وفي معاطن الإبل ، وفوق ظهر بيت الله [5]، ؛وأقول الحكمة في النهي عن المزبلة والمجزرة أنهما موضعا نجاسة ، والمناسب للصلاة هو التطهر

---

[1] رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما ،كتاب الحج ، باب التلبية وصفتها ووقتها ،ص٨٧٠ ، ح ١١٨٥ ، قَالَ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " وَيْلَكُمْ قَدْ قَدْ "، فَيَقُولُونَ: إِلَّا شَرِيكاً هُوَ لَكَ تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ، يَقُولُونَ: هَذَا وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ

[2] المصدر السابق ١/١٤٥.

[3] رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ ،كتاب الحج ، باب فضل المساجد الثلاثة ،ص٩٠٩ ، ح ١٣٩٧ ، عن أبي هريرة ﷺ يبلغ به النبي ﷺ : ((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا ومسجدِ الحرام ومسجدِ الأقصى))

[4] حجة الله البالغة ١/٤٣٢.

[5] رواه الترمذي واللفظ له عن ابن عمر رضي الله عنهما ،كتاب : الصلاة ، باب ما جاء في الرجل يصلي لغير القبلة في الغيم ، ص ١٦٧٤ ، ح ٣٤٦ ، وابن ماجة بنحوه ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، كتاب المساجد ،باب المواضع التي تكره فيها الصلاة ، ص٢٥٢١ ، ح ٧٤٦ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى أَنْ يُصَلَّى فِي سَبْعَةِ مَوَاطِنَ : فِي الْمَزْبَلَةِ ، وَالْمَجْزَرَةِ ، وَالْمَقْبَرَةِ ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ ، وَفِي الْحَمَّامِ ، وَفِي مَعَاطِنِ الْإِبِلِ ، وَفَوْقَ ظَهْرِ بَيْتِ اللَّهِ) غير أن هذا الحديث ضعيف .قَالَ الترمذي عقبه : "وَحَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ إِسْنَادُهُ لَيْسَ بِذَاكَ الْقَوِيِّ"، وقال الألباني عنه " ضعيف ..وفي الباب عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً بلفظ ((الأرض كلها مسجد إلا الحمام والمقبرة)) أخرجه أبو دواد –كتاب الصلاة ، باب المواضع التي لا تجوز فيها الصلاة ، ص١٢٥٩ ، ح ٤٢٩ — وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ". (إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، ١/٣٢٠ ، تحقيق : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت، ط : ٢ ،١٤٠٥هـ..

والتنظيف ، وفي المقبرة الاحتراز عن أن تتخذ قبور الأحبار والرهبان مساجد ؛بأن يسجد لها كالأوثان ، وهو الشرك الجلي ، أو يتقرب إلى الله بالصلاة في تلك المقابر ، وهو الشرك ، وهذا مفهوم قوله ﷺ : ((لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))[1].."[2]

فأشار الدهلوي ف كلامه السابق إلى حرمة الغلو في الصالحين كما هو مقرر معلوم في الكتاب والسنة ، وقد أورد على ذلك الأدلة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " فحرم ﷺ أن تتخذ قبورهم مساجد بقصد الصلوات فيها كما تقصد المساجد ، وإن كان القاصد لذلك إنما يقصد عبادة الله وحده؛ لأن ذلك ذريعة إلى أن يقصدوا المسجد لأجل صاحب القبر ودعائه والدعاء به والدعاء عنده ، فنهى رسول الله ﷺ عن اتخاذ هذا المكان لعبادة الله ..؛ لئلا يتخذ ذلك ذريعةً إلى الشرك بالله ، والفعل إذا كان يفضي إلى مفسدة ، وليس فيه مصلحةٌ راجحةٌ ينهى عنه، كما نهى عن الصلاة في الأوقات الثلاثة [3]، لما في ذلك من المفسدة الراجحة، وهو التشبه بالمشركين الذي يفضي إلى الشرك، وليس في قصد الصلاة في تلك الأوقات مصلحة راجحة ؛ لإمكان التطوع في غير ذلك من الأوقات."[4]

ويقول ابن القيم :" وكان أول ما كاد به عباد الأصنام من جهة العكوف على القبور وتصاوير أهلها ليتذكروهم بها ،كما قص الله سبحانه قصصهم في كتابه فقال : ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣]"[5]

---

[1] أخرجه البخاري ، من حديث عائشة رضي الله عنها ،كتاب المغازي ، باب مرض النبي ﷺ ووفاته ، ص٣٦٤،ح٤٤١.

[2] حجة الله البالغة ١/٤٣٤-٤٣٥.

[3] وقت طلوع الشمس واستوائها في وسط السماء وغروبها.

[4] قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ١/٣١ .

[5] إغاثة اللهفان ٢/ ٩٧٥.

وعن ابن عباس –رضي الله عنهما – قال ((صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد ، أما ود كانت لكلب بدومة الجندل ، وأما سواع كانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع أسماء رجال صالحين من قوم نوح – ﷺ –، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً ، وسموها بأسمائهم ففعلوا ، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ، وتنسخ العلم عبدت)).[1]

وقد نهى النبي ﷺ بادئ الإسلام عن زيارة القبور ثم أمر بزيارتها ، وما ذلك إلا حمايةً لجناب التوحيد ، وحفظاً لأساس الدين ، فعن عبد الله بن بريدة عن أبيه ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها))[2]، وفي لفظ عند الترمذي: ((فإنها تذكر الآخرة)).[3]

وهكذا الشيطان يوحي إلى أولياءه تعظيم الصالحين وتعظيم قبورهم ثم الجلوس عندها والبناء عليها والدعاء عندها حتى تدعى من دون الله .

يقول ابن القيم :" فاعلم أن القلوب إذا اشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن فتجد أكثر هؤلاء العاكفين على القبور معرضين عن طريقة من فيها وهديه وسنته مشتغلين بقبره عما أمر به ودعا إليه .

---

[1] أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، كتاب التفسير ، باب تفسير سورة نوح ﷺ ،ص ص٤٢٣، ح٤٩٢٠.

[2] رواه مسلم كتاب الجنائز باب استئذان النبي ﷺ ربه ﷻ في زيارة قبر أمه ، ص٨٣١ ، ح ٢٢٦٠.

[3] رواه الترمذي ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور ، ص١٧٥٢، ح (١٠٥٤).قال الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي ٥٤/٣ ،ح١٠٥٤ ، صحيح .

وتعظيم الأنبياء والصالحين ومحبتهم إنما هي باتباع ما دعوا إليه من العلم النافع والعمل الصالح ، واقتفاء آثارهم ، وسلوك طريقتهم دون عبادة قبورهم ، والعكوف عليها ، واتخاذها أعيادا"[1] .

[1] إغاثة اللهفان ١/٣٨٥.

المطلب الرابع :- النذر وأقسامه :

يقول الدهلوي في مبحث أحكام النذور والإيمان "وليس النذر من أصول البر ولا الإيمان ، ولكن إذا أوجب الإنسان على نفسه ، وذكر اسم الله عليه ، وجب ألا يفرط في جنب الله وفيما ذكر عليه اسم الله ، ولذلك قال ﷺ : ((لا تنذروا فإن النذر لا يغني من القدر شيئاً ، وإنما يستخرج به من البخيل)) [1]، يعني أن الإنسان إذا أحيط به ، ربما يسهل عليه إنفاق شيء ، فإذا أنقذه الله من تلك المهلكة كان كأن لم يمسه ضر قط ، فلا بد من شيء يستخرج به ما التزمه على نفسه ، مما يؤكد عزيمته وينوه نيته."[2]

ويقول " ((والنذر على أقسام : النذر المبهم ، وفيه قوله ﷺ : ((كفارة النذر إن لم يسم كفارة اليمين [3])) ، والنذر المباح ، وفيه قوله ﷺ : ((أوف بنذرك))[4] بلا وجوب لما يأتي من قصة أبي إسرائيل ، ونذر طاعة في موضع بعينه أو بهيئة بعينها ، وفيه قصة أبي إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ، ولا يستظل ، ولا يتكلم ويصوم ، فقال رسول الله ﷺ : ((مروه فليتكلم وليستظل

---

[1] رواه مسلم ، كتاب النذر ، باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئاً ، ص ٩٦٤-٩٦٥ ، ح٤٢٤١.

[2] حجة الله البالغة ٣٥٧/٢.

[3] رواه الترمذي واللفظ له عن ابن عمر رضي الله عنهما ، كتاب : الصلاة ، باب ما جاء في الرجل يصلي لغير القبلة في الغيم ، ص ١٦٧٤ ، ح ٣٤٦ ، وابن ماجة بنحوه ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، في باب المواضع التي تكره فيها الصلاة ، ص ٢٥٢١ ، ح ٧٤٦ عن ابن عمر رضي الله عنهما (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى أَنْ يُصَلَّى فِي سَبْعَةِ مَوَاطِنَ : فِي الْمَزْبَلَةِ ، وَالْمَجْزَرَةِ ، وَالْمَقْبَرَةِ ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ ، وَفِي الْحَمَّامِ ، وَفِي مَعَاطِنِ الْإِبِلِ ، وَفَوْقَ ظَهْرِ بَيْتِ اللَّهِ) غير أن هذا الحديث ضعيف .قَالَ الترمذي عقبه : "وحديث ابن عمر ليس بذاك القوي ".

والذي صح هو النهي عن الصلاة إلى المقبرة سدً لذريعة الشرك بالله ﷻ فعن أبي سعيد الخدري﷛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ إِلَّا الْمَقْبَرَةَ وَالْحَمَّامَ) الألباني في "الإرواء" ٣٢٠/١ .

[4] رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما ، كتاب الاعتكاف ، باب ما لم يرى عليه إذا اعتكف صوماً ، ص١٥٩ ، ح٢٠٤٢ ، عن نافع عن ابن عمر : ((أَنَّ عُمَرَ ﷛ ، نَذَرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، قَالَ: أُرَاهُ قَالَ لَيْلَةً، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:((أَوْفِ بِنَذْرِكَ)).

وليقعد وليتم صومه))[1]وقصة من نذر أن ينحر إبلاً ببوانة ، ليس بها وثن ولا عيد لأهل الجاهلية ، قال – ﷺ –: ((أوف بنذرك))[2] ، ونذر المعصية ، وفيه قوله ﷺ : ((من نذر نذراً في معصية فكفارته كفارة يمين)) [3]، ونذر مستحيل ، وفيه قوله ﷺ : ((ومن نذر نذراً لا يطيقه فكفارته كفارة يمين)).[4]

والأصل في هذا الباب أن الكفارة شرعت منهية للإثم ، مزيلة لما حاك في صدره ، فمن نذر بطاعة فليفعل ، ومن نذر غير ذلك ووجد في صدره حرجاً وجبت الكفارة والله أعلم " [5]

وهنا ذكر الدهلوي أقسام النذر وجعلها أربعة :

١- النذر المبهم .

٢- النذر المباح .

٣- نذر الطاعة.

٤- نذر المعصية.

---

[1] أخرجه البخاري من رواية ابن عباس رضي الله عنهما ، كتاب الأيمان والنذور ، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية ، ص ٥٦٠ ، ح٦٧٠٤، وأبو داود من رواية ابن عباس رضي الله عنهما ، كتاب الإيمان والنذور ، باب ما جاء في النذر في المعصية ، ص ١٩٠/٥، ح ٣٣٠٠ واللفظ له ، وصححه محققه شعيب الأرناؤوط (نسخة دار السلام الطبعة الأولى).

[2] أخرجه أبو داود من رواية ثابت بن الضحاك ﷺ ، كتاب الأيمان ، باب ما يؤمر به من وفاء النذر ص١٤٧٠ ، ح ٣٣١٣ واللفظ له ، حدثني ثابت الضحاك قال : " نَذَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلاً بِبُوَانَةَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلاً بِبُوَانَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِن أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟، قَالُوا: لَا، قَالَ: هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟، قَالُوا: لَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ " وصححه الألباني في صحيح أبي داود ح ٣٣١٣.

[3] رواه أبو دواد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، كتاب البيوع ، باب من نذر نذراً لا يطيقه ، ص ١٤٧٢ ، ح٣٣٢٢، قال: قال النبي ﷺ ((من نذرَ نذراً لم يسمِّهِ فَكفَّارتُهُ كفَّارةُ يمينٍ ومن نذرَ نذراً في معصيةٍ فَكفَّارتُهُ كفَّارةُ يمينٍ ومن نذرَ نذراً لا يطيقُهُ فَكفَّارتُهُ كفَّارةُ يمينٍ ومن نذرَ نذراً أطاقَهُ فليفِ بِه))، قال عنه الألباني في ضعيف أبي داود "ضعيف مرفوعا".

[4] سبق تخريجه في الحديث السابق .

[5] حجة الله البالغة ٣٥٩/٢.

ومما يلحق في نذر المعصية النذر البدعي ويلحق فيه النذر الشركي ، ومعلوم أن النذر عبادة وقربة، يتقرب بها الناذر إلى المنذور له، ولتعلق قلبه بواسطته، وتألهه له بدعائه إياه، ونذره ، وتوكله عليه فهي عبادة لله من صرفها لغيره فقد وقع في الشرك ، مثل أن ينذر شيئاً من ذبح بهيمة، أو تقديم طعام ، أو شراب ، أو شمع ، أو بخور لقبر نبي ، أو ولي ، أو غير ذلك ، بقصد طلب الشفاعة منه فهذا كله من التقرب للأموات ، وهو من الشرك الأكبر المخرج من الملة ، الموجب للخلود في النار، قال تعالى: ﴿... إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].[1]

ومن تأمل القرآن، وسنة المبعوث به ﷺ ، ونظر أحوال السلف الصالح، علم أن هذا النذر نظير ما جعلته المشركون لآلهتهم في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴿١٣٦﴾﴾ [الأنعام: ١٣٦] ، وقوله تعالى :﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴿٥٦﴾﴾ [النحل: ٥٦] ، ؛ وقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨] ، وقوله تعالى ﴿... وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ [الزمر: ٣].[2]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :" وأما النذر للقبور أو لسكان القبور أو العاكفين على القبور سواء كانت قبور الأنبياء أو الصالحين فهو نذر حرام باطل يشبه النذر للأوثان سواء كان نذر زيت أو شمع أو غير ذلك، .. وقال ﷺ : ((لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))[3] ..

---

[1] انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥٠٤/١١ ، تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبدالوهاب التميمي ص١٦٦ .

[2] المصدر السابق .

[3] سبق تخريجه .

وقد اتفق أئمة الدين على أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور، ولا أن تعلق عليها الستور، ولا أن ينذر لها النذور، ولا أن يوضع عندها الذهب والفضة، بل حكم هذه الأموال أن تصرف في مصالح المسلمين إذا لم يكن لها مستحق معين، ويجب هدم كل مسجد بني على قبر كائناً من كان الميت فإن ذلك من أكبر أسباب عبادة الأوثان كما قال تعالى:﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣] "[١].

وقال :" فالنذر لأولئك السدنة والمجاورين في هذه البقاع التي لا فضل في الشريعة للمجاور بها نذر معصية ، وفيه شبه من النذر لسدنة الصلبان والمجاورين عندها"[٢].

وبنهاية هذا المبحث يتبين موافقة الشيخ الدهلوي لأهل السنة والجماعة في توحيد العبادة وبيانه له ومدافعة عنه رحمه الله .

---

[١] مجموعة الرسائل والمسائل ، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، ١/٩٨-٩٩ ، تحقيق : محمد رشيد رضا ، محمد الأنور البلتاجي ، مكتبة وهبة القاهرة ، ط:٢ ، ١٤٢٠هـ.

[٢] اقتضاء الصراط المستقيم ١٥٩/٢ .

المبحث الثالث :توحيد الأسماء والصفات:

وفيه تسعة مطالب :

المطلب الأول : تعريفه .

المطلب الثاني : أنواع الانحراف فيه .

المطلب الثالث : حدوث الصفات .

المطلب الرابع : التفويض .

المطلب الخامس : الاستواء .

المطلب السادس : الرؤية .

المطلب السابع : النزول.

المطلب الثامن : الكلام عن لفظ الجسم .

المطلب التاسع : صفة الحياة والإرادة والكلام .

المبحث الثالث :– توحيد الأسماء والصفات :

يقول الدهلوي:"اعلم أن من أعظم أنواع البر الإيمان بصفات الله تعالى ، واعتقاد اتصافه بها ، فإنه يفتح باباً بين هذا العبد وبينه تعالى ، ويعده لانكشاف ما هنالك من المجد والكبرياء..."[1]

ويقول الدهلوي:"..أجمع الأنبياء عليهم السلام على توحيد الله تعالى عبادةً واستعانةً ، وتنزيهه عما لا يليق بجلاله ، وتحريم الإلحاد في أسماءه وأن حق الله على عباده أن يعظموه تعظيماً لا يشوبه تفريط ، وأن يسلموا وجوههم وقلوبهم إليه .." [2].

المطلب الأول : تعريف توحيد الأسماء والصفات :

سأتكلم أولاً عن تعريفه ثم المنهج في إثباته :

أولا : تعريفه :

توحيد الأسماء والصفات : هو إثبات ما أثبت الله لنفسه ، وأثبته له رسوله ﷺ ، ونفي ما نفى الله عن نفسه ، ونفاه عنه رسوله ﷺ من الأسماء والصفات والإقرار لله تعالى بمعانيها الصحيحة ، ودلالاتها ، واستشعار آثارها ، ومقتضياتها في الخلق.[3]

ثانياً : المنهج في إثباته :

يقوم المنهج الحق في باب الأسماء والصفات على الإيمان الكامل ، والتصديق الجازم بما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ، ولا تمثيل .[1]

---

[1] حجة الله البالغة ١/١٤٨.

[2] حجة الله البالغة ١/٢٠٠.

[3] انظر أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ص٧٧.

المطلب الثاني :- أنواع الانحراف في توحيد الأسماء والصفات :

قد انحرفت طوائف عن سلوك الطريق المستقيم في أسماء الله وصفاته ومن أهم سمات هذه الطوائف[2] :

١- **التحريف** : والتحريف هو : التغيير وإمالة الشيء عن وجهه .

وهو قسمان :

أ- تحريف لفظي : وذلك بالزيادة في الكلمة أو النقص أو تغيير حركة في الكلمة ،كتحريف في النونية :

نون اليهود ولام جهمي هما ... في وحي رب العرش زائدتان.[3]

ب - تحريف معنوي : وذلك بتفسير اللفظ على غير مراد الله ورسوله منه كمن فسر " اليد " لله تعالى بالقوة أو النعمة ، فإن هذا تفسير باطل لا يدل عليه الشرع ولا اللغة .

٢- **التعطيل** : هو نفي صفات الله تعالى كمن زعم أن الله تعالى لا يتصف بصفة .

والفرق بين التحريف والتعطيل هو أن التحريف نفي المعنى الصحيح الذي دلت عليه النصوص واستبداله بمعنى آخر غير صحيح أما التعطيل فهو نفي المعنى الصحيح من غير استبدال له بمعنى آخر .

٣- **التكييف** : تعيين كيفية الصفة والهيئة التي تكون عليها كفعل بعض المنحرفين في هذا الباب الذين يكيفون صفات الله فيقولون كيفية يده : كذا وكذا ، وكيفية استوائه على

---

[1] انظر مجموع الفتاوى ٣/٣ .

[2] أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ص٩٨ .

[3] متن القصيدة النونية ، محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن القيم الجوزية)، ص١٢١ ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط: ٢ ، ١٤١٧هـ .

هيئة كذا وكذا ، فإن هذا باطل إذ لا يعلم كيفية صفات الله إلا هو وحده وأما المخلوقون فإنهم يجهلون ذلك ويعجزون عن إدراكه .

٤- **التمثيل** : هو التشبيه كمن يقول لله سمع كسمعنا ووجه كوجهنا تعالى الله عن ذلك .

وينتظم المنهج الحق في باب الأسماء والصفات في ثلاثة أصول من حققها سلم من الانحراف في هذا الباب ، وهي :

الأصل الأول :تنزيه الله جل وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين.

الأصل الثاني : الإيمان بما سمى ووصف الله به نفسه ، وبما سماه ووصفه به رسوله ﷺ على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته .

الأصل الثالث : قطع الطمع عن إدراك حقيقة كيفية صفات الله تعالى؛ لأن إدراك المخلوق لذلك مستحيل .

فمن حقق هذه الأصول الثلاثة ، فقد حقق الإيمان الواجب في باب الأسماء والصفات على ما قرره الأئمة المحققون في هذا الباب . [١]

ثالثاً : أدلة هذا المنهج :

دلت الأدلة من كتاب الله تعالى على تقرير هذا المنهج .

فمن الأدلة على الأصل الأول : وهو تنزيه الرب ﷻ عن مشابهة المخلوقين : قول الله تبارك وتعالى : ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ، ومقتضى الآية نفي المماثلة بين الخالق والمخلوق من كل وجه ، مع إثبات السمع والبصر لله ﷻ ، وفي هذا إشارة إلى أن ما يثبت لله من السمع والبصر ليس كما يثبت للمخلوقين من هاتين الصفتين مع كثرة من يتصف بهما من المخلوقين ، وما يقال في السمع والبصر يقال في غيرهما من الصفات .

---

[١] المصدر السابق ص٩٩- ١٠٠، تفسير الطبري ٢٥٩/١٧ .

ومن الأدلة أيضاً قول الله تعالى : ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤] ، قال الطبري في تفسير الآية : " فلا تمثلوا لله الأمثال ولا تشبهوا له الأشباه فإنه لا مثل له ولا شبه "[١] .

وقال تعالى : ﴿...هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] ، ومن الأدلة لهذا الأصل : قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

ومن الأدلة على الأصل الثاني : وهو الإيمان بما جاء في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته ، قول الله ﷻ : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، وقوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣] .

وقوله تعالى : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

ومن السنة حديث أبي هريرة ﵁ قال : كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا أن نقول : ((اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدَّيْن وأغْنِنا من الفقر)).[٢]

---

[١] تفسير الطبري ٢٥٩/١٧.

[٢] اخرجه مسلم من رواية أبي هريرة ﵁ ، كتاب الذكر والدعاء ، باب الدعاء عند النوم ، ص ١١٤٩ ، ح ٢٧١٣.

وأما الأصل الثالث وهو قطع الطمع عن إدراك كيفية صفات الله تبارك وتعالى: فقد دل عليه قول الله تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

وينبغي أن يُعلم أن للعقل حداً يصل إليه ، ولا يتعداه ، كما أن للسمع والبصر حداً ينتهيان إليه ، فمن تكلف ما لا يمكن أن يدرك بالعقل كالتفكر في كيفية صفات الله ، فهو كالذي يتكلف أن يبصر ما وراء الجدار أو يسمع الأصوات في الأماكن البعيدة جداً عنه .

يقول الدهلوي :"...واستطال هؤلاء الخائضون على معشر أهل الحديث، وسموهم مجسمة ومشبهة، وقالوا هم المتسترون بالبلكفة[١]، وقد وضح علي وضوحاً بيناً أن استطالتهم هذه ليست بشيء وأنهم مخطئون في مقالتهم روايةً ، ودرايةً ، وخاطئون في طعنهم أئمة الهدى.

وتفصيل ذلك أن ههنا مقامين: أحدهما أن الله تبارك وتعالى كيف اتصف بهذه الصفات، وهل هي زائدةٌ على ذاته أو عين ذاته؟ وما حقيقة السمع والبصر والكلام وغيرها؟ فإن المفهوم من هذه الألفاظ بادي الرأي غير لائق بجناب القدس.

والحق في هذا المقام أن النبي ﷺ لم يتكلم فيه بشيء ، بل حجر أمته عن التكلم فيه والبحث عنه فليس لأحد أن يقدم على ما حجره ، والثاني أنه أي شيء يجوز في الشرع أن نصفه تعالى به وأي شيء لا يجوز أن نصفه به، والحق أن صفاته وأسماءه توقيفية ؛ بمعنى إنا وإن عرفنا القواعد التي بنى الشرع بيان صفاته تعالى عليها كما حررنا في صدر الباب ، لكن كثيراً من الناس لو أبيح لهم الخوض في الصفات لضلوا، وأضلوا، وكثير من الصفات وإن كان الوصف بها جائزاً في الأصل، لكن قوماً من الكفار حملوا تلك الألفاظ على غير محملها ، وشاع ذلك فيما بينهم، فكان حكم الشرع النهي عن استعمالها دفعاً لتلك المفسدة ، وكثير من الصفات يوهم استعمالها على ظواهرها خلاف المراد، فوجب الاحتراز عنها فلهذه الحكم جعلها الشرع توقيفية ، ولم يبح الخوض فيها بالرأي".[٢] **وفي كلام الدهلوي السابق تفويض ظاهر للنصوص وسيأتي الرد عليه في موضعه .**

---

[١] البلكفة : أي إثبات الصفات بلا كيف ، ومراد المؤلف إجمالاً بيان ذم أهل الكلام لأهل الحديث .

[٢] حجة الله البالغة ١/ ١٥٠.

المطلب الثالث :– حدوث الصفـات (حدوث الأعراض):

يقول الدهلوي :" والصفات ليست بمخلوقات محدثات..."[1]

قال الدهلوي الصفات ليست بمخلوقات محدثات ، وفي هذا المبحث سأتكلم عن مصطلح الحدوث ومعناه عند السلف وعند المتكلمين والرد عليه .

معنى الحدوث في اللغة: قال ابن فارس: "الحاء والدال والثاء أصل واحد ، وهو كون الشيء لم يكن، يقال حدث أمر بعد أن لم يكن "[2].

معنى الحدوث عند السلف :

يعتمد السلف في تقسيمهم العلمي لمسائل العقيدة على الكتاب والسنة ، وبرجوع إلى الكتاب والسنة لم يرد لفظ الحدوث أو الحادث في كتاب الله ، وإنما ورد لفظ أُحْدِث ويحدث ومحدث وحديث ونحوها ، قال تعالى : ﴿... لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ۝١﴾ [الطلاق: ١] ، وقال تعالى :﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٢﴾ [الأنبياء: ٢] .

ولم يرد لفظ الحدوث أو الحادث في السنة ، ولكن ورد الفعل منه وبعض مشتقاته كمحدث وحديث ونحوها[3]، ومن ذلك قوله ﷺ :((إن الله يحدث من أمره ما يشاء، وإن مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة)) .[4]

---

[1] حجة الله البالغة ١٤٩/١.

[2] معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، ٣٦/٢ ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة : ١٣٩٩هـ.

[3] انظر الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية لدكتورة آمال العمرو ص٢٨٩.

[4] أخرجه أبو دواد من رواية عبد الله بن مسعود ﷺ ، كتاب الصلاة باب رد السلام في الصلاة ص ١٢٩١ ، ح ٩٢٤ . وقال عنه الألباني حسن صحيح . ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا نُسَلِّمُ فِي الصَّلَاةِ، وَنَأْمُرُ بِحَاجَتِنَا، فَقَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَأَخَذَنِي مَا قَدُمَ وَمَا حَدُثَ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ، قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ يُحْدِثُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ، وَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ قَدْ أَحْدَثَ مِنْ أَمْرِهِ أَنْ لَا تَكَلَّمُوا فِي الصَّلَاةِ ".فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ))

وتتعلق هذه المسألة بأصلها وهي مسألة حدوث العالم ، وعندما يقال: العالم حادث ، يُضَمّن المتكلمون معنى غير صحيح لهذا المصطلح ؛ فالمعتزلة يرون أن صفات الله مخلوقة ، بائنة عنه ، وكثير من المتكلمين من الأشاعرة يجعل صفات الله الفعلية بائنةً عن ذات الله ، وأنها مخلوقةٌ داخلةٌ في مسمى العالم ، ومن ضمن ما يعنونه بقولهم "العالم حادث " : أن كل ما سوى الله مخلوق كائنٌ بعد أن لم يكن ، وأن الله لم يزل لا يفعل شيئاً ، ولا يتكلم بمشيئته ، ثم حدثت الحوادث من غير سببٍ يقتضي ذلك ، وأنه يمتنع وجود حوادث لا أول لها ، فهذا المعنى هو الذي يعنيه أهل الكلام من الجهمية ، والمعتزلة ، ومن تبعهم من الأشاعرة بحدوث العالم ، وهذا المعنى الذي أضافوه معنى باطلٌ لا يوجد في كتاب الله ، ولم يعرف عن الأنبياء ، ولا يوجد في حديث عن النبي ﷺ .[١]

يقول الرازي[٢] في بيان هذا الدليل: "الاستدلال بحدوث الصفات، والأعراض ، على وجود الصانع ، مثل صيرورة النطفة المتشابهة الأجزاء إنساناً ، فإذا كانت تلك التركيبات أعراضاً حادثة ، والعبد غير قادر عليها ، فلا بد من فاعل آخر ، ثم من ادعى العلم بأن حاجة المحدث إلى الفاعل ضروري ، ادعى الضرورة هنا ، ومن استدل على ذلك بالإمكان ، أو بالقياس على حدوث الذوات، فكذلك يقول أيضاً في حدوث الصفات"[٣].

فاستدلالهم بهذا الدليل من ثلاثة طرق:

١ – بعضهم يقول الصفات حادثة، والحادث لابد له من محدث ضرورة.

٢ – وبعضهم يقول الصفات حادثة، والحادث ممكن، والممكن لابد له من واجب.

٣ – وبعضهم يقول الصفات حادثة، فلابد لها من محدث قياساً على حدوث الذوات.

---

[١] انظر الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية لآمال العمرو ص٢٩٠ وما بعدها .

[٢] الفخر الرازي (٥٤٤ – ٦٠٦ هـ) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي: الإمام المفسر ، وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها. من تصانيفه (مفاتيح الغيب) في تفسير القرآن الكريم، و (معالم أصول الدين) ، انظر الأعلام للزركلي ٣١٣/٦ .

[٣] درء تعارض العقل والنقل ٨٢/٣.

المناقشة :

أولاً: الله ﷻ يذكر في آياته ما يحدثه في العالم ، من السحاب والمطر والنبات والحيوان، وغير ذلك من المخلوقات ، ويذكر في آياته خلق السماوات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، ونحو ذلك ، لكن القائلين بإثبات الجوهر الفرد من المعتزلة ، ومن وافقهم من الأشعرية، وغيرهم ، يسمون هذا استدلالاً بحدوث الصفات ؛ بناء على أن هذه الحوادث المشهود حدوثها لم تحدث ذواتها ، بل الجواهر، والأجسام التي كانت موجودة قبل ذلك لم تزل من حين حدوثها بتقدير حدوثها ، ولا تزال موجودة ، وإنما تغيرت صفاتها بتقدير حدوثها ، كما تتغير صفات الجسم إذا تحرك بعد السكون ، وكما تتغير ألوانه ، وكما تتغير أشكاله ، وهذا مما ينكره عليهم جماهير العقلاء من المسلمين ، وغيرهم[1].

ثانياً: أن الاستدلال بحدوث الصفات على طريقتهم ، أخفى من الاستدلال بحدوث الأجسام، إذ حدوث الأجسام ظاهر، كما أن الصفة تبع للجسم، فإذا ثبت حدوث الجسم، ثبت حدوث الصفة.

ثالثاً: أن حقيقة قول الجهمية، والمعتزلة، ومن وافقهم من الأشعرية، وغيرهم، أن الرب لم يزل معطلاً فلا يفعل شيئاً ، ولا يتكلم بمشيته وقدرته ، ثم إنه أبدع جواهر من غير فعل يقوم به ، وبعد ذلك ما بقي يخلق شيئاً ، بل إنما تحدث صفات تقوم بها، ويدعون أن هذا قول أهل الملل من الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم ، وهذا باطل.[2]

رابعاً: أن من اعتمد في حدوث الصفات، على أن هذا يدل على الإمكان ، والممكن لابد له من واجب ، فقد أطال الدليل بدون حاجة ، واستدل على الأظهر بالأخفى، وهذا بلا شك يبعد عن المقصود.

---

[1] انظر: درء التعارض ٨٣/٣ ، مجموع الفتاوى٢٤٦/١٧

[2] انظر: درء التعارض ٨٤/٣.

خامساً : حذاق المتكلمين قد تبين لهم بطلان القول بحدوث العالم ؛ لأنهم قد رجعوا عن ذلك ، ومن هؤلاء أبو حامد الغزالي وأبو عبد الله الرازي .[١]

فالصواب إذاً هو الاستدلال بحدوث المخلوقات على الخالق العظيم ، وليس الاقتصار على حدوث صفاتها ، كما ينبغي أن يكون الدليل خالياً من الألفاظ المجملة ؛ لأنها سبب للاضطراب والاختلاف.[٢]

---

[١] انظر النبوات ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، ٢٧٨/١ ، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان ، أضواء السلف ، الرياض ، ط:١، ١٤٢٠هـ.

[٢] انظر الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية لآمال العمر ص ٣١٦.

المطلب الرابع :- التفويض :

يقول الدهلوي :" والصفات ليست بمخلوقات محدثات ، والتفكر فيها إنما هو أن الحق كيف اتصف بها ، فكان تفكر في الخالق ، قال الترمذي في حديث:((يد الله ملأى...))[1]، وهذا الحديث قال الأئمة نؤمن كما جاء من غير أن يفسر أو يتوهم ، هكذا قال غير واحد من الأئمة ، منهم سفيان الثوري[2]، ومالك بن أنس [3]، ...أنه " تروى هذه الأشياء ويؤمن بها، ولا يقال كيف " ، وقالوا في موضع آخر: إن إجراء هذه الصفات كما هي ليس بتشبيه ، وإنما التشبيه أن يقال: سمع كسمع وبصر كبصر ، وقال الحافظ ابن حجر [4]:" لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من الصحابة من طريق صحيح التصريح بوجوب تأويل شيء من ذلك يعنى المتشابهات ولا المنع من ذكره ومن المحال أن يأمر الله نبيه بتبليغ ما أنزل إليه من ربه، وينزل عليه:﴿... ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ٣﴾ [المائدة: ٣] .

ثم يترك هذا الباب فلا يميز ما يجوز نسبته إليه تعالى مما لا يجوز مع حثه على التبليغ عنه...حتى نقلوا أقواله وأفعاله وأحواله وما فعل بحضرته ، فدل على أنهم اتفقوا على الإيمان به على الوجه الذي أراد الله تعالى منها ، وأوجب تنزيهه عن مشابهات المخلوقات بقوله:﴿... لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١] .

---

[1] أخرجه البخاري من رواية البخاري عن أبي هريرة ﷺ ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى ((وكان عرشه على الماء)) ص ٣٨٩ ، ح (٤٦٨٤).

[2] (٩٧ - ١٦١ هـ) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله: أمير المؤمنين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. ولد ونشأ في الكوفة ، له من الكتب (الجامع الكبير) و (الجامع الصغير) كلاهما في الحديث . انظر شذرات الذهب ٢ / ٢٧٤ ، الأعلام للزركلي ١٠٤/٣-١٠٥ .

[3] الإمام مالك (٩٣ - ١٧٩ هـ) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله: إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة ، له كتاب الموطأ ، انظر شذرات الذهب ٣٥٠/٢ - ٣٥٢ سير أعلام النبلاء ١٥٠/٧وما بعدها ، الأعلام للزركلي ٢٧٥/٥ .

[4] ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر: من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للاخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، تصانيفه فكثيرة جليلة، منها فتح الباري شرح صحيح البخاري ، و لسان الميزان ، انظر الأعلام للزركلي ١٧٧/١-١٧٩ .

فمن أوجب خلاف ذلك بعدهم، فقد خالف سبيلهم".[1]

ثم يكمل الدهلوي كلامه "**أقول لا فرق بين السمع والبصر والقدرة والضحك والكلام والاستواء ؛ فإن المفهوم عند أهل اللسان من كل ذلك غير ما يليق بجناب القدس ، وهل في الضحك استحالة إلا من جهة أنه يستدعي الفم ، وكذلك الكلام؟ وهل في البطش والنزول استحالة إلا من جهة أنهما يستدعيان اليد والرجل؟ وكذلك السمع والبصر يستدعيان الأذن والعين ، والله أعلم**...

وقد استطال هؤلاء الخائضون على معشر أهل الحديث ، وسموهم مجسمة ومشبهة ، وقالوا هم المتسترون بالبلكفة ، وقد وضح علي وضوحاً بيناً أن استطالتهم هذه ليست بشيء ، وأنهم مخطئون في مقالتهم رواية ، ودراية ، وخاطئون في طعنهم أئمة الهدى.

وتفصيل ذلك أن ههنا مقامين: أحدهما أن الله تبارك وتعالى كيف اتصف بهذه الصفات ، وهل هي زائدة على ذاته أو عين ذاته؟ وما حقيقة السمع والبصر والكلام وغيرها؟ **فإن المفهوم من هذه الألفاظ بادي الرأي غير لائق بجناب القدس.**

والحق في هذا المقام أن النبي ﷺ لم يتكلم فيه بشيء ، بل حجر أمته عن التكلم فيه ، والبحث عنه فليس لأحد أن يقدم على ما حجره ، والثاني أنه أي شيء يجوز في الشرع أن نصفه تعالى به وأي شيء لا يجوز أن نصفه به ، والحق أن صفاته وأسماءه توقيفية ، بمعنى إنا وإن عرفنا القواعد التي بنى الشرع بيان صفاته تعالى عليها كما حررنا في صدر الباب ، لكن كثيراً من الناس لو أبيح لهم الخوض في الصفات لضلوا ، وأضلوا ، وكثير من الصفات وإن كان الوصف بها جائزاً في الأصل ، لكن قوماً من الكفار حملوا تلك الألفاظ على غير محملها ، وشاع ذلك فيما بينهم ، فكان حكم الشرع النهي عن استعمالها دفعاً لتلك المفسدة ، وكثير من الصفات يوهم استعمالها

[1] حجة الله البالغة ١/١٥٠.

على ظواهرها خلاف المراد، فوجب الاحتراز عنها ، فلهذه الحكم جعلها الشرع توقيفية ، ولم يبح الخوض فيها بالرأي."[1]

ويقول الدهلوي :" كما اتفقوا – أي علماء المسلمين- على إثبات صفتي السمع والبصر ، ثم اختلفوا ، فقال قوم : هما صفتان راجعتان إلى العلم بالمسموعات والمبصرات ، وقال آخرون : هما صفتان على حدتهما (أي منفصلتان عن العلم) وكما اتفقوا على أن الله تعالى حي عليم مريد قدير متكلم .

ثم اختلفوا فقال قوم : إنما المقصود إثبات غايات هذه المعاني من الآثار والأفعال وأن لا فرق بين هذه السبع وبين الرحمة والغضب والجود في هذا وأن الفرق لم تثبته السنة ، وقال قوم هي أمور موجودة قائمة بذات الواجب .

واتفقوا على إثبات الاستواء على العرش والوجه والضحك على الجملة ثم اختلفوا فقال قوم إنما المراد معان مناسبة ، فالاستواء هو الاستيلاء ، والوجه الذات ، وطواها قوم على غرها ، وقالوا لا ندري ماذا أريد بهذه الكلمات .

وهذا القسم لست أستصح ترفُّعَ إحدى الفرقتين على صاحبتها بأنها على السنة ،كيف وإن أريد قح السنة فهو ترك الخوض في هذه المسائل رأساً ،كما لم يخض فيها السلف."[2]

ذكر الدهلوي في جملة حديثه فيما سبق منهج أهل الحديث في السكوت عن الخوض فيما لم يرد فيه نص وقال بأن الأسماء والصفات توقيفية – أي لا يكون فيها اجتهاد – ، وذكر أن التفويض في الكيفية وهذا صحيح ، ثم ذكر قول من أول الاستواء بالاستيلاء والوجه بذات ، وقول من طواها على لفظها لا على معناها ، وذكر قول الأشاعرة في الصفات ، وقال في آخر كلامه بأن قح السنة هو ترك الخوض في هذه المسائل رأساً ، وهذا ما أخطأ فيه ؛ لأنه لم

---

[1] المصدر السابق

[2] حجة الله البالغة ٢٧/١.

يبين منهج السلف في إثباتهم المعنى مع تفويضهم للكيفية ، وسأبين في هذا المبحث منهج السلف في ذلك ، والأقوال المخالفة مع نقدها.

تعريف التفويض:

التفويض لغة :مصدر فوّض إليه الأمر يفوّضه بمعنى صيّره إليه وجعله الحاكم فيه[١]، ومنه قوله تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون:﴿... وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ...﴿٤٤﴾﴾ [غافر: ٤٤] ، ومن دعائه ﷺ : ((وفَوَّضْتُ أمري إليك))[٢]، أي توكلت عليك في أمري كله. [٣]

والقائلون بالتفويض قسمان:

قسم يقول: إن الرسول كان يعلم معاني النصوص المتشابهة ، ولكنه لم يبين للناس مراده منها ، ولا أوضحه للناس.

وقسم هم أكابر أهل الكلام الذين يميلون لأقوال الفلاسفة يقولون: إن معاني هذه النصوص المشكلة المتشابهة لا يعلمه إلا الله ، وأن معناها الذي أراده الله بها هو ما يوجب صرفها عن ظواهرها ، وعلى قول هؤلاء فالأنبياء والرسل لم يكونوا يعلمون معاني ما أنزل الله إليهم.

---

[١] لسان العرب ٧/٢١٠ .

[٢] أخرجه البخاري من حديث البراء بن عازب ﷺ ، كتاب الوضوء وكتاب الغسل ، باب فضل من بات على الوضوء ،ص٢٢،ح ٢٤٧ ، عن البراء بن عازب ﷺ قال النبي ﷺ :((إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ))

[٣] انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، ١١/١١٠ ، رقَّمَ كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي ، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ .

ولا شك أن هذا ضلال مبين وقدح في القرآن وفي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ."[1]

وقد خالف الدهلوي في التفويض منهج السلف ، وسلك منهج بعض المتكلمين الذين يعنون بالتفويض في صفات الله تعالى ما ينسبونه إلى السلف من الكف عن تفسيرها الذي يدل على معناها :

ومما قال الدهلوي في ذلك :

"والحق في هذا المقام أن النبي ﷺ لم يتكلم فيه بشيء ، بل حجر أمته عن التكلم فيه والبحث عنه فليس لأحد أن يقدم على ما حجره ، والثاني أنه أي شيء يجوز في الشرع أن نصفه تعالى به وأي شيء لا يجوز أن نصفه به ، والحق أن صفاته وأسماءه توقيفية بمعنى إنَّا وإن عرفنا القواعد التي بنى الشرع بيان صفاته تعالى عليها كما حررنا في صدر الباب ، لكن كثيراً من الناس لو أبيح لهم الخوض في الصفات لضلوا ، وأضلوا ، وكثير من الصفات وإن كان الوصف بها جائزاً في الأصل، لكن قوماً من الكفار حملوا تلك الألفاظ على غير محملها ، وشاع ذلك فيما بينهم، فكان حكم الشرع النهي عن استعمالها دفعاً لتلك المفسدة ، وكثير من الصفات يوهم استعمالها على ظواهرها خلاف المراد ، فوجب الاحتراز عنها فلهذه الحكم جعلها الشرع توقيفية ، ولم يبح الخوض فيها بالرأي".[2]

ويقول موضحاً لقوله :

" واتفقوا على إثبات الاستواء على العرش والوجه والضحك على الجملة ، ثم اختلفوا ، فقال قوم : إنما المراد معان مناسبة ، فالاستواء هو الاستيلاء والوجه الذات ، وطواها قوم على غرها وقالوا لا ندري ماذا أريد بهذه الكلمات .

---

[1] انظر درء التعارض ١/٢٠١-٢٠٢.

[2] حجة الله البالغة ١/١٥٠.

والسنة ترك الخوض في هذه المسائل ، وهذا القسم لست أستصحح ترفُّعَ إحدى الفرقتين على صاحبتها بأنها على السنة ، كيف وإن أريد قح السنة فهو ترك الخوض في هذه المسائل رأساً ، كما لم يخض فيها السلف ."[1]

وهذا القول الأخير من المؤلف هو قولٌ بالتفويض ، فالسلف على رأي الدهلوي وعلى رأي من قال بتفويض لا يعلمون معانيها ، وأنهم في فهم هذه الصفات كالأعجمي الذي لا يعرف من معناها إلا مجرد سماع ألفاظها ، ومن أجل ذلك فوضوا العلم بها إلى الله تعالى ، ولا شك أن هذا تجهيل لسلف الأمة الذين هم أعلم الخلق بربهم سبحانه ، وهو أيضاً اتهام للنبي ﷺ بأنه لم يبين للصحابة ما أنزل الله عليه ، ولا يوجد نص عن أحد من الصحابة أو التابعين أو من بعدهم من السلف الصالحين أنه يقول في صفة من صفات الله تعالى : أنا لا أعلم معناها أو إنني أفوض معناها إلى الله تعالى ، بل كانوا يقولون : "أَمِرُّوها كما جاءت" ولا يتحرجون من وصف الله ﷻ بشيء منها ، وهذا هو المراد من قولهم رحمهم الله أمروها كما جاءت فكما أن السمع يعلم معناه فنثبت معناه وننفي كيفه ، فالكلام إذاً على إثبات المعنى ، وتفويض الكيفية ،لا تفويض المعنى وتفويض الكيفية .[2]

وقد احتج المفوضة بأدلة من أبرزها :

١-ما أُثر عن كثير من السلف أنهم قالوا في الصفات " أمروها كما جاءت " ، قالوا : وهذا يدل على أن مذهبهم فيها الإيمان والتسليم وإمرارها كما جاءت ، وعدم الخوض في تأويلها .

٢-واستدلوا بقول الإمام مالك وغيره "الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة "[3]، قالوا: ومعنى قوله إنه معلوم أي إنه وارد في القرآن ، ونفيه للكيف

---

[1] المصدر السابق ١٤٨/١

[2] انظر مجموع الفتاوى ٤١/٥.

[3] هذا القول روي عن الإمام مالك في كتاب الرد على الجهمية ، عثمان بن سعيد الدارمي ، ص٦٦ ، تحقيق : بدر بن عبدالله البدر ، دار ابن الأثير ، الكويت ، ط: ٢ ، ١٩٩٥م .

وإيجاب الإيمان به دليل على أنهم يسلمون ورود نصوص الصفات ويفوضون معانيها إلى الله تعالى.

٣-وذكروا بأن السلف لم يكونوا يفهمون من النصوص ما يستلزم التجسيم وأن ذاته تعالى فوق العرش، قالوا فلما جاء المتأخرون وصاروا يفهمون منها مثل هذا وجب التأويل.

٤- واحتجوا بالوقف على قوله تعالى: ﴿... وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ...﴾ [آل عمران: ٧] ، قالوا وهذا دليل على التفويض.[١]

مناقشة القول :

١-**أما قول السلف:"أمروها كما جاءت" فمعناه عندهم الإيمان بها وإثباتها ، والرد على المعطلة المنكرين ،أو الخائضين في تأويلها ، فقول السلف يقتضي إبقاءها على ما هي عليه ، مع اعتقاد مفهومها.** يقول شيخ الإسلام ابن تيمية " أما قول السلف في الصفات "أمروها كما جاءت" فمعناه عندهم الإيمان بها وإثباتها، والرد على المعطلة الذين أنكروها أو خاضوا في تأويلها ، فقول السلف هذا "يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه، فإنها جاءت ألفاظ دالة على معان ، فلو كانت دلالتها منتفيةً لكان الواجب أن يقال: أمروا لفظها ، مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد ، أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت حقيقة ، وحينئذ فلا تكون قد أمرت كما جاءت ، ولا يقال حينئذ: بلا كيف ، إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول"[٢].

والصحابة ﷺ وهم أعلم الناس بالكتاب والسنة ، لم يقولوا آمنوا بهذه الألفاظ مجردة ، وأنما كان منهم التسليم والإيمان ، وتفويض الكيف لا المعنى اكتفاءً بالدليل الشرعي .[٣]

---

[١] انظر موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة ، للدكتور : سليمان الغصن ، ص ٨٥٢ وما بعدها ، دار العاصمة ، الرياض ، ط: ١ ، ١٤١٦هـ.

[٢] الفتوى الحموية – مجموع الفتاوى ٥/٤١-٤٢ .

[٣] انظر موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الأشاعرة ، للدكتور عبد الرحمن المحمود ، ص ١٠٦١، دار ابن الجوزي ، الرياض ، ط: ٢ ، ١٤٣٤هـ.

وقول السلف عندما يقولون أمروها كما جاءت أي لا كما يقول أهل التأويل والانحراف بالنصوص عن معانيها وأهل التفويض .

٢- أما قول الإمام مالك في الاستواء فهو مذهب السلف ، وهو حجة على أهل التفويض، يقول شيخ الإسلام: "فقول ....: الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، موافق لقول الباقين: أمروها كما جاءت بلا كيف ، فإنما نفوا علم الكيفية ، ولم ينفوا حقيقة الصفة ، ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه – على ما يليق بالله – لما قالوا: الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، ولما قالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف ؛ فإن الاستواء حينئذ لا يكون معلوماً، بل مجهولاً بمنزلة حروف المعجم.

وأيضاً: فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى، وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبتت الصفات.

وأيضاً: فإن من ينفي الصفات الخبرية – أو الصفات مطلقا – لا يحتاج إلى أن يقول: "بلا كيف"، فمن قال: إن الله ليس على العرش لا يحتاج أن يقول بلا كيف، فلو كان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر لما قالوا: "بلا كيف"[١].

ولما ذكر شيخ الإسلام تلقي الناس قول الإمام مالك بالقبول ، ذكر اعتراضاً وأجاب عنه ، قال: "فإن قيل: معنى قوله "الاستواء معلوم، أن ورود هذا اللفظ في القرآن معلوم ، كما قاله بعض أصحابنا الذين يجعلون معرفة معانيها من التأويل الذي استأثر الله بعلمه.

قيل: هذا ضعيف، فإن هذا من باب تحصيل الحاصل، فإن السائل قد علم أن هذا موجود في القرآن، وقد تلا الآية .

وأيضاً فلم يقل: ذكر الاستواء في القرآن ، ولا أخبار الله بالاستواء ، وإنما قال: الاستواء معلوم ، فأخبر عن الاسم المفرد أنه معلوم، لم يخبر عن الجملة.

---

[١] مجموع الفتاوى ٥/٤١.

وأيضاً فقد قال: "والكيف مجهول" فلو أراد ذلك لقال: معنى الاستواء مجهول ، أو تفسير الاستواء مجهول ، أو بيان الاستواء غير معلوم ، فلم ينف إلا العلم بكيفية الاستواء ، لا العلم بنفس الاستواء ، وهذا شأن جميع ما وصف الله به نفسه ، لو قال في قوله:﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] : كيف يسمع، وكيف يرى؟ لقلنا: السمع والرؤية معلوم والكيف مجهول ، ولو قال: كيف كلم موسى تكليما؟ لقلنا: التكليم معلوم والكيف غير معلوم.

وأيضاً فإن من قال هذا من أصحابنا وغيرهم من أهل السنة يقرون بأن الله فوق العرش حقيقة ، وأن ذاته فوق ذات العرش ، لا ينكرون معنى الاستواء ، ولا يرون هذا من المتشابه الذي لا يعلم معناه بالكلية."[١]

٣- أما قولهم إن السلف لم يكونوا يفهمون من النصوص ما يدل على التجسيم ، ولا أن ذاته تعالى فوق العرش فلما جاء المتأخرون وفهموا منهما التجسيم والتأويل وجب التأويل – وهذا في مسألة العلو والاستواء – فقد رد عليهم شيخ الإسلام من وجوه منها:

"أحدها: أن يقال: فعلى هذا التقدير لا يكون المفهوم الظاهر من هذه النصوص إثبات العلو على العالم والصفات ، ولا يجوز أن يقال: ظواهر هذه النصوص غير مراد ، ولا أنه قد تعارضت الدلائل النقلية والعقلية ، فإنه إذا قدر أنها لا تدل على الإثبات – لا دلالة قطعية ولا ظاهرة – بطل أن يكون في ظاهرها ما يفهم منه الإثبات.

ومن المعلوم أن هذه خلاف قول الطوائف كلها من المثبتة والنفاة ، حتى من الفلاسفة القائلين بقدم العالم وإنكار معاد الأبدان ، فإنهم معترفون بما اعترف به سائر الخلق ، من أن الظاهر المفهوم منها هو إثبات الصفات...

والتفاسير الثابتة المتواترة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان تبين أنهم كانوا يفهمون منها الإثبات ، بل والنقول المتواترة المستفيضة عن الصحابة والتابعين حرف واحد يوافق قول النفاة، ومن تدبر الكتب المصنفة في آثار الصحابة والتابعين بل المصنفة في السنة ... رأى في ذلك من

---

[١] شرح حديث النزول – مجموع الفتاوى ٥/٣٦٥-٤١٣.

الآثار الثابتة المتواترة عن الصحابة والتابعين ما يعلم معه بالاضطرار أن الصحابة والتابعين كانوا يقولون بما يوافق مقتضى هذه النصوص ومدلولها، وأنهم كانوا على قول أهل الإثبات المثبتين لعلو الله نفسه على خلقه، المثبتين لرؤيته ، القائلين بأن القرآن كلامه ليس بمخلوق بائن عنه...

وهذا يصير دليلاً من وجهين :

أحدهما :من جهة إجماع السلف ، فإنه يمتنع أن يجمعوا في الفروع على خطأ ، فكيف في الأصول .

الثاني :من جهة أنهم كانوا يقولون بما يوافق مدلول النصوص ومفهومها ، لا يفهمون منها ما يناقض ذلك ... وعن الأوزاعي[1] قال ((كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله على عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته)).[2] "[3]

ومما سبق يتبين أن السلف فهموا من نصوص العلو والاستواء الإثبات ، ويتبين أيضاً بطلان القول بالتفويض لأنه مخالف لمنهج النبي ﷺ وأصحابه القائم على التسليم التام للكتاب والسنة في نصوص الصفات بلا تكييف ولا تمثيل ولا تحريف .

---

[1] الأَوْزاعي (٨٨ - ١٥٧ هـ) ، عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، من قبيلة الأوزاع، أبو عمرو: إمام الديار الشامية في الفقه والزهد ، عرض عليه القضاء فامتنع. وكانت الفتيا تدور بالأندلس على رأيه، إلى زمن الحكم ابن هشام ، له كتاب (السنن) في الفقه، و (المسائل) ويقدر ما سئل عنه بسبعين ألف مسألة أجاب عليها كلها ، انظر الأعلام للزركلي ٣٢٠/٣ .

[2] رواه البيهقي في الأسماء والصفات ص٥١٥ ، وقال شيخ الإسلام : إسناده صحيح ، كما في الحموية ٣٩/٥ ضمن مجموع الفتاوى ، وقال ابن حجر اسناده جيد ، كما في الفتح ٤٠٦/٣ .

[3] درء التعارض ١٠٨/٧-١٠٩.

المطلب الخامس :– الاستواء :

يقول الدهلوي :"واتفقوا – أي علماء المسلمين – على إثبات الاستواء على العرش ، والوجه ، والضحك على الجملة ، ثم اختلفوا فقال قوم إنما المراد معانٍ مناسبة ، فالاستواء هو الاستيلاء ، والوجه الذات ، وطواها قوم على غرها ، وقالوا لا ندري ماذا أريد بهذه الكلمات ." [١]

ذكر الدهلوي مسألة الاستواء وسأشرع في هذا المطلب ببيان مسألة استواء الله ﷻ على عرشه والخلاف في ذلك وعرض الأقوال ومناقشتها :

تعريف الاستواء : معنى الاستواء في لغة العرب : العلو والارتفاع ، والاستقرار والصعود.[٢]

والاستواء شرعاً : هو صفة فعلية لله تعالى ثابتة بالكتاب والسنة وقد وردت في كتاب الله في سبعة مواضع منها قول الله تعالى : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ۝٥﴾ [طه: ٥].[٣]

ومن السنة حديث قتادة بن النعمان رضي الله عنه

وقد خالف الدهلوي في الاستواء وشبهته في ذلك ما ظن من تكييف لصفات الله تعالى ، وهذا مخالف لاعتقاد السلف يقول في ذلك :" أقول لا فرق بين السمع والبصر والقدرة والضحك والكلام والاستواء فإن المفهوم عند أهل اللسان من كل ذلك غير ما يليق بجناب القدس ، وهل في الضحك استحالة إلا من جهة أنه يستدعي الفم ، وكذلك الكلام ؟ وهل في البطش والنزول استحالة إلا من جهة أنهما يستدعيان اليد والرجل ؟ وكذلك السمع والبصر يستدعيان الأذن والعين ، والله أعلم"[٤]

---

[١] حجة الله البالغة ٢٧/١.

[٢] انظر لسان العرب ٤١٤/١٤.

[٣] انظر موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة ص٥٣٦ .

[٤] حجة الله البالغة ١٤٩/١.

و هنا خالف الدهلوي ما قال به من تفويض للمعنى –كما مر–[1] حيث قال :"قح السنة هو ترك الخوض في هذه المسائل – مسائل الصفات – رأساً كما لم يخض فيها السلف " [2] ، ثم أول صفة الاستواء ، والنزول ، والضحك ، والكلام في الأمثلة السابقة وأنه لا فرق بينها عند اللسان ، وقال بأن المفهوم عند أهل اللسان من صفة السمع والبصر والقدرة والكلام والاستواء " غير ما يليق بجناب القدس " وكَيَّفَ الضحك والسمع والبصر بلازم وهو وجود الفم وهذا مخالف لمنهج السلف الذين يثبتون صفات الله ﷻ من غير تحريف ولا تمثيل ولا تكييف ولا تشبيه كما مر في مطلب أنواع الانحراف في توحيد الأسماء والصفات ، وسيأتي الرد على المؤولة في موضعه .

وقد خالف المتكلمون من الجهمية ، والمعتزلة وكثير من متأخري الأشعرية ، في استواء الله ﷻ على عرشه وفسروا الاستواء بالاستيلاء والقهر . [3]

يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي[4] :" إن المراد بالاستواء : الاستيلاء والاقتدار ،كما يقال : استوى الخليفة على العراق ، وكما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق "[5]

---

[1] انظر المبحث السابق – مبحث التفويض –.

[2] حجة الله البالغة ٢٧/١ .

[3] انظر مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ) ، نعيم زرزور ، المكتبة العصرية ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ . ١٦٨/١.

[4] القاضي عبد الجبار (ت٤١٥ هـ) عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الاسد ابادي، قاض، أصولي.كان شيخ المعتزلة في عصره ، ولي القضاء بالري، ومات فيها ، له تصانيف كثيرة، منها: شرح الاصول الخمسة و المغني في أبواب التوحيد والعدل ، انظر الأعلام للزركلي ٢٧٣/٣.

[5] تنزيه القرآن عن المطاعن ، للقاضي عبد الجبار ، ص١٩٨ ، تحقيق وتقديم :د. أحمد السايح ، المستشار توفيق علي وهبة ، مكتبة النافذة ، الجيزة ، ط: ١، ٢٠٠٦م .

وقالوا : إنما خص العرش بالذكر للتشريف أو لكونه أعظم المخلوقات ، كما هو متقرر في أفهام الناس ، فنبه على أنه إذا كان مقتدراً عليه مع عظمه ، فغيره من باب أولى ، فهو من باب التنبيه والإشعار بالأعلى على الأدنى .[1]

المناقشة :

١-لا شك أن تأويلهم هذا مخالف لعقيدة السلف ، وهو من باب تحريف الكلم عن مواضعه ، وقد ورد عن السلف في إثبات الاستواء نصوصٌ كثيرة ، ومن ذلك ما ورد عن ابن مسعود ﷺ قال : ((والعرش فوق الماء ، والله فوق العرش ، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم)) [2].

وعن الأوزاعي قال ((كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله على عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته)). [3]

٢-وأما تأويل أهل الكلام الاستواء بالاستيلاء فيقال فيه :

إن الاستواء في كلام العرب يرد مطلقاً ويرد مقيداً بـ(إلى) و(على) و(الواو) ، وكل له معنى بحسبه ، والاستواء المقيد بعلى كقوله ﴿لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ...﴾ [الزخرف: ١٣] ، وكقوله تعالى ﴿... وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ...﴾ [هود: ٤٤] ، معناه : العلو والارتفاع ، بإجماع أهل اللغة.[4]

ثم يقال : لو كان استواء الله على عرشه بمعنى الملك والقهر لجاز أن يقال : استوى على بني آدم ، وعلى الجبل ، وعلى الشمس والقمر...وهذا لا يصح إطلاقه .

---

[1] انظر المصدر السابق ص١٩٨.

[2] رواه ابن عبد البر في التمهيد ، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي ، ١٣٩/٧ ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، ١٣٨٧ هـ ، وقال الذهبي " اسناده صحيح " في كتابه العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها ، برقم ١٧٥ وتصحيحه ص٢٢٥ ، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود ، مكتبة أضواء السلف ، الرياض ، ط:١، ١٤١٦هـ.

[3] سبق تخريجه.

[4] انظر مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لمحمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) ، اختصره: محمد بن محمد البعلي شمس الدين ، (ابن الموصلي) ، ص٣٧٢ ، تحقيق: سيد إبراهيم ، دار الحديث، القاهرة ، ط:١، ١٤٢٢هـ.

وأخيراً فإن استواء الرب المعدى بأدة (على) ، المعلق بعرشه ، المعرف باللام ، المعطوف بثم على خلق السماوات والأرض ، المطرد في موارده على أسلوب واحد ، ونمط واحد ، لا يحتمل إلا معنى واحداً ، لا يحتمل معنين البتة ، فضلاً عن ثلاثة ، أو خمسة عشر كما يقول المبتدعة. [1]

٣- وأما استدلالهم بقول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف أو دم مهراق

فقد ورد على هذا البيت اعتراضات كثيرة من أهمها ما يلي :

أ- هذا البيت غير معروف قائله ، ولا هو موجود في دواوين العرب وأشعارهم ، وكيف يستدل به ولا يستدل بالحديث الصحيح .[2]

ب- لو صح هذا البيت لكان حجة عليهم وهو على معنى حقيقة الاستواء ، فإن بشراً كان أخاً لعبد الملك بن مروان ، وكان أميراً على العراق ، فاستوى على سريرها كما هي عادة الملوك ونوابها أن يجلسوا فوق سرير الملك مستوين عليه .[3]

---

[1] انظر هذه الردود والاعتراضات وغيرها في : التمهيد لابن عبد البر ١٣١/٧-١٣٢، مجموع الفتاوى ١٤٤/٥-١٤٩ ، مختصر الصواعق ٣٧١ وما بعدها .

[2] انظر مجموع الفتاوى ١٤٦/٥.

[3] انظر مختصر الصواعق ص٣٧٩ .

المطلب السادس :- الرؤية :

يقول الدهلوي في (باب كيفية تلقي الأمة الشرع من النبي ﷺ):

"واعلم أن تلقي الأمة منه الشرع على وجهين: أحدهما تلقي الظاهر، ولا بد أن يكون بنقل إما متواتر، أو غير متواتر...والمتواتر منه المتواتر لفظاً كالقرآن العظيم ، وكنبذ يسير من الأحاديث منها قوله ﷺ : ((إنكم سترون ربكم ...)) ."[1،2،3]

إن رؤية الله ﷻ مسألة قد ثبتت بالكتاب والسنة المتواترة والإجماع ، فالله ﷻ يراه المؤمنين في الدار الآخرة وفي عرصات القيامة وبعدما يدخلون الجنة كما يرون القمر ليلة البدر صحواً ورؤية الله ﷻ هي أعلى مراتب نعيم الجنة ، وغاية مطلوب الذين عبدوا الله مخلصين له الدين .

وقد اتفق على القول بإثبات الرؤية الأنبياء والمرسلون وجميع الصاحبة والتابعون ، ولقد حكى تلكم الاتفاقات ، ونص على حصول الإجماع عليها شيخ الإسلام في مواضع من كتبه فيقول رحمه الله :" أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن المؤمنين يرون الله بأبصارهم في الآخرة ، واتفقوا على أن المؤمنين يرون الله يوم القيامة عياناً ، كما يرون الشمس والقمر " [4]

ويقول الإمام أحمد : " والأحاديث في أيدي أهل العلم عن النبي ﷺ أن أهل الجنة يرون ربهم ، لا يختلف فيها أهل العلم " [5] .

---

[1] رواه البخاري من رواية جرير بن عبد الله ﷺ في كتاب : التوحيد ، باب : قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة ، ص ٦١٩ ،ح٧٤٣٥.عن جرير بن عبد الله ﷺ قال قال النبي ﷺ ((إنكم سترون ربكم عيانا)).

[2] انظر حجة الله البالغة ٣٠١/١.

[3] خالف الدهلوي في مسألة الرؤية وجعلها من عالم المثال ، وسأذكر ذلك في موضعه في الفصل الرابع ، مبحث عالم المثال.

[4] مجموع الفتاوى ٥١٢/٦.

[5] الرد على الزنادقة والجهمية ، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، ص١٣٢ ، تحقيق: محمد حسن راشد، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ.

ومن الأدلة: على ذلك قول الله ﷻ : ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] ، وقوله تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ [المطففين: ١٥] ، وهنا عير الله الكافرين بأنهم محجوبون عن رؤيته ﷻ وهذا يدل على أنه سبحانه يرى .

وأما من السنة المطهرة فقد جاء في ما صح من حديثي أبي هريرة ﷺ الطويل :((أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا : لا يا رسول الله قال فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك ...)) ، وقوله ﷺ : ((إنكم سترون ربكم عياناً)) [١].

وقد أَوَّل أهل الكلام المعتزلة ومن تبعهم نصوص الرؤية فنفوها وشبهتهم أن إثبات الرؤية يؤدي إلى أن يكون الله تعالى جسماً محدوداً في جهة ومكان مخصوص ، وأولوا قوله تعالى : ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ إلى منتظرة ثواب الله وكرامته ورحمته [٢]، وأولوا حديث النبي ﷺ في الرؤية بالعلم به ﷻ ، أي فستعلمون ربكم كما تعلمون القمر ليلة البدر لا تشكون في رؤيته ، وقالوا عَقَّبَه ﷺ بالشك ولو كان بمعنى البصر لم يجز ذلك ،وقطع القاضي عبد الجبار بأنه حديث مكذوب على النبي ﷺ [٣].

[١] سبق تخريجه.

[٢] انظر شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار ابن أحمد ، ص٢٤٥ وما بعدها ، تحقيق: الدكتور عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة القاهرة ، ط:٣ ، ١٤١٦هـ .

[٣] انظر شرح الأصول الخمسة ص٢٦٨ ، ٢٧٠ .

وقد خالف الدهلوي أيضاً منهج السلف في باب الرؤية وجعل الرؤية من عالم المثال ، يقول بعد أن عرف عالم المثال واستدل له بعدد من الأحاديث : " واستفاض في الحديث : أن الله تعالى يتجلى بصور كثيرة لأهل الموقف...[1] " فأضاف رؤية الله ﷻ إلى عالم المثال المبتدع .[2]

المناقشة :

أما لفظ الجسم والمكان والجهة فهو لفظ مجمل ينظر إلى مقصود قائله يقول شيخ الإسلام ابن تيمية "وأما الألفاظ التي تنازع فيها من ابتدعها من المتأخرين مثل لفظ الجسم والجوهر والمتحيز والجهة ونحو ذلك فلا تطلق نفياً ولا إثباتاً حتى ينظر في مقصود قائلها ، فإن كان قد أراد بالنفي والإثبات معنىً صحيحاً موافقاً لما أخبر به الرسول ﷺ صوب المعنى الذي قصده بلفظه ، ولكن ينبغي أن يعبر عنه بألفاظ النصوص ، ولا يعدل إلى هذه الألفاظ المبتدعة المجملة إلا عند الحاجة مع قرائن تبين المراد بها والحاجة ، مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها ، وأما إن أريد بها معنى باطل نفي ذلك المعنى ، وإن جمع بين حق وباطل أثبت الحق وأبطل الباطل"[3]

وأما تفسيرهم لقوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ منتظرة ثواب الله ، وكرامته ، ورحمته ،فهو قول شاذ مخالف للمتواتر عن النبي ﷺ وعن أصحابه ، وقد نبه ابن منده [4] على شذوذ تأويل قول الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ بانتظار الثواب ، وأنه قول لا

---

[1] ومن ذلك ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ ، ص٦١٩ ، ح٧٤٣٧ ، وفيه قوله ﷺ : ((فيأتيهم الله فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ..)).

[2] وهذا تأويل مخالف لنصوص الشرع وللتسليم التام لهما .

[3] منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، ٢/ ٥٥٤ – ٥٥٥ ، تحقيق محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط:١ ، ١٤٠٦ هـ.

[4] هو أبو عبد الله محمد ابن أبي يعقوب اسحاق بن أبي عبد الله محمد بن يحيى بن منده العبدي الأصبهاني ، أحد الأئمة الحفاظ المصنفين في عقيدة أهل السنة والجماعة ، من مصنفاته : كتاب الإيمان ، وكتاب التوحيد ، توفي سنة ٣٩٥هـ ، انظر ترجمته السير ١٧/٢٨

يثبت ، فقال : " أجمع أهل العلم كابن عباس وغيره من الصحابة ...: أن معناه إلى وجه ربها ناظرة ، والآخرون نحو معناه ، ومن رُوي عنه أن معناه أنها تنتظر الثواب ، فقول شاذ لا يثبت " [1]

وأما تفسيرهم لحديث رؤية الله ﷻ بالعلم به ، فمخالف للمتواتر المعلوم كما سبق ، ويلزم منه أن المؤمنين يموتون وهم غير عالمين بربهم ، وهذا مخالف لمنهج النبي ﷺ وصحابته الكرام ﷺ وهذا هو المعلوم المتواتر عنهم ، كما سبق بيانه .[2]

[1] الرد على الجهمية للإمام الحافظ ابن منده ، ص١٠٢ ، تحقيق: الدكتور علي بن محمد الفقيهي ، مكتبة الغرباء الأثرية ، مكة المكرمة ، ط: ٣ ، ١٤١٤هـ .

[2] انظر موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة للدكتور سليمان الغصن ، ٢/ ٦٠٢-٦٠٣.

المطلب السابع :– النزول :

يقول الدهلوي :" أقول لا فرق بين السمع ، والبصر ، والقدرة ، والضحك ، والكلام ، والاستواء فإن المفهوم عند أهل اللسان من كل ذلك غير ما يليق بجناب القدس، وهل في الضحك استحالة إلا من جهة أنه يستدعي الفم ، وكذلك الكلام؟ وهل في البطش والنزول استحالة إلا من جهة أنهما يستدعيان اليد والرجل؟ ، وكذلك السمع والبصر يستدعيان الأذن والعين، والله أعلم."[١]

يذكر الدهلوي قوله في تفويض الكيف والمعنى وهذا كما سبق مخالف لمنهج السلف القائل بتفويض الكيف لا المعنى ، وخالف ما قاله في تفويض الكيف والمعنى[٢] وقال أن من اثبات الضحك اثبات الفم وقال أن السمع والبصر يستدعيان الأذن والفم ، وهذا تكييف لصفات الله عز وجل لا يجوز ، وتكلم عن النزول وسأتكلم في هذا المطلب عن النزول .

النزول لغة : يقول ابن فارس:" (نزل) النون والزاء واللام كلمةٌ صحيحة تدلُّ على هُبوط شيء ووقُوعه"[٣].

النزول من الصفات الفعلية الثابتة لله ﷻ ، يثبتها السلف لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به سبحانه ، فيثبتون نزوله جل وعلا إلى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ، ومن غير تأويل ولا تكييف ، وقد تواترت الأخبار عن النبي ﷺ في نزول الرب تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا ، فرواها عنه ﷺ نحو ثمان وعشرين صحابياً .[٤]

---

[١] حجة الله البالغة ١٤٩/١.

[٢] وكان مما قال :"قح السنة هو ترك الخوض في هذه المسائل – مسائل الصفات – رأساً كما لم يخض فيها السلف " حجة الله البالغة ٢٧/١.

[٣] معجم مقاييس اللغة ٤١٧/٥.

[٤] انظر حكاية التواتر وذكر الصحابة الذين رووه وطرقه في مختصر الصواعق ص٤٥١ .

ومما جاء حديث أبي هريرة ﷺ المتفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني، فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له))[١].

وقد أشار الإمام الشافعي إلى اتفاق من لقي من أهل العلم ، ومن أخذ عنهم الحديث على إثبات نزول الله جل وعلا إلى السماء الدنيا كيف يشاء ، فقال :" القول في السنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا عليها من أهل الحديث الذي رأيتهم ، وأخذت عنهم مثل سفيان ، ومالك ، وغيرهما...أن الله تعالى على عرشه في سمائه ، يقرب من خلقه كيف شاء ، وينزل إلى السماء الدنيا كيف يشاء"[٢].

وقد صرح بحكاية الإجماع أيضاً أبو الحسن الأشعري[٣] في رسالته إلى أهل الثغر[٤] .

ورغم تواتر الأحاديث في ذلك وحكاية الإجماع على ذلك أوَّل أهل الكلام هذا النص وأمثاله ، بناء على اعتقادهم نفي العلو ، ونفيهم صفات الله الفعلية المتعلقة بمشيئته ، وزعمهم أنه يلزم من إثبات ذلك اتصاف الله تعالى بصفات الأجسام من الحركة والانتقال وكونه محلاً للحوادث ونحو ذلك ، فأولوا معنى هذا الحديث ، وممن تأول الاستواء والنزول الدهلوي في كتابه حيث يقول :" أقول لا فرق بين السمع ، والبصر ، والقدرة ، والضحك ، والكلام ، والاستواء ؛ فإن المفهوم عند أهل اللسان من كل ذلك غير ما يليق بجناب القدس ، وهل في الضحك استحالة إلا من جهة

---

[١] أخرجه البخاري ،كتاب التهجد ، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ، ص٨٩ ، ح١١٤٥.

[٢] العلو للذهبي برقم ٤٤٣ .

[٣] أبو الحسن الاشعري (٢٦٠ – ٣٢٤ هـ) علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، من نسل الصحابي أبي موسى الاشعري ﷺ وأبو الحسن هو مؤسس مذهب الاشاعرة . كان من المتكلمين ، ولد في البصرة ، وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بخلافهم ، وتوفي ببغداد. قيل: بلغت مصنفاته ثلاثمئة كتاب، منها : مقالات الاسلاميين و الإبانة عن أصول الديانة ، انظر الأعلام للزركلي ٤/٢٦٣ .

[٤] انظر رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب ، لأبي الحسن الأشعري ، ص١٢٩ ، تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ط: ١٤١٣هـ ، وانظر الرد على الجهمية ص٨٢.

أنه يستدعي الفم ، وكذلك الكلام ؟ وهل في البطش ، والنزول استحالة إلا من جهة أنهما يستدعيان اليد والرجل ؟ وكذلك السمع والبصر يستدعيان الأذن ، والعين ، والله أعلم ".[1]

وقد تأول المتكلمون الأحاديث الواردة بتأويلات منها :

أن النزول الوارد هو نزول رحمة الله ، ولطفه ، ونعمته لعباده . [2]

٢- نزول ملائكته المقربين بأمره فيضاف إليه النزول على معنى ما وقع بأمره ، كما يقال : نزل الأمير بموضع كذا ، إذا نزل أصحابه بأمره ، ونفذ فيه حكمه وسلطانه .[3]

٣- ترك ما يليق بعلو الرتبة وعظم الشأن ، والاستغناء الكامل المطلق ، ولهذا تقول العرب نزل الملك مع فلان إلى أدنى الدرجات عند لطفه به ، وإحاطته بعنايته ، وانبساطه في حضرة مملكته ..." [4]

مناقشة القول :

هذه التأويلات باطلة ظاهرة البطلان ؛ لأنها أقوالٌ حادثةٌ مخالفةٌ لفهم السلف ، ولا يسندها ظاهر النص ، ولا سياق الكلام .

وقد سبق كما سبق نص أهل السنة والجماعة على وجوب الإيمان بحديث النزول ، ومن ذلك أيضاً قول ابن عبد البر[1] :" والذي عليه جمهور أهل السنة أنهم يقولون ينزل ، كما قال رسول الله ﷺ ، ويصدقون بهذا الحديث ولا يكيفون " [2]

---

[1] حجة الله البالغة ١/١٤٩ .

[2] انظر مشكل الحديث وبيانه ، لمحمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني ، ص٢٢٢ ، تحقيق: موسى محمد علي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط:٢ ، ١٩٨٥م ، غاية المرام في علم الكلام ، لعلي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي ، ص١٤٢ ، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٣٩١ هـ .

[3] انظر مشكل الحديث ص٢٥٠.

[4] غاية المرام للآمدي ص١٤٢.

وأما تأويلهم نزوله بنزول أمره فهذا باطل من وجوه :

الأول : أن نزول أمره ورحمته ليس قاصراً على ثلث الليل الأخير فحسب ، بل لا يختص بوقت ، لأنه سبحانه له الأمر من قبل ومن بعد وإذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون .

الثاني : أن الأمر والرحمة إنما أن يراد بها أعيان قائمة بنفسها كالملائكة عليهم السلام ، وإما إن يراد بها صفات وأعراض ، فإن أريد الأول فالملائكة تنزل إلى الأرض في كل وقت ، وأنتم خصصتم النزول بجوف الليل ، وجعلتم منتهاه سماء الدنيا ، والملائكة لا يختص نزولهم لا بهذا الزمان ولا بهذا المكان ، وإن أريد صفات وأعراض مثل ما يحصل في قلوب العابدين في وقت السحر من الرقة ، والتضرع ، وحلاوة العبادة ، ونحو ذلك فهذا حاصل في الأرض ، ليس منتهاه إلى السماء الدنيا .

الثالث : ثم لو قلنا النازل إلى السماء الدنيا هو رحمته وأمره لم يفد ذلك شيئاً ، إذا جعلنا غايتها السماء الدنيا ، ومعلوم أن الأمر والرحمة إذا تنزل على أهل الأرض لم ينتفعوا من ذلك بشيء .

وأما تأويلهم النزول بأنه اظهار فعل وتدبير في عباده يسميه نزولا ، فهذا التأويل مبني على أصل المتكلمين الفاسد في نفي قيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى ، والذي يعبرون عنه بنفي الحوادث به سبحانه ، ومعلوم أن مذهب السلف في ذلك أن الله يفعل ما يشاء وينزل كيف شاء ومتى شاء وأن نزوله من الأفعال الاختيارية المتعلقة بمشيئته وإرادته . [3]

---

[1] ابن عبد البر (٣٦٨ – ٤٦٣ هـ) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر: من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحاثة ، يقال له حافظ المغرب ، ولد بقرطبة ، ورحل رحلات طويلة في غربي الأندلس وشرقيها ، وولي قضاء لشبونة وشنترين ، وتوفي بشاطبة ، من كتبه الاستيعاب والتمهيد ، انظر الأعلام للزركلي ٢٤٠/٨.

[2] انظر التمهيد ١٤٣/٧.

[3] انظر شرح حديث النزول ٣٦٨/٥ ، ٤٠١ .

المطلب الثامن :– الكلام على لفظ الجسم :

يقول الدهلوي : " واستطال هؤلاء الخائضون على معشر أهل الحديث، وسموهم مجسمة ومشبهة، وقالوا هم المتسترون بالبلكفة ..."[1]

استنكر الدهلوي في كلامه السابق ، وصف أهل الباطل أهل الحديث بالمجسمة والمشبهة وسأوضح القول في الجسم والمراد به والقول الصحيح في ذلك :

الجسم لغة :

يقول ابن فارس :"(جسم) الجيم والسين والميم يدلُّ على تجمُّع الشيء ، فالجسم كلُّ شخصٍ مُدْرَكٍ ...والجَسيم: العظيم الجِسم، وكذلك الجُسام. والجُسْمان: الشخص"[2]

والجسم في اصطلاحات أهل الكلام والفلسفة قد اختلفوا في المراد به على اثنتي عشرة مقالة[3] ، والجدير بالانتباه هو الإشارة إلى أن من يظهر نفي الجسم عن الله ﷻ من الجهمية والمعتزلة ؛ ليخفي ما يهدف إليه من نفي ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات ، وهناك من يثبت الجسم من المشبهة ليخفي ما يهدف إليه من إثبات ما نفاه الله عن نفسه.

ومنهج أهل السنة والجماعة في هذه الألفاظ ونحوها ، الاستفصال عن معناها ، فإن كان حقاً قبل المعنى وأوقف اللفظ لعدم وروده ، وإن كان المعنى باطلاً رد اللفظ والمعنى .

---

[1] حجة الله البالغة ١/١٥٠.

[2] معجم مقاييس اللغة ١/٤٥٧.

[3] مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن الأشعري ، ٢/٢٣٥ ، تحقيق: نعيم زرزور ، المكتبة العصرية ، ط:١ ، ١٤٢٦هـ.

فلفظ الجسم – مثلاً– إن أريد بإطلاقه على الله ما هو مركب من الأجزاء ، أو أنه يماثل غيره من المخلوقات ، فهذا المعنى باطل لا تجوز إضافته إلى الله لا شرعاً ولا عقلاً ، إذ قد علم أن الله ليس كمثله شيء في شيء من صفاته .

وأما من قال : أنه ليس بجسم ، بمعنى أنه لا يرى في الآخرة ، ولا تمكن الإشارة إليه ، ولا ترفع إليه الأيدي في الدعاء ، فهذا المعنى باطل أيضاً ، وكذلك كل من ينفي ما أثبته الله ورسوله ﷺ ، ويزعم أن إثبات ذلك تجسيم ، فنفيه باطل ، وتسميته بالإثبات تجسيماً تلبيس منه .[١]

وقد أجاب العلامة ابن القيم عن هذه المسألة وفصلها تفصيلاً كافياً شافياً فقال:

"...واعلم أن لفظ الجسم لم ينطق به الوحي إثباتاً فيكون له الإثبات ، ولا نفياً فيكون له النفي، فمن أطلقه نفياً أو إثباتاً سُئل عما أراد به ، فإن قال: أردت بالجسم معناه في لغة العرب وهو البدن الكثيف الذى لا يسمى في اللغة جسم سواه ، فلا يقال للهواء: جسم لغة ، ولا للنار ولا للماء ، فهذه اللغة وكتبها بين أظهرنا ، فهذا المعنى منفي عن الله عقلاً وسمعاً ، وإن أردتم به المركب من المادة والصورة ، والمركب من الجواهر الفردة ، فهذا منفي عن الله قطعاً...والصواب نفيه عن الممكنات أيضاً ، فليس الجسم المخلوق مركباً من هذا ولا من هذا، وإن أردتم بالجسم ما يُوصف بالصفات ، ويُرى بالأبصار ، ويتكلم ويكلم ، ويسمع ويبصر ، ويرضى ويغضب ، فهذه المعاني ثابتة لله تعالى ، وهو موصوف بها ، فلا ننفيها عنه بتسميتكم للموصوف بها جسماً ، كما أنَّا لا نسب الصحابة لأجل تسمية الروافض لمن يحبهم ويواليهم نواصباً، ولا ننفي قدر الرب ونكذب به لأجل تسمية القدرية لمن أثبته جبرياً ، ولا نرد ما أخبر به الصادق عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله لتسمية أعداء الحديث لنا حشوية ، ولا نجحد صفات خالقنا وعلوه على خلقه واستوائه على عرشه لتسمية الفرعونية المعطلة لمن أثبت ذلك مجسماً مشبهاً ..." .

إلى أن قال: "وإن أردتم بالجسم ما يشار إليه إشارةً حسيةً فقد أشار أعرف الخلق بإصبعه رافعاً بها إلى السماء بمشهد الجمع الأعظم مشهداً له لا للقبلة ، وإن أردتم بالجسم ما يقال أين هو؟

---

[١] انظر مجموع الفتاوى ٣١٧/١٧ ، ومنهاج السنة ١٣٤/٢ وما بعدها .

فقد سأل أعلم الخلق بـ "أين"، منبهاً على علوه على عرشه وسمع السؤال بـ "أين" وأجاب عنه، ولم يقل: هذا السؤال إنما يكون عن الجسم.

...وإن أردتم بالجسم ما يلحقه (مِنْ–و–إلى) فقد نزل جبريل من عنده وعرج برسوله إليه ، وإليه يصعد الكلم الطيب، وعبده المسيح رفع إليه، وإن أردتم بالجسم ما يتميز منه أمر غير أمر فهو سبحانه موصوف بصفات الكمال جميعها من السمع والبصر والعلم والقدرة والحياة، وهذه صفات متميزة متغايرة ..." إلى أن قال: "وإن أردتم بالجسم ما له وجه ويدان وسمع وبصر

فنحن نؤمن بوجه ربنا الأعلى وبيديه وبسمعه وبصره وغير ذلك من صفاته التي أطلقها على نفسه ، وإن أردتم بالجسم ما يكون فوق غيره ومستوياً على غيره فهو سبحانه فوق عباده مستوٍ على عرشه".[1]

[1] مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ص ١٣٩ وما بعدها .

المطلب التاسع :– صفة الحياة والإرادة والقدرة والكلام :

يقول الدهلوي : " علم التوحيد والصفات، يجب أن يكون مشروحاً بشرح يناله العقل الإنساني بطبيعته ، لا مغلقاً لا يناله إلا من يندر وجود مثله ، فشرح هذا العلم بالمعرفة المشار إليها بقوله سبحان الله وبحمده ، فأثبت لنفسه صفات يعرفونها ، ويستعملونها، بينهم من الحياة ، والسمع ، والبصر ، والقدرة ، والإرادة ، والكلام ...، وأثبت مع ذلك أنه ليس كمثله شيء في هذه الصفات ، فهو حي لا كحياتنا ، وبصير لا كبصرنا ، قدير لا كقدرتنا ، مريد لا كإرادتنا ، متكلم لا ككلامنا ، ونحو ذلك ، ثم فسر عدم المماثلة بأمور مستبعدة في جنسنا ، مثل أن يقال يعلم عدد قطر الأمطار ، وعدد رمل الفيافي ، وعدد أوراق الأشجار، وعدد أنفاس الحيوانات، ويبصر دبيب النمل في الليلة الظلماء، ويسمع ما يتوسوس به تحت اللحف في البيوت المغلقة عليها أبوابها، ونحو ذلك"[1].

سأتكلم في هذا المطلب عن ثلاث صفات ثابتة لله ﷻ الحياة والإرادة والكلام :

أولاً :– صفة الحياة :

الحياة لغة : يقول ابن فارس : (حي) الحاء والياء والحرف المعتل أصلان: أحدهما خِلاف المَوْت، والآخر الاستحياء الذي هو ضِدُّ الوقاحة"[2].

وقد دل على هذا الاسم الكتاب والسنة ، فمن الكتاب قول الله تعالى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ..﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

---

[1] حجة الله البالغة ٥٨/١ .

[2] انظر معجم مقاييس اللغة ١٢٢/٢.

ومن السنة حديث أنس بن مالك ﷺ قال : كنا مع النبي ﷺ في حلقة ورجل قائم يصلي فلما ركع وسجد وتشهد ودعا فقال في دعائه : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم ، فقال النبي ﷺ : ((لقد دعا باسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى)) .[1]

وصفة الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال ، فإذا كانت حياته مستلزمة لجميع صفات الكمال ، فلا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة ، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها ، استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة .[2]

ومن الصفات التي تتبع صفة الحياة القدرة .

ثانياً:- صفة القدرة :

القدر لغة : يقول ابن فارس:" (قدر) القاف والدال والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على مَبْلَغ الشَّيء وكُنهه ونهايته. فالقدر: مبلغُ كلِّ شيء. يقال: قَدْرُه كذا، أي مبلغُه ، وكذلك القَدَر. وقَدَرتُ الشّيءَ أَقْدِرُه وأَقْدُرُه من التقدير، وقدَّرته أُقَدِّر ، والقَدْر: قضاء الله تعالى الأشياءَ على مبالغها ونهاياتها التي أرادَها لها، وهو القَدَرُ أيضاً."[3]

القدرة في الاصطلاح الشرعي : هي صفة ذاتية لله تعالى ثابتة بالكتاب والسنة ، ومعنى ذاتية : أي ملازمة لذات الله لا تنفك عنه سبحانه ، قال تعالى : ﴿... إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠﴾ [البقرة: ٢٠] .

[1] رواه الحاكم برقم (١٩١٠) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .(٦٨٩/١).

[2] انظر اللآلئ البهية شرح العقيدة الطحاوية للدكتور محمد الخميس ،دار الصديق ، الطبعة الثانية ، ١٤٣٤هـ. ص ١١٩

[3] معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٦٢/٥ .

ومن السنة حديث عثمان بن أبي العاص أنه شكا إلى النبي ﷺ وجعاً يجده في جسده منذ أسلم فقال له رسول الله ﷺ : ((ضع يدك على الذي تألم من جسدك ، وقل : بسم الله ثلاثاً وقل ، سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر))[1] .

---

[1] رواه مسلم ، في كتاب السلام ، باب : استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء، ص(١٠٦٩) ، ح (٢٢٠٢) .

ثالثاً :– صفة الإرادة :

الإرادة لغة:"الإرادة المشيئة وأصله الواو ، كقولك راوده أي أراده أن يفعل كذا ".[1]

وهي صفة فعلية ثابتة بالكتاب والسنة ، والصفات الفعلية هي المتعلقَة بمشيئة الله وقدرته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها .[2]

قال تعالى : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ١٢٥﴾ [الأنعام: ١٢٥].

ومن السنة حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((إذا أراد الله بقوم عذاباً ، أصاب العذاب من كان فيهم ، ثم بعثوا على أعمالهم)).[3]

وسيأتي الكلام في مبحث الإيمان بالقدر ذكر أقوال المخالفين في ذلك .

---

[1] لسان العرب ١٧٧٤/٣

[2] انظر اللآلئ البهية شرح الطحاوية ص١٣١.

[3] رواه مسلم ، في كتاب الفتن ، باب : الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت ، ص١١٧٦ ،ح(٢٥٧٩) .

رابعاً:– صفة الكلام :

الكلام لغة : يقول ابن فارس:" (كلم) الكاف واللام والميم أصلانِ: أحدهما يدلُّ على نطقٍ مُفهِم ، والآخَر على جراح.

فالأوّل الكَلام ، تقول: كلّمته أُكلّمه تكليماً ، وهو كَليمِي إذا كلّمك أو كلَّمتَه، ثمَّ يتَّسِعون فيسمُّون اللفظة الواحدة المفهِمَة كلمة، والقِصَّةَ كلمة ، والقصيدةَ بطولها كلمة ، ويجمعون الكلمة كلمات وكَلِماً ، قال الله تعالى: ﴿..يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ..﴾[النساء ٤٦].

والأصل الآخر الكَلْم، وهو الجُرْح ، والكِلام: الجراحات، وجمع الكَلْم كلومٌ أيضاً ،ورجل كليمٌ وقومٌ كَلْمَى، أي جرحى."[١]

وصفة الكلام هي صفة ذاتية باعتبار النوع ، وصفة فعلية باعتبار أفراد الكلام ، فهو سبحانه يتكلم متى شاء ، وكيف شاء بكلام مسموع ، وقد دل على صفة الكلام الأدلة من الكتاب والسنة ، قال تعالى : ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] ، وقال تعالى : ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ...﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقوله ﷻ :﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦].

ومن السنة حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((احتج آدم وموسى فقال له موسى : يا آدم أنت أبونا خيَّبتنا وأخرجتنا من الجنة ، قال له آدم : يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده ...)) [٢].

ومذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى لم يزل فاعلاً متكلماً إذا شاء ، ولا حدوث ، بل إن ذلك ممكن غير ممتنع ، والله قادر عليه وقت ما شاء ، وهو تعالى لم يزل متكلماً إذا

---

[١] معجم مقاييس اللغة ١٣١/٥.

[٢] رواه البخاري من رواية أبي هريرة ﷺ من غير زيادة التوراة ، في كتاب القدر ، باب : تحاج آدم وموسى – عليهما السلام – عند الله تعالى، ص٥٥٣ ،ح٦٦١٤ .

شاء ، ومتى شاء ، وكيف شاء ، وهو يتكلم به بصوت يسمع ، وأن نوع الكلام قديم ، وإن لم تكن أفراد الكلام قديمة ، وهذا هو المأثور عن أهل الحديث والسنة .

وأما مذهب الكلابية والأشاعرة ومن وافقهم من المتكلمين في أفعال الله وكلامه ، فإنهم يقولون الفعل صار ممكناً له بعد أن كان ممتنعاً عليه ، وأما الكلام الإلهي عندهم فلا يدخل تحت المشيئة والقدرة بل هو شيء واحد لازم لذاته ، وهو الكلام النفسي كما يزعمون [1]

وقد افترقت المبتدعة في كلام الله على تسعة أقوال وهذا يبين كثرة اختلافهم وفساد قولهم ، ومن أبرز هذه الأقوال :

- أنَّه مخلوقٌ خلقه الله منفصلاً عنه لم يبد منه، وهذا هو قول المعتزلة ، وقالوا اضافة الكلام إلى الله اضافة تشريف كناقة الله وبيت الله .
- أنه معنى واحد قائم بذات الله ، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار ، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآناً ، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراةً ، وهذا قول ابن كلاب[2] ، ومن وافقه كالأشعري وغيره وقالوا بالكلام النفساني .
- أنه حروف وأصواته أزلية مجتمعة في الأزل ، وهذا قول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحديث .
- أن كلامه يتضمن معنى قائماً بذاته هو ما خلقه في غيره وهذا قول أبي منصور الماتريدي[3] [4].

---

[1] انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز ١٠٣/١ ، وانظر اللآلئ البهية شرح الطحاوية ص ١٣٦ ،ص١٨٦.

[2] عبد الله بن سعيد بن كلّاب أبو محمد القطان (٠٠٠ - ٢٤٥ هـ) متكلم يقال له " ابن كلاب ". قال السبكي: وكلاب بضم الكاف وتشديد اللام، قيل: لقب بها لأنه كان يجتذب الناس الى معتقده إذا ناظر عليه كما مجتذب الكلاب الشئ. له كتب، منها " الصفات " و " خلق الأفعال " و " الرد على المعتزلة " انظر الأعلام للزركلي ٩٠/٤ .

[3] محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (....،٣٣٣هـ) من أئمة علماء الكلام ،نسبته إلى ما تريد (محلة بسمرقند) ، مات بسمرقند من كتبه :تأويلات أهل السنة وشرح الفقه الأكبر المنسوب للإمام أبي حنيفة ،انظر الأعلام للزركلي ١٩/٧ .

[4] انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ١٧٢/١-١٧٤ .

ويرد عليهم بأن :

١- **الوصف بالتكلم من أوصاف الكمال، وضده من أوصاف النقص** وهذا رد على المعتزلة وغيرهم ممن رأى الكلام صفة نقص ، يقول ابن أبي العز بعد أن ذكر أقوال المخالفين في كلام الله عز :" الوصف بالتكلم من أوصاف الكمال : قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨] ، فكان عباد العجل – مع كفرهم – أعرف بالله من المعتزلة ، فإنهم لم يقولوا لموسى: وربك لا يتكلم أيضاً ، وقال تعالى عن العجل أيضاً: ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا﴾ [طه: ٨٩] ، فعلم أن نفي رجوع القول ونفي التكلم نقص يستدل به على عدم ألوهية العجل ، وغاية شبهتهم أنهم يقولون: يلزم منه التشبيه والتجسيم؟ فيقال لهم: إذا قلنا أنه تعالى يتكلم كما يليق بجلاله انتفت شبهتهم ، ألا ترى أنه تعالى قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥] ، فنحن نؤمن أنها تتكلم ، ولا نعلم كيف تتكلم ، وكذا قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖۚ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [فصلت: ٢١] وكذلك تسبيح الحصا والطعام" .[1]

٢- **كلام الله ﷻ حقيقة وليس بمخلوق** وهذا رد على المعتزلة ورد على الأشاعرة القائلين بالكلام النفسي ، يقول ابن أبي العز الحنفي " القرآن كلام الله حقيقة فهو ليس بمخلوق كما تقول المعتزلة وفي قوله — أي الإمام الطحاوي[2] – حقيقة رد على من قال : إنه معنى واحد قائم بذات الله ، لم يسمع منه وإنما هو الكلام النفساني ؛ لأنه

---

[1] شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، ١/١٧٥، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ، لأبي العون محمد بن أحمد السفاريني ، ١/١٣٤ ، مؤسسة الخافقين ومكتبتها ، دمشق ، ط:٢ ، ١٤٠٢هـ.

[2] الطحاوي (٢٣٩ – ٣٢١ هـ) أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي ، أبو جعفر: فقيه انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر. ولد ونشأ في (طحا) من صعيد مصر، وتفقه على مذهب الشافعي، ثم تحول حنفياً ، من تصانيفه : شرح معاني الآثار ومشكل الآثار ، انظر الأعلام للزركلي ١/٢٠٦ .

لا يقال لمن قام به الكلام النفساني ولم يتكلم به : إن هذا كلام حقيقة وإلا للزم أن يكون الأخرس متكلماً ، ولزم أن لا يكون الذي في المصحف عند الإطلاق هو القرآن ، ولا كلام الله ، ولكن عبارة عنه ليست هي كلام الله ، كما لو أشار عند أخرس إلى شخص بإشارة فهم بها مقصوده ، فكتب ذلك الشخص عبارته عن المعنى الذي أوحاه إليه ذلك الأخرس ، فالمكتوب هو عبارة ذلك الشخص عن ذلك المعنى ، وهذا المثل مطابق غاية المطابقة لما يقولونه، وإن كلام الله تعالى لا يسميه أحد أخرس ، لكن عندهم أن الملك فهم منه معنى قائماً بنفسه ، لم يسمع منه حرفاً ولا صوتاً ، بل فهم معنى مجرداً ، ثم عبر عنه ، فهو الذي أحدث نظم القرآن وتأليفه العربي . "[1]

٣- **وقول المعتزلة إضافة تشريف يرد عليه بأن المضاف إلى الله إما إضافة معان أو أعيان** ، فإضافة الأعيان إلى الله تعالى إضافة للتشريف ، وهي مخلوقة له ، كبيت الله وناقة الله ، بخلاف إضافة المعاني ، كعلم الله ، وقدرته ، وعزته ، وحياته ...الخ ؛ فإن هذا كله من الصفات التي لا يمكن أن يكون شيء منها مخلوقاً .[2]

وبهذا يتبين أن القول الحق هو قول أهل السنة والجماعة ومن وافقهم ، ويكفي أن قول المعتزلة قول شاذ مبتدع لم يعرف إلا منهم .

---

[1] شرح العقيدة الطحاوية ١/١٩٧- ١٩٨.

[2] انظر المصدر السابق٢/٥٦٣-٥٦٤.

المطلب التاسع :- التأويل :

يقول الدهلوي : " وذهب قوم إلى التأويل والصرف عن الظاهر ، حيث خالفت الأصول العقلية بزعمهم ، فتكلموا بالمعقول لتحقق الأمر وتبينه على ماهو عليه ، فمن هذا القسم سؤال القبر ، ووزن الأعمال ، والمرور على الصراط ، وكرامات الأولياء....". [1]

تعريف التأويل:

التأويل لغة :

مادة (أول) في كل استعمالاتها اللغوية تفيد معنى الرجوع ، والعود ، جاء في اللسان: (الأول: الرجوع: آل الشيء يؤول أولاً ومآلاً: رجع ، وأول إليه الشيء: رجعه، وآلت عن الشيء: ارتددت ... وقال أبو عبيد في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧] ، قال: التأويل المرجع والمصير، مأخوذ من آل يؤول إلى كذا أي صار إليه، وأولته: صيرته إليه ...) [2].

وقال ابن فارس: "أول الحكم إلى أهله: أي أرجعه ورده إليهم...وآل الجسم إذا نحف ، أي رجع إلى تلك الحالة ، ومن هذا الباب تأويل الكلام وهو عاقبته وما يؤول إليه ، وذلك قوله تعالى:﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن

---

[1] حجة الله البالغة ٢٦/١ .

[2] لسان العرب ٣٢/١-٣٤ .

شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴿٥٣﴾ [الأعراف: ٥٣] ، ويقول: ما يؤول إليه في وقت بعثهم ونشورهم..."[1] .

إذا التأويل هو ما أول إليه أو يؤول إليه ، أو تأول إليه ، والكلام إنما يرجع ويعود ويستقر ويؤول إلى حقيقته التي هي عين المقصود به ، وهذا هو المعنى الوارد في الكتاب والسنة.[2]

ب- أما معنى التأويل في اصطلاح العلماء، فله ثلاثة معان:

الأول: "أن يراد بالتأويل حقيقة ما يؤول إليه الكلام، وإن وافق ظاهره ، وهذا هو المعنى الذي يراد بلفظ التأويل في الكتاب والسنة ، كقوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴿٥٣﴾ [الأعراف: ٥٣] ، ومنه قول عائشة رضي الله عنها : (كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: ((سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي))يتأول القرآن)[3].

الثاني: يراد بلفظ التأويل: (التفسير) وهو اصطلاح كثير من المفسرين.

الثالث: أن يراد بلفظ (التأويل): صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه ظاهره إلى ما يخالف ذلك ، لدليل منفصل يوجب ذلك ، وهذا التأويل لا يكون إلا مخالفاً لما يدل عليه اللفظ ويبينه ، وتسمية هذا تأويلاً لم يكن في عرف السلف ، وإنما سمي هذا وحده تأويلاً طائفة من

---

[1] مقاييس اللغة لابن فارس ١٥٩/١ ، مجموع الفتاوى ٢٩٠/١٣- ٢٩٤ ، والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، لابن القيم الجوزية ، ١٧٥/١ – ١٧٨ ، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة ، الرياض ، ط:٣ ، ١٤١٨ هـ.

[2] مجموع الفتاوى ٢٩٣/١٣.

[3] رواه البخاري ، كتاب الأذان ، باب التسبيح والدعاء في السجود ، ص٦٥ ، ح ٨١٧.

المتأخرين الخائضين في الفقه وأصوله والكلام ، وهذا هو التأويل الذي اتفق سلف الأمة وأئمتها على ذمه، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض ، ورموا في آثارهم بالشهب..."[1] .

وهذا التأويل من أعظم أصول الضلال ، والانحراف حيث صار ذريعة لغلاة الجهمية والباطنية والمتصوفة ، في تأويل التكاليف الشرعية على غير مقصودها ، أو إسقاطها ،أو تأويل جميع الأسماء والصفات.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :"- وأهل التأويل المذموم - مراتب ما بين قرامطة وباطنية ، يتأولون الأخبار والأوامر، وما بين صائبة فلاسفة عامة الأخبار عن الله واليوم الآخر، حتى عن أكثر أحوال الأنبياء، وما بين جهمية ومعتزلة يتأولون بعض ما جاء في اليوم الآخر وفي آيات القدر ويتأولون آيات الصفات، وقد وافقهم بعض متأخري الأشعرية على ما جاء في بعض الصفات، وبعضهم في بعض ما جاء في اليوم الآخر، وآخرون من أصناف الأمة وإن كان تغلب عليهم السنة، فقد يتأولون أيضاً مواضع يكون تأويلهم من تحريف الكلم عن مواضعه ..." [2]

والذي حمل أهل الكلام على التأويل ثلاثة أمور :

أولها : زعمهم إيهام النصوص ما لايليق بالله .

الثاني : توهم مخالفة النصوص للعقل .

الثالث : ما يظهر في فكرهم من التعارض بين النصوص .[3]

---

[1] مجموع الفتاوى ٥٤/٣ - ٦٨، ٦٨/٤ - ٧٠ ، ٢٨/٥- ٣٦ ، وانظر الصواعق المرسلة ١٧٥/١وما بعدها ، وشرح الطحاوية ٢٥١/١.

[2] مجموع الفتاوى ٢٨٧/١٣.

[3] انظر موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة ص ٥٠٢-٥٠٩.

يقول الدهلوي " وذهب قوم إلى التأويل والصرف عن الظاهر حيث خالفت الأصول العقلية بزعمهم فتكلموا بالمعقول لتحقق الأمر وتبينه على ما هو عليه ، فمن هذا القسم سؤال القبر ، ووزن الأعمال والمرور على الصراط وكرامات الأولياء فهذا كله ظهر به الكتاب والسنة ، وجرا عليه ولكن ضاق نطاق المعقول عنها بزعم قوم فأنكروها أو أولوها ، وقال قوم منهم آمنا بذلك ، وإن لم ندر حقيقته ، ولم يشهد له المعقول عندنا ، ونحن نقول آمنا بذلك كله على بينة من ربنا وشهد له المعقول عندنا.

وقسم لم ينطق به الكتاب ولم تستفيض به السنة : ولم يتكلم فيه الصحابة فهو مطوي على غرة ، فجاء الناس من أهل العلم فتكلموا فيه واختلفوا ، وكان خوضهم فيه إما استنباطاً من الدلائل النقلية كفضل الأنبياء عليهم السلام على الملائكة عليهم السلام ، وفضل عائشة على فاطمة رضي الله عنهما ، وإما لتوقف الأصول الموافقة للسنة عليه ، وتعلقها به بزعمهم كمسائل الأمور العامة ، وشيء من مباحث الجواهر والأعراض ، فإن القول بحدوث العالم يتوقف على الهيولي وإثبات الفضية القائلة بأن الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد ...، إلى غير ذلك مما شحنوا به كتبهم ، وإما تفصيلاً وتفسيراً لما تلقوه من الكتاب والسنة ..."[1]

وهنا يذكر الدهلوي بعض المسائل التي تأولها المتأولون من النوع الثاني والثالث كما سبق.

---

[1] حجة الله البالغة ٢٦/١ .

لكن الدهلوي خالف كلامه السابق ، وتأول كثيراً من الأحاديث في كتابه ومن ذلك :

١-يقول " قوله ﷺ : ((فإن الشيطان يبيت على خيشومه)) [١] ، أقول: معناه أن اجتماع المخاط والمواد الغليظة في الخيشوم سبب لتبلد الذهن وفساد الفكر، فيكون أمكن لتأثير الشيطان بالوسوسة ، وصده عن تدبر الأذكار.[٢]

٢-ويقول معلقاً على قول الرسول الله ﷺ : ((إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب واستغفر صقل قلبه، فإن زاد زادت حتى يعلو قلبه فذلكم الران الذي ذكر الله تعالى ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]))[٣] ، أقول: أما النكتة السوداء فظهور ظلمة من الظلمات البهيمية واستنارة نور من الأنوار الملكية ، وأما الصقالة فضوء يفاض على النفس من نور الإيمان، وأما الران فغلبة البهيمية ، وكمون الملكية رأساً، ثم يتكرر نزول نور الإيمان، ودفعه الهاجس النفساني ، فكلما هجس خاطر المعصية من النفس نزل بإزائه نور، فدمغ الباطل ومحاه."[٤]

٣- ويقول الدهلوي في تأويل الإسراء والمعراج :"وأسري به إلى المسجد الأقصى، ثم إلى سدرة المنتهى، وإلى ما شاء الله، وكل ذلك لجسده ﷺ في اليقظة ولكن ذلك في موطن هو برزخ بين المثال والشهادة ، جامع لأحكامهما ، فظهر على الجسد أحكام الروح ، وتمثل الروح والمعاني الروحية أجساداً ، ولذلك بان لكل واقعة من تلك الوقائع تعبير، وقد ظهر لحزقيل

---

[١] أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ ، كتاب : بدء الخلق ، باب : صفة إبليس وجنوده ، ص٢٦٦ ، ح ٣٢٩٥ ، قال :عن النبي ﷺ قال : ((إذا استيقظ أراه أحدكم من منامه فتوضأ فليستنثر ثلاثا فإن الشيطان يبيت على خيشومه)).

[٢] حجة الله البالغة ٣٩٦/١

[٣] أخرجه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ ، كتاب تفسير القرآن ، بابٌ : ومن سورة ويل للمطففين ، ص ١٩٩٤ ،ح ٣٣٣٤ ، وقال حديث حسن صحيح ، وقال الألباني حسن (صحيح الترغيب والترهيب) ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، ٣٢٣/٣ مكتَبة المعارف ، الرياض ، ط:١، ١٤٢١هـ.

[٤] حجةالله البالغة ١٧٦/٢-١٧٧.

، وموسى ، وغيرهما عليهما السلام نحو من تلك الوقائع ، وكذلك لأولياء الأمة ليكون علو درجاتهم عند الله ، كحالهم في الرؤيا والله أعلم.

أما شق الصدر وملؤه إيماناً فحقيقته غلبة أنوار الملكية ، وانطفاء لهب الطبيعة ، وخضوعها لما يفيض عليها من حظيرة القدس.

وأما ركوبه ﷺ على البراق ، فحقيقته استواء نفسه النطقية على نسمته التي هي الكمال الحيواني ، فاستوى راكباً على البراق ، كما غلبت أحكام نفسه النطقية على البهيمية وتسلطت عليها.

وأما إسراؤه ﷺ إلى المسجد الأقصى ؛ فلأنه محل ظهور شعائر الله ، ومتعلق همم الملأ الأعلى ، ومطمح أنظار الأنبياء عليهم السلام ...

وأما ملاقاته ﷺ مع الأنبياء صلوات الله عليهم ومفاخرته معهم فحقيقتها اجتماعهم من حيث ارتباطهم بحظيرة القدس وظهور ما اختص به من بينهم من وجوه الكمال."[1]

٥- وهنا جملة من الأحاديث التي تأولها الدهلوي تأويلاً باطلاً ، وجعلها من عالم المثال :

يقول الدهلوي:" أعلم أنه دلت أحاديث كثيرة على أن في الوجود عالماً غير عنصري ، تتمثل فيه المعاني بأجسام مناسبة لها في الصفة ، وتتحقق هنالك الأشياء قبل وجودها في الأرض نحواً من التحقق ، فإذا وجدت كانت هي هي بمعنى من معاني هو هو ، إن كثيراً من الأشياء مما لا جسم لها عند العامة تنتقل وتنزل ولا يراها جميع الناس .

النبي- ﷺ - يتحدث عن شيء من هذا العالم :

قال النبي ﷺ : ((لما خلق الله الرحم قامت فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة)) .[1]

---

[1] حجة الله البالغة ٢/٣٦٥ .

وقال ﷺ : ((إن البقرة وآل عمران تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف تحاجان عن أهلهما)) .[٢]

وقال ﷺ :((تجيء الأعمال يوم القيامة فتجيء الصلاة ثم تجيء الصدقة ، ثم يجيء الصيام)).[٣]"[٤]

ثم جعل الدهلوي عذاب القبر من عالم المثال أيضاً وكذلك تجلي الله ﷻ في المحشر

يقول الدهلوي " النبي عليه الصلاة والسلام يتحدث عن القبر :

واستفاض في الحديث...أن القبر يفسح سبعين ذراعاً في سبعين أو يضم حتى تختلف أضلاع المقبور وإن الملائكة تنزل على المقبور ، فتسأله وأن عمله يتمثل له ، وأن الملائكة تنزل إلى المحتضر بأيديهم الحرير أو المسح ، وأن الملائكة تضرب المقبور بمطرقة من حديد ، فيصيح صيحة يسمعها ما بين المشرق والمغرب[٥]...

---

[١] أخرجه البخاري بنحوه من حديث أبي هريرة ﷺ ، كتاب التفسيرة ، سورة محمد ﷺ ، باب ﴿ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴾ [محمد: ٢٢] ، ص٤١٢ ، ح٤٨٣٠ .

[٢] أخرجه مسلم من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ ، كتاب فضائل القرآن وما يتعلق به ، باب فضل قراءة القرآن وما يتعلق به ، ص٨٠٤ ، ح١٨٧٤ .

[٣] أخرجه أحمد في المسند ٣٥٥/١٤ ح ٨٧٤٢ ، وقال محققوه : إسناده ضعيف ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، ط:١.

[٤] انظر حجة الله البالغة ١٥٥/١ .

[٥] أخرج البخاري عن قتادة أنس رضي الله عنهما ،كتاب الجنائز ، باب من يقدم في اللحد ، ص ١٠٥ ، ح ١٣٣٨ ، عن قتادة عن أنس بن مالك ﷺ أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ قال : ((إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا * قال قتادة وذكر لنا أنه يفسح له في قبره ثم رجع إلى حديث أنس قال وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت (أ تليت) ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين)).

واستفاض في الحديث : أن الله تعالى يتجلى بصور كثيرة لأهل الموقف...إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة " [1].

مناقشة قول الدهلوي :

١- خالف الدهلوي قوله كما سبق مخالفةً واضحةً ، فقوله السابق يبطل قوله اللاحق كله .

٢- كل ما قاله الدهلوي من تأويل لم يأتِ عليه دليل ولا يعضده دليل ويعتبر تأويلاً للنصوص وعرض لها على العقل القاصر دون وحي صادق ، ومعلوم أن الكلام في أمور الغيب لابد له من دليل.

٣- الله ﷻ على كل شيء قدير ، ومن يؤمن حق الإيمان بذلك ، يصدق بكل ما جاء عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ ، ولا يتأول التأويل المخالف الذي يصرف الدليل عن المعنى الصحيح . [2]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :" وأما التأويل المذموم والباطل : فهو تأويل أهل التحريف والبدع الذين يتأولونه على غير تأويله ويدعون صرف اللفظ عن مدلوله إلى غير مدلوله بغير دليل يوجب ذلك ، ويدعون أن في ظاهره من المحذور ما هو نظير المحذور اللازم فيما أثبتوه بالعقل ، ويصرفونه إلى معان هي نظير المعاني التي نفوها عنه فيكون ما نفوه من جنس ما أثبتوه ، فإن كان الثابت حقاً ممكناً كان المنفي مثله ، وإن كان المنفي باطلاً ممتنعاً كان الثابت مثله .

وهؤلاء الذين ينفون التأويل مطلقاً ويحتجون بقوله تعالى : ﴿... وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ...٧﴾ [آل عمران: ٧] قد يظنون أنا خوطبنا في القرآن بما لا يفهمه أحد ، أو بما لا معنى له أو بما لا يفهم منه شيء ، وهذا مع أنه باطل فهو متناقض ؛ لأنا إذا لم نفهم منه شيئاً لم يجز لنا أن نقول له

---

[1] حجة الله البالغة ٣٧/١-٣٨ .

[2] ينظر مبحث التجلي ومبحث عالم المثال .

تأويل يخالف الظاهر ولا يوافقه ؛ لإمكان أن يكون له معنى صحيح ، وذلك المعنى الصحيح لا يخالف الظاهر المعلوم لنا ؛ فإنه لا ظاهر له على قولهم ، فلا تكون دلالته على ذلك المعنى دلالة على خلاف الظاهر ، فلا يكون تأويلاً ولا يجوز نفي دلالته على معان لا نعرفها على هذا التقدير ؛ فإن تلك المعاني التي دل عليها قد لا نكون عارفين بها ؛ ولأنا إذا لم نفهم اللفظ ومدلوله فلأن لا نعرف المعاني التي لم يدل عليها اللفظ أولى، لأن إشعار اللفظ بما يراد به أقوى من إشعاره بما لا يراد به ، فإذا كان اللفظ لا إشعار له بمعنى ، من المعاني ولا يفهم منه معنى أصلاً ، لم يكن مشعراً بما أريد به فلأن لا يكون مشعرا بما لم يرد به أولى ، فلا يجوز أن يقال : إن هذا اللفظ متأول ، بمعنى أنه مصروف عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح ، فضلاً عن أن يقال : إن هذا التأويل لا يعلمه إلا الله ، اللهم إلا أن يراد بالتأويل ما يخالف ظاهره المختص بالخلق فلا ريب أن من أراد بالظاهر هذا لابد وأن يكون له تأويل يخالف ظاهره .

لكن إذا قال هؤلاء : أنه ليس لها تأويل يخالف الظاهر ، أو أنها تجري على المعاني الظاهرة منها كانوا متناقضين ، وإن أرادوا بالظاهر هنا معنى وهناك معنى في سياق واحد من غير بيان كان تلبيساً ، وإن أرادوا بالظاهر مجرد اللفظ أي تجري على مجرد اللفظ الذي يظهر من غير فهم لمعناه كان إبطالهم للتأويل أو إثباته تناقضا ؛ لأن من أثبت تأويلاً أو نفاه فقد فهم معنى من المعاني ،

وبهذا التقسيم يتبين تناقض كثير من الناس من نفاة الصفات ومثبتيها في هذا الباب ."[1]

٤- بالتأويل الفاسد هدمت اليهودية والنصرانية وحدث الافتراق بين المسلمين ، وسفكت الدماء يقول ابن أبي العز الحنفي عن تأويل قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] " وهي من أظهر الأدلة، وأما من أبى إلا تحريفها بما يسميه تأويلاً ؛ فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والحساب، أسهل من تأويلها على أرباب التأويل، ولا يشاء مبطل أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول هذه النصوص.

[1] انظر مجموع الفتاوى ٣/٦٧-٦٨ .

وهذا الذي أفسد الدنيا والدين، وهكذا فعلت اليهود والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل، وحذرنا الله أن نفعل مثلهم، وأبى المبطلون إلا سلوك سبيلهم، وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية، فهل قتل عثمان رضي الله عنه إلا بالتأويل الفاسد؟ وكذا ما جرى في يوم الجمل، وصفين، ومقتل الحسين، والحرة؟ وهل خرجت الخوارج، واعتزلت المعتزلة، ورفضت الروافض، وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، إلا بالتأويل الفاسد؟!"[١]

---

[١] شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ١/٢٠٨-٢٠٩ .

الفصل الثاني : المسائل المتعلقة ببقية أركان الإيمان :

المبحث الأول : الإيمان بالملائكة عليهم السلام .

المبحث الثاني : الإيمان بالكتب المنزلة .

المبحث الثالث : الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام .

المبحث الرابع : الإيمان باليوم الآخر .

المبحث الخامس : الإيمان بالقدر خيره وشره .

الفصل الثاني :- المسائل العقدية المتعلقة ببقية أركان الإيمان :

المبحث الأول :- الإيمان بالملائكة عليهم السلام :

يقول الدهلوي:"أعلم أن أصل الدين واحد اتفق عليه الأنبياء عليهم السلام، وإنما الاختلاف في الشرائع والمناهج.

تفصيل ذلك أنه أجمع الأنبياء عليهم السلام على توحيد الله تعالى عبادة واستعانة ،وتنزيهه ...، وأن لله ملائكة لا يعصونه فيما أمر، ويفعلون ما يأمرون " .[١]

ويقول:"وأما رقيه إلى السماوات سماء بعد سماء فحقيقته الانسلاخ إلى مستوى الرحمن منزلة بعد منزلة[٢] ومعرفة حال الملائكة الموكلة بها ومن لحق بهم من أفاضل البشر والتدبير الذي أوحاه الله فيها والاختصام الذي يحصل في ملئها."[٣]

ويقول في ذكر المسائل التي لم ينطق بها الكتاب ولم تستفض بها السنة:" قسم لم ينطق به الكتاب ولم تستفيض به السنة : ولم يتكلم فيه الصحابة فهو مطوي على غرة فجاء الناس من أهل العلم فتكلموا فيه واختلفوا ، وكان خوضهم فيه إما استنباطاً من الدلائل النقلية كفضل الأنبياء عليهم السلام على الملائكة عليهم السلام..."[٤]

يُبين الدهلوي العقيدة المتفق عليها بين المسلمين وهي عقيدة الإيمان بالملائكة عليهم السلام ، ثم يذكر معرفة النبي ﷺ للملائكة عليهم السلام في قصة الإسراء والمعراج ، ثم

---

[١] حجة الله البالغة ١/١٩٩-٢٠٠.

[٢] هذه الجملة موهمة وغير صحيحة وتحتمل معان متعددة ومن ذلك الحلول والاتحاد فكان الصحيح القول باللفظ الوارد وهو المعراج .

[٣] المصدر السابق ٢/٣٦٥.

[٤] المصدر السابق ١/٢٦.

مسألة تفاضل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع الملائكة عليهم السلام ، وسأتكلم في هذا المبحث عن الملائكة ، وقول أهل السنة والجماعة في المسائل المتعلقة بهم ، ومسألة التفاضل بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والملائكة عليهم الصلاة والسلام :

تعريف الملائكة:

الملائكة لغة : جمع ملَك ، قال ابن فارس : "الميم والام والكاف أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة))[١]، والملَكُ أصله((مَلأَك)) نُقلت حركة الهمزة فيه إلى الساكن قبله ، ثم حُذفت الألف تخفيفا فصارت مَلَكاً ، وهو مشتق من الألوكة والملأكة وهي : الرسالة ، والملأَك : الملَك ؛ لأنه يبلغ عن الله تعالى ، يقال : ألك ؛ أي تحمل الرسالة ".[٢]

والملائكة هم رسل الله في تنفيذ أمره الكوني الذي يدبر به السموات والأرض ، وهم رسل الله في تدبيره أمره الديني الذي تنزل به على الرسل قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ [النحل: ٢].[٣]

والإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان ، والذي لا يصح إيمان عبد حتى يقر به فيؤمن بوجودهم ، وبما ورد في الكتاب والسنة من صفاتهم وأفعالهم .

قال الله تعالى : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥]

---

[١] معجم مقاييس اللغة ٣٥١/٥-٣٥٢.

[٢] انظر معجم مقاييس اللغة ١٣٢/١.

[٣] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد ، لصالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ، ص١٧٠ ، دار ابن الجوزي ، ط: ٤ ، ١٤٢٠هـ .

وقد حكم الله ﷻ بكفر من أنكر وجود الملائكة عليهم السلام ولم يؤمن بهم قال تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَـٰلَۢا بَعِيدًا﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦]

ويعتقد المسلمون اعتقاداً جازماً بأن لله ﷻ ملائكة مكرمون خلقهم الله سبحانه لعبادته ، ووكلهم بأعمال يقومون بها ، ومنحهم الطاعة التامة لأمره ، والقوة على تنفيذه .

والإيمان بالملائكة عليهم السلام داخل في الإيمان بالغيب ، وقد مدح الله سبحانه المؤمنين بأنهم مؤمنون بالغيب ، كما جاء في بداية سورة البقرة ﴿الٓمٓ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَـٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَـٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴿٣﴾﴾ [البقرة: ١-٣].

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بهم إجمالاً، وأما تفصيلاً فبمن صح به الدليل ممن سماه الله ورسوله ﷺ ، كجبريل الموكل بالوحي، وميكائيل الموكل بالمطر، وإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور، وملك الموت الموكل بقبض الأرواح، ومالك خازن النار عليهم السلام.

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بوجودهم، وأنهم عباد مخلوقون ، خلقهم الله تعالى من نور، وهم ذوات حقيقية، وليسوا قوى خفية، وهم خلق من خلق الله تعالى.

والملائكة عليهم السلام خلقتهم عظيمة، منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له أكثر من ذلك، وثبت أن جبريل عليه السلام له ستمائة جناح.

وقد أعطى الله ﷻ الملائكة قدرة على التشكل بأشكال مختلفة؛ فقد جاؤوا إلى إبراهيم ولوط عليهما السلام بصورة أضياف، وكان جبريل يأتي إلى النبي ﷺ في صفات متعددة؛ تارة يأتي في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه ، وتارة في صورة أعرابي، وتارة في صورته التي خلق عليها.[١]

---

[١] انظر شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي ص٢٩٧ وما بعدها ، تيسير العزيز الحميد ص٢٢٦ ، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ١٦٨ – ١٧١ .

مسألة المفاضلة بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والملائكة عليهم السلام :

تعددت أقوال فرق المسلمين فيها وحاصلها ثلاثة أقوال :

الأول : التفضيل بين صالحي البشر على الملائكة ، وهو المشهور من مذهب السلف[1] ، ومن وافقهم من الأشاعرة .[2]

والثاني: القول بتفضيل الملائكة على صالحي البشر ، وهو مذهب المعتزلة [3]، وبعض أهل السنة والأشاعرة[4]، والصوفية [5].

والثالث : السكوت وعدم القطع فيها بقول [6]

وقد قامت الأدلة على تفضيل نبينا بل سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على الملائكة عليهم السلام : ومنها قوله تعالى بعد ذكر جملة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٦] ، والملائكة من جملة العالمين ، وقوله تعالى:

---

[1] انظر مجموع الفتاوى ٣٥٧/٤

[2] انظر المصدر السابق ٣٤٣/٤ ، وانظر بدائع الفوائد، لمحمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) ، ٦٨٤/٣ ، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا ، عادل عبد الحميد العدوي ، أشرف أحمد، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، ط:١ ، ١٤١٦هـ. ، وانظر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ) ، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق ،الطبعة: الثانية – ١٤٠٢ هـ . ٤٠٠/٢ وما بعدها .

[3] انظر المواقف ، لعضد الدين الإيجي ، ص٣٦٧ ، دار الجيل ، بيروت ، ط:١، ١٩٩٧م .

[4] انظر مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن الأشعري ، ٦٢٣/٢ .

[5] انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٤١٠/٢.

[6] انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٤١١/٢ وما بعدها .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ۝٧﴾ [البينة: ٧] ، والبرية الخليقة ، والملائكة عليهم السلام من جملتهم .

واختار شيخ الإسلام القول بأن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية ، والملائكة عليهم السلام أفضل باعتبار البداية ، يقول في ذلك :" صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية ، والملائكة عليهم السلام أفضل باعتبار البداية ، فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى ، منزهون عما يلابسه بنو آدم مستغرقون في عبادة الرب ، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوالالبشر ، وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة ، فيصير حال صالحي البشر أكمل من حال الملائكة "[١]

[١] مجموع الفتاوى ٣٤٣/٤ .

المبحث الثاني : الإيمان بالكتب .

يقول الدهلوي في باب تعظيم شعائر الله :"ومعظم ''شعار'' الله أربعة[1]: القرآن، والكعبة ، والنبي ، والصلاة ، أما القرآن فكان الناس شاع فيما بينهم رسائل الملوك إلى رعاياهم ، وكان تعظيمهم للملوك مساوقاً لتعظيمهم للرسائل، وشاع صحف الأنبياء ومصنفات غيرهم، وكان تمذهبهم لمذاهبهم مساوقاً لتعظيم تلك الكتب وتلاوتها، وكان الانقياد للعلوم وتلقيها على مر الدهور بدون كتاب يتلى، ويروى، كالمحال بادي الرأي، فاستوجب الناس عند ذلك أن تظهر رحمة الله في صورة كتاب نازل من رب العالمين[2]، ووجب تعظيمه، فمنه أن يستمعوا له ، وينصتوا إذا قُرئ ، ومنه أن يبادروا لأوامره كسجدة التلاوة ، وكالتسبيح عند الأمر بذلك ، ومنه ألا يمسوا المصحف إلا على وضوء"[3].

يذكر الدهلوي القرآن الكريم وفضله ، وأنه كتاب هداية وارشاد ، وأنه كتابٌ واجب التعظيم ؛ لأن من تعظيم الملوك تعظيم رسائلهم ، ورسائل الله تعالى هي المثل الأعلى ، وسأذكر في هذا المبحث : التعريف بالكتب المنزلة والتحريف الحاصل في الكتب المنزلة قبل القرآن الكريم ،وسأذكر مبحث عن الاعتصام بالكتاب والسنة :

المطلب الأول : تعريفه عند أهل السنة والجماعة :

والمراد بالإيمان بالكتب هي الكتب التي أنزلها الله سبحانه على رسله عليهم الصلاة السلام إلى خلقه بالصدق والحق والهدى، فنؤمن تفصيلاً بما سمى الله تعالى منها في كتابه ، وهي بالإضافة إلى

---

[1] هذا الحصر موهم وغير صحيح ؛ لأنه يضيق من الشعائر الكثيرة الواردة .

[2] هذا سوق لدليل عقلي يوجب إنزال الله تعالى للقرآن والإيجاب على الله محل نظر ، والإيجاب هنا هو واجب أوجبه الله على نفسه ولم يوجبه عليه الناس كما يقول الدهلوي ، انظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ، ٣١٠/٢.

[3] حجة الله البالغة ١٦٣/١.

القرآن العظيم الذي أنزل على نبينا محمد ﷺ ، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتباً أنزلها على رسله عليهم السلام ، مثل ما ورد من ذلك ، كصحف ابراهيم عليه السلام ، والتوراة المنزلة على موسى عليه السلام ، والإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام .

قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة: ٤٦]

،والزبور الذي أوتيه داود عليه السلام قال تعالى:﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء: ٥٥]

،والصحف التي أنزلها الله تعالى على إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام ، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى: ١٨-١٩].

وأما الإيمان بالقرآن فيزيد على الإيمان بغيره من الكتب، فقد خصه الله بمزايا فهو ناسخ لكل ما قبله ، ويجب اتباع ما فيه ، وهو الكتاب المحفوظ من رب العالمين ، لأنه آخر شرع أنزل لآخر نبي أرسل عليه الصلاة والسلام .

وقد وقع التحريف في كتب سابقة أنزلها الله عز وجل .

وقد بين ابن القيم كيفية التحريف الواقع في الكتب السابقة بقوله :" وأما التحريف فقد أخبر سبحانه عنهم – أي المحرفين – في مواضع متعددة ، وكذلك لي اللسان بالكتاب ليحسبه السامع منه وما هو منه ، فهذه خمسة أمور :

أحدها : لبس الحق بالباطل ، وهو خلطه به بحيث لا يتميز الحق من الباطل .

الثاني : كتمان الحق .

الثالث : اخفاؤه ، وهو قريب من كتمانه .

الرابع : تحريف الكلم عن مواضعه ، وهو نوعان : تحريف لفظه ، وتحريف معناه .

الخامس : ليُّ اللسان به ، ليلبس على السامع اللفظ المنزل بغيره " [1]

---

[1] هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، محمد الزرعي (ابن قيم الجوزية) ، ٣١٢/١ ، المحقق: محمد أحمد الحاج ، دار القلم – دار الشامية ، جدة ، الطبعة: الأولى ، ١٤١٦هـ .

المطلب الثاني : وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة .

يقول الدهلوي "(من أبواب الاعتصام بالكتاب والسنة) قد حذرنا النبي ﷺ مداخل التحريف بأقسامها ، وغلظ النهي عنها ، وأخذ العهود من أمته فيها ، فمن أعظم أسباب التهاون ترك الأخذ بالسنة ، وفيه قوله ﷺ : ((ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره ، ثم إنها تختلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل))[1] وقوله ﷺ : ((لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه ، فيقول: لا أدري ما وجدناه في كتاب الله اتبعناه...)) [2]، ورغب في الأخذ بالسنة جداً لا سيما عند اختلاف الناس. "[3]

ويقول :" وها أنا أبرئ من كل مقالةٍ صدرت مخالفةً لآيةٍ من كتاب الله ، أو سنةٍ قائمةٍ عن رسول الله ﷺ ، أو إجماع القرون المشهود لها بالخير ، أو ما اختاره جمهور المجتهدين ومعظم سواد المسلمين فإن وقع شيء من ذلك فإنه خطأ ،رحم الله من أيقظنا من سِنتنا ،أو نبهنا عن غفلتنا ."[4]

بوب الدهلوي هنا باباً اسماه (الاعتصام بالكتاب والسنة) وذكر فيه أحاديث كثيرة دالة على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة ، وأنهما المصدران المعصومان ، وذكر عقيدته في

---

[1] رواه مسلم ،من رواية عبد الله بن مسعود ﷺ ، في كتاب الإيمان ، باب : بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقصر ، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان ، ص٦٨٨ ، ح ٨٠ .

[2] رواه أبو دواد ،من رواية عبيدالله بن أبي رافع عن أبيه ، في كتاب السنة ، باب : في لزوم السنة ، ص١٥٦١ ، ح ٤٦٠٥ ، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ٥٧/١.

[3] حجة الله البالغة ٣٨٣/١.

[4] حجة الله البالغة ٢٩/١ .

ذلك : وهي الرجوع إلى الكتاب والسنة عند كل نص ، ولو خالف الدهلوي نفسه النص فالعبرة بالنص .

ويقول عن اختلاف الفقهاء: "ثم إنه كثر اختلاف الفقهاء بناء على اختلافهم في علل الأحكام ، وأفضى ذلك إلى أن يتباحثوا عن العلل من جهة إفضائها إلى المصالح المعتبرة في الشرع ، ونشأ عن التمسك بالمعقول في كثير من المباحث الدينية ، وظهرت تشكيكات في الأصول الاعتقادية والعملية ، فآل الأمر إلى أن صار الانتهاض لإقامة الدلائل العقلية حسب النصوص النقلية ، وتطبيق المعقول بالمنقول ، والمسموع بالمفهوم نصراً مؤزرا للدين ، وسعياً جميلاً في جمع شمل المسلمين ، ومعدوداً من أعظم القربات ورأساً لرؤوس الطاعات ".[١]

ومما قال : " ومن أصول الدين ترك الخوض بالعقل في المتشابهات من الآيات والأحاديث ، ومن ذلك أمورٌ كثيرةٌ لا يدرى أأُريد حقيقة الكلام أم أقرب مجاز إليها؟ وذلك فيما لم تجمع عليه الأمة، ولم ترتفع فيه الشبهة والله أعلم".[٢]

وهذا المجاز كان له دور كبير في عقيدة أهل البدع حيث اعتمدوا عليه في تأويلهم للنصوص والذي دفعهم لهذا هو اعتقادهم بأن حمل النصوص على معانيها الحقيقية يستلزم التجسيم والتشبيه.

يقول الامام ابن عبد البر في كتاب التمهيد:" وأهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز... لا يُكيفون شيئًا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئًا منها على الحقيقة ، ويزعمون أن من أقرّ بها مُشبه ، وهم عند مَن أثبتها نافون

---

[١] حجة الله البالغة ٢٣/١.

[٢] المصدر السابق ٣٩١/١.

للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وهم أئمة الجماعة. والحمد لله"[1]

ويقول ابن عبد البر أيضاً – حاثًا على ترك الجدال المذموم في أسماء الله تعالى وصفاته –:"ونهى السلف –رحمهم الله– عن الجدال في الله جل ثناؤه في صفاته وأسمائه، وأما الفقه فأجمعوا على الجدال فيه والتناظر؛ لأنه علم يُحتاج فيه إلى رد الفروع على الأصول للحاجة إلى ذلك وليس الاعتقادات كذلك؛ لأن الله –عز وجل– لا يوصف عند الجماعة أهل السنة إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله ﷺ أو أجمعت الأمة عليه، وليس كمثله شيء فيدرك بقياس أو بإمعان نظر، وقد نهينا عن التفكر في الله وأُمِرنا بالتفكر في خلقه الدال عليه" [2].

وتكلم الدهلوي عن التشدد والتعمق حيث يقول : "وفي التشدد قوله ﷺ : ((لا تشددوا على أنفسكم، فيشدد الله عليكم))[3]

وفي التعمق قوله ﷺ : ((ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم خشية له)) [4] ،

---

[1] التمهيد لابن عبدالبر ، ٧ /١٤٥ وانظر موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة ص٤٣٣.

[2] جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ، ٢/٩١٩-٩٢٠ ، تحقيق : أبو الأشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية – الرياض ، ط:١ ، ١٤١٤هـ .

[3] رواه أبو دواد ،من حديث أنس بن مالك ﷺ ، في كتاب الأدب ، باب : في الحسد ، ص١٥٨٣، ح ٤٩٠٤ ، قال الألباني ضعيف (السلسلة الضعيفة ح٣٤٦٨) ، عن سَهْلَ بْنَ أَبِي أُمَامَةَ ، أَنَّهُ دَخَلَ هُوَ وَأَبُوهُ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ بِالْمَدِينَةِ فِي زَمَانِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ، فَإِذَا هُوَ يُصَلِّي صَلَاةً خَفِيفَةً دَقِيقَةً كَأَنَّهَا صَلَاةُ مُسَافِرٍ أَوْ قَرِيباً مِنْهَا فَلَمَّا سَلَّمَ، قَالَ أَبِي: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، أَرَأَيْتَ هَذِهِ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ أَوْ شَيْءٌ تَنَفَّلْتَهُ؟، قَالَ: إِنَّهَا الْمَكْتُوبَةُ وَإِنَّهَا لَصَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَخْطَأْتُ إِلَّا شَيْئاً سَهَوْتُ عَنْهُ، فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: " لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدَّدَ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ قَوْماً شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارِ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ))

[4] رواه البخاري بنحوه ، من حديث أم المؤمنين عائشة ﷺ ، في كتاب الأدب ، باب : من لم يواجه الناس بالعتاب ، ص٥١٥ ، ح ٦١٠١، قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها : ((صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئاً فَرَخَّصَ فِيهِ، فَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَخَطَبَ فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ قَالَ: " مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً)).

وقوله ﷺ ((ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل))"[1]

وتكلم عن الخلط بين الإسلام وغيره :

"وفي الخلط قوله ﷺ لمن أراد الخوض في علم اليهود ((أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي))[2]

وتكلم عن الابتداع :

وفي الاستحسان قوله ﷺ : ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)) [3] ..."[4]

وتكلم عن الصراط والفرقة الناجية والإجتماع على الحق لا على الضلالة :

"..قوله ﷺ في الموعظة البليغة:((فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين)).[5]

---

[1] رواه الترمذي ،من حديث أبي أمامة ﷺ ، في كتاب تفسير القرآن ، باب : سورة الزخرف ، ص١٩٨٤ ، ح ٣٢٥٣ ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ))، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ "((مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ)) ".قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ حَجَّاجِ بْنِ دِينَارٍ، وَحَجَّاجٌ ثِقَةٌ مُقَارِبُ الْحَدِيثِ، وَأَبُو غَالِبٍ اسْمُهُ حَزَوَّرُ، وقال الألباني صحيح (مشكاة المصابيح ،ح ١٨٠).

[2] أخرجه أحمد من رواية جابر بن عبد الله ﷺ ص٣٦٣٢ ، ح١٤٧٣٦ ، قال عنه الألباني حديث حسن مشكاة المصابيح ،ح١٧٧.

[3] رواه مسلم ،من رواية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، في كتاب الأقضية ، باب : نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ، ص٩٨٢ ، ح ١٧١٨ .

[4] حجة الله البالغة ٣٨٤/١.

[5] أخرجه الترمذي ، من حديث العرباض بن سارية ﷺ ، كتاب : العلم ، باب : ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة ص ١٩٢١ ، ح٢٦٧٦ ، عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْماً بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافاً كَثِيراً، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ "، قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وقال عنه الألباني : حديث صحيح (المشكاة ،ح١٦٥).

أقول انتظام الدين يتوقف على اتباع سنن النبي ﷺ ...خط رسول الله ﷺ لهم خطاً ثم قال: هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ، وقال: هذه سبل ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه وقرأ – ﷺ – : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣][١] .

أقول الفرقة الناجية هم الآخذون في العقيدة والعمل جميعاً بما ظهر من الكتاب والسنة ، وجرى عليه جمهور الصحابة والتابعين ، وإن اختلفوا فيما بينهم فيما لم يشتهر فيه نص، ولا ظهر من الصحابة اتفاقٌ عليه استدلالاً منهم ببعض ما هنالك ، أو تفسيراً لمجمله، وغير الناجية كل فرقة انتحلت عقيدةً خلاف عقيدة السلف ، أو عملاً دون أعمالهم."[٢]

ويقول" وقوله ﷺ : ((لا تجتمع هذه الأمة على الضلالة))[٣] ، وقوله ﷺ : ((يبعث الله لهذه الأمة على راس كل أمة سنة من يجدد لها دينها))[٤] وتفسيره في حديث آخر: ((يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)) [١] .[٢]

أخرجه البخاري، في كتاب المناقب، باب : علامات النبوة في الإسلام ، ص٢٩١ ، ح ٣٥٧٩.

[١] أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ ، ص ٢٠٦/٧، ح٤١٤٢ ، عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال قَالَ: " خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطّاً، ثُمَّ قَالَ: " هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ "، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطاً عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: " هَذِهِ سُبُلٌ قَالَ يَزِيدُ: مُتَفَرِّقَةٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ "، ثُمَّ قَرَأَ:((وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)) وقال عنه الألباني ، حديث حسن (المشكاة ، ح١٦٦).

[٢] حجة الله البالغة ٣٨٥/١.

[٣] رواه ابن ماجة بنحوه من حديث أنس بن مالك ﷺ ،كتاب الفتن ، باب السواد الأعظم ،ص٢٧١٣ ،ح ٣٩٥٠ . عن أنس بن مالك قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((إِنَّ أُمَّتِي لَنْ تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ اخْتِلَافاً فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ))

[٤] أخرجه أبو داود بنحوه من حديث أبي هريرة ﷺ ، كتاب الملاحم ، باب ما يذكر من قرن المئة ، ص١٥٣٥ ، ح٤٢٩١ ، عن رسول الله ﷺ قال : ((يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها)).وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ٥٣/١.

وهذه النقول تثبت منهج أهل السنة والجماعة أتباع منهج السلف الصالح بالأخذ بالكتاب والسنة ولزوم الجماعة لكن الدهلوي قد خالف ذلك في مواضع من كتبه .

---

[1] أخرجه البيهقي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي ، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، كتاب الشهادات ، باب ما جاء في شهادة الأخ لأخيه ، ١٠/٢٠٢ ، ح٢١٤٣٩ ، مجلس دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد ، ط:١، ١٣٤٤ هـ ، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ١/٥٣.

[2] انظر حجة الله البالغة ١/٣٨٣-٣٨٥.

المبحث الثاني :– الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام :

يقول الدهلوي: "وأما النبي فلم يسم مرسلاً إلا تشبيهاً برسل الملوك إلى رعاياهم ، مخبرين بأمرهم ونهيهم، ولم يوجب عليهم طاعتهم إلا بعد مساوقة تعظيمهم لتعظيم المرسل عندهم[١]، فمن تعظيم النبي : وجوب طاعته والصلاة عليه وترك الجهر عليه بالقول " [٢]

ويقول في أهمية إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام :

"...الأنبياء يتأتى لهم الخروج إلى كمال هذا الخلق واختيار هيئات مناسبة لهم ، وكيفية تحصيل الفائت وإبقاء الحاضر وإتمام الناقص من غير إمام ولا دعوة ، فينتظم من جريانهم في مقتضى جبلتهم سنن يتذكرها الناس ، ويتخذونها دستورا، وكيف ولما كانت الحدادة والتجارة وأمثالهما لا تأتي من جمهور الناس إلا بسنن مأثورة عن أسلافهم ، فما ظنك بهذه المطالب الشريفة التي لا يهتدي إليها إلا الموفقون ومن هذا الباب ينبغي أن يعلم شدة الحاجة إلى الأنبياء ، ووجوب اتباع سنتهم ، والاشتغال بأحاديثهم والله أعلم". [٣]

ويقول في خصائص النبوة: "(باب حقيقة النبوة وخواصها):

أعلم أن أعلى طبقات الناس المفهمون ، وهم ناس أهل اصطلاح ملكيتهم في غاية العلو، يمكن لهم أن ينبعثوا إلى إقامة نظام مطلوب بداعية حقانية ، ويترشح عليهم من الملأ الأعلى علوم وأحوال إلهية ، ومن سيرة المفهم أن يكون معتدل المزاج سوي الخلق والخلق ، ليس فيه خبابة مفرطة بحسب الآراء الجزئية، ولا ذكاء مفرط لا يجذبه من الكلي إلى الجزئي، ومن الروح إلى الشبح سبيلاً، ولا غباوة مفرطة لا يتخلص بها إلى الكلي، ومن الشبح إلى الروح، ويكون ألزم الناس بالسنة الراشدة ، ذا سمت حسن في عباداته ، ذا عدالة في معاملته مع الناس، محباً للتدبير الكلي،

---

[١] بل الوجوب أكبر من التعظيم فالأول الشهادة لله بتوحيده ويتضمن ذلك الشهادة لرسوله ﷺ برسالة .

[٢] حجة الله البالغة ١/١٦٣.

[٣] حجة الله البالغة ١/١٢٢.

راغباً في النفع العام، لا يؤذي أحداً إلا بالعرض ؛ بأن يتوقف النفع العام عليه أو يلازمه، لا يزال مائلاً إلى عالم الغيب ، يحس أثر ميله في كلامه ووجه وشأنه كله ، يرى أنه مؤيد من الغيب، ينفتح له بأدنى رياضة ما لا ينفتح لغيره من القرب والسكينة ، والمفهمون على أصناف كثيرة واستعدادات مختلفة :

فمن كان أكثر حاله أن يتلقى من الحق علوم تهذيب النفس بالعبادات فهو الكامل.

ومن كان أكثر حاله تلقي الأخلاق الفاضلة وعلوم تدبير المنزل ونحو ذلك فهو الحكيم.

ومن كان أكثر حاله تلقي السياسات الكلية، ثم وفق لإقامة العدل في الناس وذب الجور عنهم يسمى خليفة.

ومن ألمت به الملأ الأعلى، فعلمته وخاطبته، وتراءت له، وظهرت أنواع من كراماته يسمى بالمؤيد بروح القدس.

ومن جعل منهم في لسانه وقلبه نور، فنفع الناس بصحبته وموعظته، وانتقل منه إلى حواريين من أصحابه سكينة ونور، فبلغوا بواسطته مبالغ الكمال، وكان حثيثا على هدايتهم يسمى هادياً مزكياً.

ومن كان أكثر علمه معرفة قواعد الملة ومصالحها ، وكان حثيثاً على إقامة المندرس منها يسمى إماماً.

ومن نفث في قلبه أن يخبرهم بالداهية المقدرة عليهم في الدنيا، أو تفطن بلعن الحق قوماً، فأخبرهم بذلك، أو جرد من نفسه في بعض أوقاته، فعرف ما سيكون في القبر والحشر، فأخبرهم بتلك الأخبار يسمى منذراً.

ولذا اقتضت الحكمة الالهية أن يبعث إلى الخلق واحد من المفهمين ، فيجعله سبباً لخروج الناس من الظلمات إلى النار ، وفرض الله على عباده أن يسلموا وجوههم وقلوبهم له ، وتأكد في الملأ الأعلى الرضا عمن انقاد له ، وانضم إليه ، واللعن على من خالفه ، وناوأه فأخبر الناس بذلك ، وألزمهم طاعته فهو النبي ، وأعظم الأنبياء شأنا من له نوع آخر من البعثة أيضاً، وذلك أن يكون مراد الله تعالى فيه أن يكون سبباً لخروج الناس من الظلمات إلى النور، وأن يكون قومه خير أمة أخرجت للناس، فيكون بعثه يتناول بعثا آخر ، وإلى الأول وقعت الاشارة في قوله تعالى:﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ۝٢﴾ [الجمعة: ٢] ". [1]

يوضح الدهلوي في كلامه أهمية النبوة ، وأهمية إرسال الرسل ، وأهمية ما جاءوا به من علم ، وذكر أن علم النبوة أهم العلوم ، وأنه أهم ما يجب أن يتعلمه الناس ويتقنوه ، ثم ذكر تقسيمه لمصطلح المفهمين ، وهم الذين لهم صلة بالتفهيمات الربانية وجعلهم ستة أقسام :

الكامل ، والحكيم ، والخليفة ، والمؤيد بروح القدس ، والهادي المزكا، والإمام ، والمنذر،

ثم قال "ولذا اقتضت الحكمة الالهية أن يبعث إلى الخلق واحد من المفهمين"

فجعل من صفات النبي أنه يمتاز بأحد صفات المفهمين وسأتكلم في هذا الفصل عن تعريف النبوة عند أهل السنة والجماعة ، والمعجزات والكرامات وصفات النبي والإلهام.

[1] انظر حجة الله البالغة ١/١٩٣-١٩٤ .

المطلب الأول : تعريف النبوة عند أهل السنة والجماعة :

الأنبياء : جمع نبي مشتق من النبأ وهو الخبر ، ونبي فعيل ، وفعيل يكون بمعنى مفعول وبمعنى فاعل ، وهما هنا متلازمان ، فالنبي الذي نبأه الله ، وهو ينبئ بما أنبأه الله ، وقيل مشتق من النبوة أو النباوة والقدر الرفيع .

والرسول : جمع رسول بمعنى مُرسل أي أن الله سبحانه وتعالى أرسله .[1]

وقد اختلف العلماء في الفرق بين النبي والرسول ، فقيل : أنه لا فرق بينهما والصحيح أن بينهما فرق قال تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢﴾ [الحج: ٥٢] ، فعطف النبي على الرسول والعطف يقتضي المغايرة ، لكن الآية أثبتت الإرسال لكل منهما ، وخصت أحدهما بأنه رسول ، فكلاهما مرسل ، لكن الرسول مطلق ، أما النبي فلا يسمى رسولاً عند الإطلاق .

وأحسن ما قيل في الفرق بينهما: أن الرسول من بُعث إلى قوم كفار بشريعة جديدة ، ولو بالنسبة إليهم ، وإن لم تكن جديدة في نفسها والنبي من بعث في قوم مؤمنين مجدداً لشريعة من قبله ، وفرق بين من يرسل إلى مخالفين ، فيؤمن به بعضهم ويكذبه بعضهم ومن يأمر المؤمنين بما يعرفون أنه حق ، فالأول يواجه من المشقة والأذى ما لا يواجهه الآخر والله أعلم.[2]

والإيمان بالرسل هو أحد أركان الإيمان الستة ، وقد تقدمت الأدلة عليه ،ومنها قوله تعالى :﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥].

---

[1] انظر تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت/لبنان ، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ . ٦/٢٥٠٠-٢٥٠٢ .

[2] انظر النبوات ٢/٧١٧-٧٢١ .

ومنها قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٥٢﴾ [النساء: ١٥٠-١٥٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "والإيمان بالنبوة أصل النجاة والسعادة ، فمن لم يُحقّق هذا الباب اضطرب عليه باب الهدى والضلال ، والإيمان والكفر ، ولم يُميّز بين الخطأ والصواب"[١]

وحاجة العباد إلى الإقرار بالنبوّة أشدّ من حاجتهم إلى الهواء الذي يتنسمونه ، وإلى الطعام الذي يأكلونه، وإلى الشراب الذي يشربونه ؛ إذ من فقد أحد هؤلاء خسر الدنيا ، أما من عدم الإقرار بالنبوة فخسارته أشدُّ وأنكى ؛ إذ خسر الدنيا والآخرة – عياذاً بالله تعالى –.[٢]

ويقول شيخ الإسلام :"ودلائل النبوّة من جنس دلائل الربوبية، فيها الظاهر والبيّن لكلّ أحد ؛ كالحوادث المشهودة ؛ فإنّ الخلق كلّهم محتاجون إلى الإقرار بالخالق ، والإقرار برسله" [٣].

---

[١] المصدر السابق ١/٥٠٧.

[٢] المصدر السابق ١/٢٠.

[٣] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، ٥/٤٣٥ ، تحقيق: د.علي حسن ناصر، د.عبد العزيز إبراهيم العسكر، د. حمدان محمد، دار العاصمة ، الرياض ، ط:١ ، ١٤١٩هـ.

المطلب الثاني :– صفات النبي :

سبق قول الدهلوي وفيه أن الله يختار أحد المفهمين ليكون نبياً ، وذكر صفات المفهمين وهي:

الكامل ، الحكيم ، الخليفة، المؤيد بروح القدس ، الهادي المزكا، الإمام ، والمنذر .

وهذا صحيح فالحاصل اختصاص النبوة بأشرف أفراد النوع الإنساني من كمال العقل والذكاء والفطنة وقوة الرأي كما ذكر .

والنبوة نعمة مهداة من الله – تبارك وتعالى – إلى عبيده، وفضل إلهيّ يتفضّل بها عليهم. هذا في حقّ المرسَل إليهم ، وليس فيها تحديد صفات محددة معينة .

أما في حقّ المرسَل نفسه، فهي امتنان من الله يمنّ بها عليه، واصطفاء من الربّ له من بين سائر النّاس ، وهبة ربانيّة يختصّه الله بها من بين الخلق كُلّهم. [1]

والنبوة ليست مكتسبة فلا تنال بعلم ولا رياضة، ولا تدرك بكثرة طاعة أو عبادة، ولا تأتي بتجويع النفس أو إظمائها ، وإنّما هي محض فضل إلهيّ، ومجرّد اصطفاء ربانيّ، وأمر اختياريّ ؛ فهو جلّ وعلا كما أخبر عن نفسه: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: ٧٤]

ولذلك لما قال المشركون: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴿٣١﴾﴾ ، أجابهم الربّ تبارك وتعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: ٣١-٣٢] .

[1] انظر لوامع الأنوار البهية ٢/٢٦٧ .

فالله تعالى هو الذي يقسم ذلك، ويتفضّل به على من يشاء من النّاس، ويصطفي من يشاء من عباده، ويختار من يشاء من خلقه ، ما كانت الخيرة لأحدٍ غيره، وما كان الاجتباء لأحدٍ سواه.[1]

---

[1] انظر النبوات ١/١٩ .

المطلب الثالث :- المعجزات والكرامات :

يقول الدهلوي:"واعلم أن الله تعالى إذا بعث رسولاً وثبت رسالته بالمعجزة ، وأحل على لسانه بعض ما كان حراماً عندهم، ووجد بعض الناس في نفسه انجحاماً عنه ، وبقي في نفسه ميل إلى حرمته لما وجد في ملته من تحريمه فهذا على وجهين: إن كان لتردد في ثبوت هذه الشريعة، فهو كافر بالنبي، وإن كان لاعتقاد وقوع التحريم الأول تحريماً لا يحتمل النسخ لأجل أنه تبارك وتعالى خلع على عبد خلعة الألوهية، أو صار فانياً في الله باقياً به، فصار نهيه عن فعل أو كراهيته له مستوجباً لحرم في ماله وأهله، فذلك مشرك بالله تعالى، مثبت لغيره..."[1]

تعريف المعجزة:

المعجزة لغة : اسم فاعل مأخوذ من العجز الذي هو زوال القدرة عن الإتيان بالشيء من عمل أو رأي أو تدبير.[2]

المعجزة شرعاً :

يقول الإمام ابن تيمية في تعريفها :" المعجزة " يعم كل خارق للعادة في اللغة وعرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره - ويسمونها : الآيات - لكن كثيرا من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما فيجعل " المعجزة " للنبي و " الكرامة " للولي وجماعهما الأمر الخارق للعادة "[3].

---

[1] حجة الله البالغة ١/١٤٦ .

[2] بصائر ذوي التمييز ١/٦٥.

[3] مجموع الفتاوى لابن تيمية ١١/٣١١-٣١٢ .

وفي اصطلاح الكتاب والسنة يطلق عليها اسم (الآية) كما جاء بذلك القرآن الكريم، وهو اسم شامل لكل ما أعطاه الله لأنبيائه للدلالة على صدقهم سواءً أقصد به التحدي أم لم يقصد.

فعن ابن مسعود ﷺ قال: (كُنَّا نعدُّ الآيات بركة ، وأَنْتُم تعدُّونها تخويفاً ، كنَّا مع رسول الله ﷺ في سفر فقلَّ الماء فقال: ((اطلبوا فضلة من ماءٍ ، فجاءوا بإناءٍ فيه ماء قليل، فأَدخل يده في الإناء ثم قال: حيّ على الطهور المبارك والبركة من اللهِ ﷻ ، فلقد رأيتُ الماءَ ينبع مِنْ بين أصابع رسولِ اللهِ ﷺ ، ولقد كُنَّا نسمعُ تسبيح الطعام وهو يؤكل)) .[1]

وإذا استقرأنا الآيات والمعجزات التي أعطاها الله لرسله وأنبيائه نجدها تندرج تحت ثلاثة أمور: العلم، والقدرة ، والغنى ، كالوحي إليه ﷺ ببعض الأمور المستقبلة ، أو شق القمر له أو غناه عن قومه بنصر ربه ، ووضع رزقه تحت رمحه .[2]

وهذه الآيات مختصة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا يمكن معارضتها .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :" آيات الأنبياء هي التي تعلم أنها مختصة بالأنبياء ،وأنها مستلزمة لصدقهم ،ولا تكون إلا مع صدقهم ، وهي لابد أن تكون خارقة للعادة ، خارجة عن قدرة الأنس والجن ، ولا يمكن لأحد أن يعارضها ، لكن كونها خارقة للعادة ولا تمكن معارضتها هو من لوازمها ليس هو حداً مطابقاً لها ".

وقد اشتهر عند أهل الكلام تقرير نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالمعجزات فقط وهذا اعتقاد خاطئ أدى بهم إلى إنكار كرامات الأولياء ،لأنهم حصروا دلائل النبوة في

---

[1] انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ٤٣٥/٥ ، الرسل والرسالات ، للدكتور عمر بن سليمان الأشقر العتيبي ، ص١٢١ ، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، ط: ٤ ، ١٤١٠ هـ.

[2] مجموع فتاوى ابن تيمية ٣١٢/١١-٣١٣.

المعجزات فقط وهذا باطل لأن النبوة لا يدعيها إلا أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين ، ودلائل النبوة هي : أدلة صدقهم ، وهذا رد على قول الدهلوي السابق في إن النبوة تثبت بالمعجزة .

يقول ابن أبي العز " والطريقة المشهور عند أهل الكلام والنظر تقرير نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالمعجزات لكن كثيراً منهم لا يعرف نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلا بالمعجزات وقرروا ذلك بطرق مضطربة ، والتزم كثير منهم إنكار خرق العادات لغير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حتى أنكروا كرامات الأولياء والسحر ونحو ذلك ، ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح ، لكن الدليل غير محصور في المعجزات فإن النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين ولا يلبس هذا إلا على أجهل الجاهلين بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما..."[1].

ومنشأ الخطأ عندهم اعتقادهم أن دلائل النبوة وكرامات الولاية وخوارق السحرة كلها من جنس واحد ثم اختلفوا فمنهم من أنكر وجودها أعني الكرامات والسحر وهم المعتزلة ومنهم من حاول التفريق بما لا يصح وهم الأشاعرة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :" وأصل خطأ الطائفتين – أي المعتزلة والأشاعرة – : أنهم لم يعرفوا آيات الأنبياء، وما خصهم الله به، ولم يقدروا قدر النبوة، ولم يقدروا آيات الأنبياء قدرها، بل جعلوا هذه الخوارق الشيطانية من جنسها؛ فإما أن يكذّبوا بوجودها، وإما أن يسوّوا بينهما ويدَّعوا فرقاً لا حقيقة له ؛ ولهذا يوجد كثير ممّن يكذب بهذه الخوارق الشيطانية أن تكون لبعض الأشخاص لما يراه من نقص دينه وعلمه، فإذا عاينها بعد ذلك أو ثبت عنده ، خضع لذلك الشخص الذي كان عنده: إما كافراً، وإما ضالاً، وإما مبتدعاً جاهلاً، وذلك لأنه أنكر وجودها معتقداً أنها لا توجد إلا للصالحين، فلمّا تيقّن وجودها ، جعلها دليلاً على الصلاح

---

[1] شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ١/١٤٠ .

، وهو غالطٌ في الأصل، بل هذه من الشياطين؛ من جنس ما للسحرة والكهان، ومن جنس ما للكفار من المشركين وأهل الكتاب؛ فإن لمشركي الهند والترك وغيرهم، ولعباد النصارى من هذه الخوارق الشيطانية أموراً كثيرة يطول وصفها أكثر وأعظم من أكثر ممّا يُوجد منها لأهل الضلال والبدع من المسلمين، وما يوجد منها للمنافقين فإن الشياطين لا تتمكن من إغواء المسلمين، وإن كان فيهم جهل وظلم، كما تتمكن من اغواء المشركين وأهل الكتاب "[1]

مراتب الخوارق:

المرتبة الأولى : آيات الأنبياء .

المرتبة الثانية : كرامات الصالحين.

المرتبة الثالثة :خوارق الكفار والفجار؛ كالسحرة والكهان، وما يحصل لبعض المشركين، وأهل الكتاب، والضلاّل من المسلمين.[2]

ودلائل النبوة وكرامات الولاية وخوارق السحرة ليست من جنس واحد ، والفرق بينها متقرر .

ومن الفروق بين المعجزات والكرامات :

المعجزة تكون للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والكرامة تكون لأولياء الله الصالحين ، وكرامات الأولياء تابعة لمعجزة الأنبياء ، والأولياء دون الأنبياء والمرسلين، فلا تبلغ كرامات أحدٍ منهم إلى مثل معجزات المرسلين عليهم الصلاة والسلام ، وكرامات الأولياء لا تجعلهم معصومين ، ولا على أنّه يجب طاعتهم في كلّ ما يقولونه ومن هنا ضل كثير من الناس .

---

[1] مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٠٤٠/٣ –١٠٤١ ،وانظر للاستزادة موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الأِشاعرة للدكتور المحمود ٢/ ١٢٤٤ .

[2] النبوات لابن تيمية ١٤١/١

والمعجزة تأتي على سبيل التحدي ، ويجب على صاحب المعجزة الاشتهار بخلاف الكرامة ، والمعجزة تقع بجميع خوارق العادات بخلاف الكرامة التي تختص ببعضها .[1]

[1] انظر النبوات ١/١٤٢ -١٤٣ .

المطلب الرابع : الإلهام

يقول الدهلوي " وأما الإلهام فمثاله : خرق السفينة ، وقتل الغلام ، وإنزال الكتب والشرائع على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام...والإلهام تارةً يكون للمبتلى وتارةً يكون لغيره لأجله..."[1]

ذكر الدهلوي مصطلح الإلهام ومثل عليه : بخرق السفينة وقتل الغلام[2] وإنزال الكتب والشرائع وهذه الأمثلة هي أمثلةٌ للوحي وليست للإلهام .

ومما قال عن الإلهام :" وسألني مسكين ذات يوم في حاجة اضطر فيها ، فأوجست في قلبي إلهاماً يأمرني بالإعطاء ، ويبشرني بأجر جزيل في الدنيا والآخرة ، فأعطيت ، وشاهدت ما وعدني ربي حقاً، وكان قرعه لباب الجود ، وانبعاث الإلهام ، واختياره لقلبي يومئذ ظهور الأجر كل ذلك بمرأى مني ".[3،4]

تعريف الإلهام :

الإلهام لغة : (لهم) اللام والهاء والميم أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على ابتلاعِ شيء، ثم يقاس عليه ، تقول العرب: التَهَم الشَّيء: التَقَمه ، ومن هذا الباب الإلهام ، كأنَّه شيءٌ أُلقِيَ في الرُّوع فالتَهَمَه ، قال الله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٨].[5]

---

[1] حجة الله البالغة ٣٥/١.

[2] والخضر ﷺ نبي من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام انظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣٢٢/٣-٣٢٤ ، لمحمد بن الأمين الجكني الشنقيطي ت١٣٩٣ ،دار الفكر بيروت – لبنان ،١٤١٥هـ ، والدهلوي قد أنكر وجود الغوث انظر رسالة في مناقب ابن تيمية والدفاع عنه لولي الله الدهلوي نقلاً عن جهود ولي الله الدهلوي لمنى بطش ص ١١٥ .

[3] المصدر السابق ١٧١/١.

[4] الجزم بالإلهام هنا محل نظر .

[5] انظر معجم مقاييس اللغة ٢١٧/٥.

يقول الجرجاني[1] :" الإلهام هو ما يلقى في الروع بطريق الفيض، وقيل: الإلهام ما وقع في القلب من علم وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية ، ولا نظر في حجة، وهو ليس بحجة عند العلماء إلا عند الصوفيين".[2]

وهناك فرق بين الإلهام والفراسة ومن ذلك أن الفراسة تتعلق بنوع كسب وتحصيل وأما الإلهام فموهبة مجردة لا تنال بالكسب ألبته .[3]

وقد دلت الأدلة الكثيرة على حدوث الإلهام ومن ذلك ما ذكر الدهلوي في قصة الغلام وقصة الجدار الواردة في سورة الكهف .

ومن السنة : حديث أبي هريرة ﷺ عَن النَّبِي ﷺ أَنه قَالَ: ((قد كان في الأمم قبلكم محدَّثون فَإِن يكن في أمتِي أحد فعمر منهم)).[4]

الرد على الصوفية في حجية الإلهام :

وأما قول بعض المتصوفة في حجية الإلهام بإطلاق فهو قول باطل لأسباب :

أولاً : لأنه قد يكون من الله تعالى وقد يكون من وسوسة الشيطان.

---

[1] الجرجاني (ت ٥٣١ هـ) إسماعيل بن حسين الحسيني ، أبو إبراهيم، زين الدين الجرجاني: طبيب باحث ، من أهل جرجان أقام في خوارزم ، وبها صنف كتبه ، من مؤلفاته : التعريفات ، الرد على الفلاسفة ، انظر الأعلام للزركلي ٣١٢/١ .

[2] انظر التعريفات ، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني ، ص٥١-٥٢ ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط: ١ ، ١٤٠٥هـ.

[3] مدارج السالكين ٤٥/١.

[4] أخرجه البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي ﷺ ، ص٣٠٠ ،ح ٣٦٨٩.

يقول شيخ الإسلام :" الإلهام هو تخايل يقع في القلب ، قد يكون ذلك من الله ، وقد يكون من وسوسة الشيطان ، وليس على أحدهما دليل يدل عليه ، ولأن من يدعي الإلهام يمكن خصمه أن يدعي خلافه.

فإنه إذا قال: ألهمت بكذا.

فيقول خصمه: وأنا ألهمت بكذا.

فكان العمل به عملاً بلا دليل" [1].

والثاني : أن هذا بلا شك مدخل للشيطان ، وأساس للبدعة ، ومزلق خطير .

والثالث : هذا ترفضه كل الأدلة الشرعية :

يقول الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي راداً على قول المتصوفة :"فلا يخفى على من له إلمام بمعرفة دين الإسلام أنه لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه، وما يتقرب إليه به من فعل وترك إلا عن طريق الوحي، فمن ادعى أنه غني في الوصول إلى ما يرضي ربه عن الرسل، وما جاءوا به ولو في مسألة واحدة فلا شك في زندقته، والآيات والأحاديث الدالة على هذا لا تحصى، قال تعالى: ﴿...وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥] ، ولم يقل حتى نلقي في القلوب إلهاما، وقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥] ، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ﴾ [طه: ١٣٤] ، والآيات والأحاديث بمثل هذا كثيرة جدا .. وبذلك تعلم أن ما يدعيه كثير من الجهلة المدعين التصوف من أن لهم ولأشياخهم طريقاً باطنة توافق الحق عند الله ولو كانت مخالفة لظاهر الشرع، كمخالفة ما فعله الخضرﷺ لظاهر العلم الذي

[1] درء تعارض العقل والنقل ٢٩/٨.

عند موسىﷺ، زندقة، وذريعة إلى الانحلال بالكلية من دين الإسلام، بدعوى أن الحق في أمور باطنة تخالف ظاهره."[1]

والقول بأن الإلهام ليس حجة بإطلاق غير صحيح أيضاً ، يقول في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية :"والذين أنكروا كون الإلهام طريقاً شرعياً على الإطلاق أخطئوا كما أخطأ الذين جعلوه طريقاً شرعياً على الإطلاق. "[2]

ومثال الإلهام الصحيح المقارنة بين أقوال متكافئة اذا بحث الشخص فيها بإلهام وسؤال نفسه عما يحبه الله تعالى أكثر .

يقول شيخ الإسلام " وَلَكِن إِذا اجتهد السالك فِي الأَدِلَّة الشَّرْعِيَّة الظَّاهِرَة فَلم ير فِيهَا تَرْجِيحاً ، وألهم حِينَئِذٍ رُجْحَان أحد الفعلينِ مَعَ حسن قَصده ، وعمارته بالتقوى ، فإلهام مثل هَذَا دَلِيل فِي حَقه ، قد يكون أقوى من كثير من الأقيسة الضعيفة ، والأحاديث الضعيفة ، والظواهر الضعيفة والاستصحابات الضعيفة التي يحتج بهَا كثير من الخائضين في المذاهب والخلاف وأصول الفقه."[3]

ويقول:"والإلهام فِي القلب تَارَةً يكون من جنس القَوْل ، وَالعلم ، وَالظَّن ، والاعتقاد ، وَتارَةً يكون من جنس العمل ، والحب ، والإرادة ، والطلب ، فقد يقع في قلبه أن هذا القول أرجح وأظهر وأصوب ، وقد يميل قلبه إلى أحد الأمرين دون الآخر".[4]

وخلاصة القول : أن الإلهام ليس بحجة كما تزعم الصوفية .

---

[1] أضواء البيان للشنقيطي ٣٢٤/٣.

[2] المصدر السابق ٢٩/٨.

[3] المصدر السابق .

[4] مجموع الفتاوى ٤٧٦/١٠.

المطلب الخامس : شفاعة نبينا محمد ﷺ :

يقول الدهلوي :" منافع الجماعة خمس في خمسة : استقامة نفوسهم، وتألف جماعتهم ، وقيام ملتهم، وانبساط الملائكة ، وانخناس الشياطين عنهم ، وفي كل واحد خمسة: رضا الله عنهم، ونزول البركات في الدنيا عليهم، وكتابة الحسنات لهم، وتكفير الخطيآت عنهم، **وشفاعة النبي ﷺ والملائكة لهم** ، وسبب اختلاف الروايات في ذلك ؛ اختلاف وجوه الضبط [١]، والله أعلم."[٢].

في هذا المطلب سأذكر تعريف الشفاعة وأنواعها وشروطها .

تعريف الشفاعة :

الشفاعة لغة : الشين والفاء والعين أَصل صحيح يدل على مقارنة الشيئين ، ومن ذلك الشفع خلاف الوتر قال الله تعالى : ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ۝٣﴾ [الفجر: ٣] .[٣]

واستشفعه إلى فلان : سأله أن يشفع له إليه .[٤]

والشافع والشفيع الطالب لغيره .[٥]

الشفاعة شرعاً : قال الجرجاني:"هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه "[١].

---

[١] وهذا أحد الأسباب ، انظر أسباب تعدد الروايات في متون الحديث النبوي الشريف ، د. شرف القضاة ، د.أمين القضاة ، دار الفرقان ،الأردن – عمان ، ١٤١٩هـ .

[٢] حجة الله البالغة ٢٣٢/١.

[٣] معجم مقاييس اللغة ٢٠١/٣.

[٤] مختار الصحاح مادة شفع ١٢٣٨/٣.

[٥] المحيط في اللغة ، لإسماعيل ابن عباد الطالقاني ، ٢٩٣/١ ، تحقيق: محمد حسن آل ياسين ، عالم الكتب ، بيروت ، ط:١، ١٤١٤هـ .

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على ثبوت الشفاعة يوم القيامة من النبي ﷺ ، ومن صلحاء المؤمنين للمذنبين من المسلمين من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى[2] ، لقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩] ، والآيات في الشفاعة المثبتة كثيرة.

وشفاعة النبي ﷺ وسلم التي تكون في الآخرة على قسمين :

النوع الأول: الشفاعة الخاصة، وهي التي تكون للرسول ﷺ خاصة لا يشاركه فيها غيره من الخلق **وهي أقسام :**

أولها: الشفاعة العظمى ، وهي من المقام المحمود الذي وعده الله إياه ، في قوله تعالى: " ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] ، وحقيقة هذه الشفاعة هي أن يشفع لجميع الخلق حين يؤخر الله الحساب ، فيطول بهم الانتظار في أرض المحشر يوم القيامة ، فيبلغ بهم من الغم والكرب ما لا يطيقون ، فيقولون: من يشفع لنا إلى ربنا حتى يفصل بين العباد ، يتمنون التحول من هذا المكان ، فيأتي الناس إلى الأنبياء ، فيقول كل واحد منهم : لست لها، حتى أتوا إلى نبينا ﷺ فيشفع لهم في فصل القضاء ، فهذه الشفاعة العظمى، وهي من خصائص النبي ﷺ .

والأحاديث الدالة على هذه الشفاعة كثيرة في الصحيحين وغيرهما ، ومنها ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما : ((إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثاً ، كل أمة تتبع نبيها ، يقولون: يا فلان اشفع ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود)) .[3]

---

[1] التعريفات للجرجاني ص١٦٨ .

[2] انظر مجموع الفتاوى ١١٣/١ .

[3] رواه البخاري ، كتاب التفسير ، باب قوله ((عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمودا)) ، ص٣٩٤ ، ح ٤٧١٨.

ثانيها : الشفاعة لأهل الجنة لدخول الجنة:

عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن:من أنت؟ فأقول: محمد ، فيقول:بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك)) [1]، وفي رواية له ((أنا أول شفيع في الجنة)) .[2]

ثالثها : شفاعة الرسول ﷺ لعمه أبي طالب:

فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ ذكر عنده عمه أبو طالب فقال: ((لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه)) . [3]

رابعها : شفاعته ﷺ في دخول أناس من أمته الجنة بغير حساب :

ودليله حديث أبي هريرة ﷺ الطويل في الشفاعة وفيه:((ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأقول : أمتي يا رب ، أمتي يا رب ، أمتي يا رب ، فيقال : يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب)) [4].

---

[1] أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ : ((أنا أول الناس يشفع في الجنة ،وأكثر الأنبياء تبعا))، ص٧١٥ ، ح٣٣٣.

[2] المصدر السابق ح٣٣٢.

[3] أخرجه البخاري،كتاب مناقب الأنصار ، باب قصة أبي طالب ، ص٣١٥ ، ح ٣٨٨٥.

[4] رواه البخاري،كتاب التفسير ، باب قوله تعالى ((ذرية من حملنا مع نوح أنه كان عبدا شكورا)) ، ص٣٩٣ ، ح ٤٧١٢.

النوع الثاني: الشفاعة العامة، وهي تكون للرسول ﷺ ويشاركه فيها من شاء الله من الملائكة والنبيين والصالحين وهي أقسام:

أولاها: الشفاعة لأناس قد دخلوا النار في أن يخرجوا منها ، والأدلة على هذا القسم كثيرة جداً منها :

ما جاء في صحيح مسلم ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً: ((فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد منا شدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون ، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقاً كثيراً...فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط)).[1]

ثانيها: الشفاعة لأناس قد استحقوا النار في أن لا يدخلوها ، وهذه قد يستدل لها بقول الرسول ﷺ : ((ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً ، إلا شفعهم الله فيه))[2]، فإن هذه شفاعة قبل أن يدخل النار ، فيشفعهم الله في ذلك.

ثالثها: الشفاعة لأناس من أهل الإيمان قد استحقوا الجنة أن يزدادوا رفعةً ودرجاتٍ في الجنة ، ومثال ذلك ما رواه مسلم ، عن النبي ﷺ أنه دعا لأبي سلمة فقال: ((اللّهمّ اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديّين ، واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا ربّ العالمين ، وافسح له في قبره، ونوّر له فيه)).[3]

---

[1] أخرجه مسلم ،كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية ، ص٧١٠ ،ح ٣٠٢.

[2] أخرجه مسلم ،كتاب الجنائز ، باب : من صلى عليه أربعون شفعوا فيه ، ص٨٢٧ ،ح ٩٤٨.

[3] أخرجه مسلم ، كتاب الجنائز ،من حديث أم سلمة رضي الله عنها ، باب : في اغماض الميت والدعاء له إذا حُضر ، ص٨٢٢،ح ٩٢٠.

شروط هذه الشفاعة :

١) رضا الله عن المشفوع له، لقول تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨] ، وهذا يستلزم أن يكون المشفوع له من أهل التوحيد لأن الله لا يرضى عن المشركين ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّهُ قال : (قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ، قال رسول الله ﷺ ((لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك ؛ لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه)) [1] .

٢) **إذن الله للشافع أن يشفع** لقوله تعالى : ﴿... مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ...﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

٣) **رضا الله عن الشافع،** لقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦] .

كما بَيَّن الرسول ﷺ أن اللعانين لا يكونون شفعاء يوم القيامة كما روى مسلم في صحيحه [2]عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : ((إن اللعانين لا يكونون شهداء ، ولا شفعاء يوم القيامة)) .[3][4]

وقد خالفت الخوارج والمعتزلة أهل السنة في ذلك فأنكروا الشفاعة لأهل الكبائر ، وذلك بناءً على زعمهم أن مرتكب الكبيرة يخلد في النار .

---

[1] أخرجه البخاري ، كتاب العلم ، باب : الحرص على الحديث ، ص١١،ح ٩٩.

[2] أخرجه مسلم ،كتاب البر ، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، ص١١٣١ ، ح ٢٥٩٨

[3] أخرجه مسلم ،كتاب البر والصلة والآداب ، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ، ص ١١٣١، ح٦٦١٢.

[4] للاستزادة انظر القول المفيد على كتاب التوحيد ، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين ، ١ / ٤٣٦ – ٤٣٧ ، دار ابن الجوزي، الرياض ، ط:٢، ١٤٢٤هـ.

قال القاضي عياض[1] :" ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها ، وتأولت الأحاديث الواردة فيها ، واعتصموا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار ، واحتجوا بقوله تعالى ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨] وبقوله : ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] ، وهذه الآيات في الكفار".[2]

وقد أجمع أهل السنة على ثبوت شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته يوم القيامة كما جاءت بذلك الأدلة الصحيحة الصريحة ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :"...ثم إن أهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفق عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، واستفاضت به السنن ، من أنه يشفع لأهل الكبائر من أمته – ﷺ – ".[3]

ويقول أبو الحسن الأشعري :" "وأجمعوا على أن شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته " [4]

[1] القاضي عِيَاض (٤٧٦ – ٥٤٤ هـ) عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي ، أبو الفضل: عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته ، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم ، ولي قضاء سبتة ، ومولده فيها ، ثم قضاء غرناطة ، وتوفي بمراكش ، ومن مواقفه التي ذكرت عنه أمره بإحراق كتب الغزالي ، من تصانيفه : الشفا بتعريف حقوق المصطفى و ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك ، انظر شذرات الذهب ٢٢٦/٦-٢٢٧ ،سير أعلام النبلاء ٤٩/١٥– ٥٢ ، الأعلام للزركلي ص٩٩/٥.

[2] شرح صحيح مسلم للقاضي عياض ١/ ٥٦٥ .

[3] مجموع الفتاوى ٣١٣/١.

[4] رسالة إلى أهل الثغر ص ٢٨٨.

المبحث الرابع : الإيمان باليوم الآخر :

يقول الدهلوي :" أعلم أن أصل الدين واحد اتفق عليه الأنبياء عليهم السلام ، وإنما الاختلاف في الشرائع والمناهج ، وتفصيل ذلك : أنه أجمع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على توحيد الله تعالى عبادةً واستعانةً ، وتنزيهه عما لا يليق بجنابه ، وتحريم الإلحاد في أسمائه ...وأن القيامة حق والبعث بعد الموت حق والجنة حق والنار حق"[1].

ويقول الدهلوي في معرض رده على من شكك في بعض أمور الآخرة " أن المبتدعين شككوا في كثير من المسائل الإسلامية بأنها مخالفةٌ للعقل ، وكل ما هو مخالفٌ للعقل يجب رده أو تأويله ، كقولهم في عذاب القبر إنه يكذبه الحس والعقل ، وقالوا في الحساب والصراط والميزان نحواً من ذلك ، فطفقوا يؤولون بتأويلات بعيدة..."[2]

وسأتكلم في هذا المبحث عن عذاب القبر والصراط والميزان :

المطلب الأول : تعريف الإيمان باليوم الآخر عند أهل السنة والجماعة :

والإيمان باليوم الآخر يتضمن الإيمان بثلاثة أمور :

١- البعث ، وهو إخراج الناس من قبورهم وإحيائهم بعد موتهم .

٢- ما يكون يوم القيامة .

٣- الجنة والنار .

---

[1] حجة الله البالغة ١/١٩٩-٢٠٠.

[2] المصدر السابق ١/٢٤.

ويلتحق بالإيمان باليوم الآخر أمران :

١- مقدمات ذلك اليوم وعلاماته (أِشراط الساعة) .

٢- موت الإنسان نفسه ، فإن مات قامت قيامته ، ودخل في حكم الآخرة ، وهذا فيه شيئان :

أ- الموت وأحوال الاحتضار .

ب- ما يكون في البرزخ ، وهو ما بين الموت والبعث ، وفيه فتنة القبر ونعيمه أو عذابه . [١]

وأدلة الإيمان باليوم الإيمان باليوم الآخر أدلة كثيرة وهي أحد الأصول المتفق عليها بين الشرائع المنزلة كما سبق من قول الدهلوي رحمه الله .

والإخبار عن يوم القيامة كثير في القرآن والسنة جداً ، ففي القرآن لا تكاد تجد سورةً إلا وفيها ذكر هذا اليوم وأهواله ومن ذلك :

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ۝٦٢﴾ [البقرة: ٦٢].

وقوله تعالى عن نوح عليه الصلاة والسلام أنه قال في مخاطبة قومه :﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا۝١٨﴾ [نوح: ١٧-١٨].

وقد أقسم الله ﷻ بهذا اليوم فقال تعالى : ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ۝١﴾ [القيامة: ١] ، وما ذاك إلا لتأكد وقوعه.

[١] انظر العقيدة ، للدكتور محمد بن عودة السعوي ، ص١٧١ ،كنوز إشبيليا ، الرياض ، ط:١ ، ١٤٢٣هـ .

ومن السنة ما جاء في ذكرها وأنها من أركان الإيمان وما جاء في ذكر أشراطها أو السؤال عنها ومن ذلك :

أن الرسول ﷺ كان إذا سأل عن موعدها ينفي علمه به ، وقد يرشد إلى ما هو أصلح للسائل ، وهو الاستعداد لها قبل وقوعها ، ولما سأل جبريل عليه السلام النبي ﷺ : أخبرني عن الساعة ، قال الرسول ﷺ ((ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)) [1]

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك أن أعرابياً قال لرسول الله ﷺ متى الساعة ؟ قال له رسول الله ﷺ : ((ما أعددت لها)) ،قال : حب الله ورسوله ، قال– ﷺ – :((أنت مع من أحببت)). [2]

والإيمان باليوم الآخر هو : الإيمان ما بعد الموت ممّا أخبر الله تعالى به وأخبر به رسولُه ﷺ من أحوال البَرْزَخ، ثم البعث والنُّشور، والقيام من القُبور، ثم الوُقوف في المحشَر، ثم الحساب، ثم الميزان، ثم تطايُر الصحُف فالمؤمن يأخُذ كتابه بيمينِه وغير المؤمن يأخذ كتابه بشمالِه، ثم المُرور على الصراط، ثم الاستقرار في الجنّة أو في النّار، هذا كلُّه يشمله الإيمان باليوم الآخِر.

فمن لم يؤمن باليوم الآخر فإنّه ولو امن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، إذا جحد البعث واليوم الآخر ، كان كافراً بالجميع. [3]

---

[1] سبق تخريجه .

[2] صحيح مسلم ، كتاب البر ، باب المرء مع من أحب ، ص١١٣٧ ، ح٢٦٣٩ .

[3] انظر إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، لصالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ، ٢٣٥/٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط: ٣ ، ١٤٢٣هـ.

المطلب الثاني :– عذاب القبر :

العذاب في اللغة: العين والذال والباء أصلٌ صحيح ، لكنّ كلماتِه لا تكاد تنقاس، ولا يمكن جمعُها إلى شيء واحد ، والعَذاب، يقال منه: عذَّب تعذيباً ، وناسٌ يقولون: أصل العَذاب الضَّرب. ثم استُعِير ذلك في كلِّ شِدّة [١] .

القبر في اللغة: قال ابن فارس: "القاف والباء والراء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على غموضٍ في شيء وتطامُن ، من ذلك القَبْر: قَبْر الميّت ، يقال قَبَرْتُه أقْبُرُه" [٢] .

وأما في الاصطلاح: فيراد بعذاب القبر ونعيمه أنه اسمٌ لما يقع بعد الموت ، وقيل هو اسمٌ لعذاب البرزخ ونعيمه ، وهو ما بين الدنيا والآخرة ، قال تعالى: ﴿... وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ١٠٠﴾ [المؤمنون: ١٠٠] .

وقيل عنه عذاب القبر أو نعيم القبر تغليباً، فقد يكون عذاباً أو نعيماً في القبر، وقد يكون عذاباً أو نعيماً في غير القبر، فمن فارقت روحه جسده، فإنه إما أن ينعم، وإما أن يعذب ، وغالب الناس من جميع الملل والنحل والديانات يقبرون ، فلذلك صار سمة للمسألة اسم: نعيم القبر أو عذاب القبر، وإلا فحقيقتها: عذاب البرزخ ونعيم البرزخ ؛ لأن الحياة المقصودة بالتنعم والعذاب فيها هي الحياة الثانية، وهي الحياة البرزخية [٣] .

---

[١] انظر معجم مقاييس اللغة ٢٥٩/٤، ٢٦٠.

[٢] معجم مقاييس اللغة ٤٧/٥.

[٣] انظر الروح ، لابن القيم الجوزية ، ٢١٣/١ ، تحقيق: بسام العموش، دار ابن تيمية ، الرياض ، ط: ١ ، ١٤٠٦هـ ، وشرح العقيدة الطحاوية للشيخ صالح آل الشيخ من كتاب جامع شروح العقيدة الطحاوية على شرح ابن أبي العز الحنفي ، شرح المشايخ صالح آل الشيخ وعبد العزيز ابن باز ومحمد ناصر الدين الألباني وصالح الفوزان ، ص١٠١٢-١٠١٣ ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، ط: ١ ، ١٤٢٧هـ.

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على أن الميت يعذب وينعم في قبره، قال الإمام ابن قتيبة : " أصحاب الحديث كلهم مجمعون...على الإيمان بعذاب القبر "[١].

وقال ابن بطة العكبري[٢]:"ونحن الآن ذاكرون شرح السنة...مما أجمع على شرحنا له أهل الإسلام وسائر الأمة...[فذكر جملة من الاعتقاد إلى أن قال]ثم الإيمان بعذاب القبر"[٣].

ومن الأدلة في القرآن على إثبات عذاب القبر ونعيمه:

قال تعالى في حق آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ ...﴾ فهذا في البرزخ ،

﴿ ...وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ٤٦﴾ [غافر: ٤٦] وهذا في القيامة الكبرى .

وقد تواترت الأدلة في السنة على ذلك :

فعَنْ أَنَسٍ ﵁ عن النبي ﷺ قال : ((العبد إذا وضع في قبره وتولي وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ ، فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال : انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة قال النبي ﷺ فيراهما جميعاً ، وأما الكافر أو المنافق فيقول : لا أدري كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال : لا دريت ولا تليت ، ثم يضرب بمطرقةٍ من حديد ضربةً بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين))[٤].

---

[١] تأويل مختلف الحديث: ص ٦٤.

[٢] ابن بطة العكبري (٣٠٤-٣٧٨هـ) عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان، أبو عبد الله العكبري، المعروف بابن بطة: الإمام الحافظ ، فقيه من كبار الحنابلة ، من أهل عكبرا مولدا ووفاة رحل إلى مكة والثغور والبصرة وغيرها في طلب الحديث، ثم لزم بيته أربعين سنة، فصنف كتبه وهي تزيد على مئة، منها: الشرح والابانة على أصول السنة والديانة ، والسنن ، انظر شذرات الذهب ٤٦٣/٤ ، الأعلام للزركلي ١٩٧/٤.

[٣] الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ومجانبة المخالفين ومباينة أهل الأهواء المارقين وهو المشهور بالإبانة الصغرى ، لأبي عبد الله ابن بطة العكبري ، ص٩٢-٩٣ ، تحقيق: علي بن حسن الأثري ، دار الأثرية ، عمَّان ، ط:١، ١٤٣٠هـ.

[٤] أخرجه البخاري ،كتاب الجنائز ، باب الميت يسمع خفق النعال ، ص١٠٤ ، ح ١٨٣٨.

ورواه مسلم من طرق عن قتادة بنحوه ، وزاد فيه : قال قتادة : ((وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعاً – يعني المؤمن – ويملأُ عليه خضراً إلى يوم يبعثون)).[1]

ولمسلم عنه ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: ((لولا أن تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما الذي أسمع)).[2]

والعذاب يكون للنفس والبدن جميعا :وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذه المسألة ، فقال:" العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين كما يكون للروح منفردة عن البدن ، وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح ؟ هذا فيه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة والكلام وفي المسألة أقوال شاذة ليست من أقوال أهل السنة والحديث ، قول من يقول : إن النعيم والعذاب لا يكون إلا على الروح ، وأن البدن لا ينعم ولا يعذب ، وهذا تقوله " الفلاسفة " المنكرون لمعاد الأبدان ، وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين ، ويقوله كثير من " أهل الكلام " من المعتزلة وغيرهم : الذين يقولون : لا يكون ذلك في البرزخ وإنما يكون عند القيام من القبور ، وقول من يقول : إن الروح بمفردها لا تنعم ولا تعذب ، وإنما الروح هي الحياة ، وهذا يقوله طوائف من أهل الكلام من المعتزلة وأصحاب أبي الحسن الأشعري ..وينكرون أن الروح تبقى بعد فراق البدن ، وهذا قول باطل...بل قد ثبت في الكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة أن الروح تبقى بعد فراق البدن وأنها منعمة أو معذبة ، والفلاسفة الإلهيون يقولون بهذا لكن ينكرون معاد الأبدان وهؤلاء يقرون بمعاد الأبدان ، لكن ينكرون معاد الأرواح ونعيمها وعذابها بدون الأبدان ، وكلا القولين خطأ وضلال ، لكن قول الفلاسفة أبعد عن أقوال

[1] أخرجه مسلم ، كتاب الجنة ، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه واثبات عذاب القبر والتعوذ منه ، ص١١٧٥ ، ح ٢٨٧٠.

[2] أخرجه مسلم عن زيد بن ثابت ﷺ ، كتاب الجنة ، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه واثبات عذاب القبر والتعوذ منه ، ص١١٧٥ ، ح ٧٢١٣.

أهل الإسلام وإن كان قد يوافقهم عليه من يعتقد أنه متمسك بدين الإسلام بل من يظن أنه من أهل المعرفة والتصوف والتحقيق والكلام ".[١]

والقول الثالث : الشاذ قول من يقول: إن البرزخ ليس فيه نعيم ولا عذاب بل لا يكون ذلك حتى تقوم القيامة الكبرى كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة ونحوهم الذين ينكرون عذاب القبر ونعيمه بناء على أن الروح لا تبقى بعد فراق البدن وأن البدن لا ينعم ولا يعذب .

فجميع هؤلاء الطائفتين ضلال في أمر البرزخ لكنهم خير من الفلاسفة ؛ لأنهم يقرون بالقيامة الكبرى .

فإذا عرفت هذه الأقوال الثلاثة الباطلة فاعلم أن مذهب " سلف الأمة وأئمتها " أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة وأنها تتصل بالبدن أحيانا فيحصل له معها النعيم والعذاب ، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى أجسادها وقاموا من قبورهم لرب العالمين ، ومعاد الأبدان متفق عليه عند المسلمين واليهود والنصارى وهذا كله متفق عليه عند علماء الحديث والسنة ، وهل يكون للبدن دون الروح نعيم أو عذاب ؟ أثبت ذلك طائفة منهم وأنكره أكثرهم."[٢]

---

[١] انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية٤/٢٨١-٢٨٢.

[٢] انظر المصدر السابق ٢٨٣/١٤.

الرد على شبهات المنكرين لعذاب القبر ونعيمه :

للملاحدة والزنادقة وأضرابهم شبه في إنكار عذاب القبر ونعيمه، ومن هذه الشبهة [1] :

الشبهة الأولى: قالوا: إن الله لم يذكر حياة القبر في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ [غافر: ١١] ، **وقوله تعالى** : ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨]

وإنما ذكر أنه يحييهم مرة في الدنيا وأخرى في الآخرة ، والآيتان هما عمدة من أنكر عذاب القبر[2] .

جواب الشبهة الأولى[3]:

أن يقال لهم : ما ذهبتم إليه مخالف لما عليه جمهور السلف ، وما عليه قول أشهر أهل التفسير ،

فعندهم أن المراد بالموت الأول: العدم السابق ، وبالثاني : الموت المعهود في الدار الدنيا ،

والمراد بالإحياء الأول: حياة الدنيا ، وبالثاني : البعث للقيامة الكبرى ، وقد رجح هذا القول الطبري[4]، ونسبه إلى ابن عباس ، وقتادة رضي الله عنهما .

---

[1] انظر كتاب الروح ص١٦٤وما بعدها ، وانظر التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، ١/ ٣٧١-٣٨٠ ، تحقيق ودراسة: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم ، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض ، ط: ١، ١٤٢٥ هـ.

[2] انظر الروح عند أهل الكلام والفلسفة ، لعلي العبيدي ، ص٦٣ دار الدرر السنية ، الدمام .

[3] انظر معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، حافظ بن أحمد حكمي ، ٧١٣/٢ وما بعدها ، ت: عمر بن محمود أبو عمر ، دار ابن القيم – الدمام ، ١٤١٠هـ ، الروح عند أهل الكلام والفلسفة ص٦٣، ٦٤، ٦٥ .

[4] انظر تفسير الطبري ٤١٨/١ وما بعدها .

ثم يقال ليس هناك ما ينفي حياة القبر ؛ لأمور منها :

١-أن إثبات الموتتين والحياتين المذكورتين في الآيتين لا ينفي وجود غيرهما، وبرهان ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ ...﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة: ٢٤٣] فأثبت لهم حياة زائدة يتبعها موت.

٢-أن حياة القبر ، وعود الروح إلى الجسد للسؤال ، وما يتبع ذلك من العذاب أو النعيم قد ثبت بالكتاب وصحيح السنة فلا يجوز إنكاره ، ولا بد من الجمع بين النصوص ، والأخذ بهما جميعاً دون تفريق ، كما فعل السلف الصالح .

الشبهة الثانية[1]**: قالوا قد قال الله تعالى:** ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴿٥٦﴾﴾ [الدخان: ٥٦]

قالوا: ولو أُحيوا في القبر لذاقوا موتتين.

جواب الشبهة الثانية[2]:

ليس في الآية ما يدل على نفي عذاب القبر، ولا فهم منها أحد من السلف ذلك وغاية ما فيها أنها إخبار من الله تعالى عن أهل الجنة ، وأنهم لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ، وتلك الموتة هي مفارقة الروح للجسد في دار الدنيا ، ويصح أن يقال إنها الموتة الكبرى ؛ لأنها انتقال من دار إلى دار مغايرة .

فكما أن الإحياء يتعدد فكذا الإماتة تتعدد ، وليس في الآية ممسك لمن نفى بها عذاب القبر.

[1] انظر لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٢/٢٦-٢٧ ، معارج القبول ٢/٧١٣ – ٧١٥ ، وانظر الروح عند أهل الكلام والفلسفة ص٦٦.

[2] انظر الروح عند أهل الكلام والفلسفة ص٦٦.

الشبهة الثالثة[1]: شبهة مخالفة المعقول، وعدم الحس أو المشاهدة :

فهم يزعمون أن تعذيب الميت محال ؛ لأنهم لم يدركوه بحس ولا مشاهدة ، فيقولون: لو فتحنا على الموتى قبورهم لم نجد ناراً ، ولا ملائكة يضربون بمطارق من حديد .

ويقولون أيضاً : باستحالة ضيق القبر وسعته ، وأن الميت يُجلس في قبره ويُسأل .

ويقولون : لو وضعنا على صدر الميت زئبقاً ، ثم كشفنا عنه لوجدناه كما كان .

الرد على الشبهة الثالثة: الجواب على هذه الشبهة من وجوه :

الأول : أن علم البشرية واطلاعها على واقع البرزخ يترتب عليه مفاسد عظيمة، لعل من أهمها:

١-عدم التدافن : فإن سماع عذاب القبر ذريعة إلى ذلك ، لقوله : ((لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر))[2].

٢-انتفاء حكمة الإيمان بالغيب : والإيمان بالغيب مما ميز الله به أهل الإيمان، وامتدحهم عليه.

الثاني : أن قياس أحوال البرزخ بأحوال الدنيا غير صحيح ؛ لأنه قياس لأمر أخروي غيبي بأمر دنيوي حسي ، وهذا قياس فاسد ؛ لاختلاف ما بين الدارين .

فما يقع في دار البرزخ ليس من جنس المعهود لنا في دار الدنيا وإن اتفقت الأسماء ، إذ الاتفاق في أسماء ما في الدارين لا يوجب التماثل في مسمياتهما .

ثم إن القياس ظني الإفادة ، فلا يُصار إليه عند وجود دليل الكتاب ، أو السنة الصحيحة ، أو الإجماع ، وإنما عند الضرورة وفي غير أمور الآخرة والغيب .

---

[1] انظر المرجع السابق ص٦٧.

[2] أخرجه مسلم من حديث أنس ﷺ ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه ، ص١١٧٥ ، ح٧٢١٤.

الثالث : أن أحوال البرزخ ليست من الغيب الكلي الذي يخفى على عموم البشر ، فإذا كان المنكرون لم يشاهدوها ، فقد شاهدها غيرهم من بني الإنسان ، إذ هي من الغيب النسبي كرؤية الملائكة والجن تقع أحياناً لمن شاء الله أن يريه ذلك . [1]

الشبهة الرابعة [2]: يقولون: بعدم حجية خبر الآحاد في إثبات العقائد ؛ بدعوى أنه لا يفيد العلم.

لما كانت طريقة المعتزلة في النصوص إما أن يخطئوها من ناحية السند، أو يؤولوها من جهة المتن، فإنهم قالوا في حديث البراء بن عازب : إنه آحاد فلا يحتج به في مسألة العقائد.

الجواب عن هذه الشبهة من وجهين:

١-تقسيم الأخبار إلى قسمين : خبر آحادٍ لا يحتج به في العقائد ، وخبرٌ متواترٌ يحتج به في العقائد ، فهذا إنما ابتدعه أهل البدع من المعتزلة وغيرهم.

٢- ويقال: إن الأخبار تواترت معنىً لا لفظاً عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً ، وهي تفيد اليقين ، فتصلح للاحتجاج بها في العقائد ، بل إنه إذا صح الخبر عن رسول الله ﷺ فإنه يحتج به في العقائد وغيرها ، ولو كان خبر آحاد بمفهومهم [3]

ومن الآثار المترتبة على عدم الأخذ بحديث الآحاد في العقائد:

أ- الطعن في رواة هذه الأخبار ورواياتهم ، ويلزم عليه الطعن في الشريعة وذهاب الدين ، لأن رواة هذه الأخبار هم رواة هذه الأحكام ، وعليهم الاعتماد في بيان الحلال والحرام في الدين .

---

[1] انظر موسوعة الروح ص٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٥ .

[2] انظر الروح عند أهل الكلام والفلسفة ص٧٧.

[3] انظر الهداية الربانية في شرح العقيدة الطحاوية، لعبد العزيز بن عبد الله الراجحي ، ص٦١٥-٦١٦ ، دار التوحيد للنشر ، الرياض ، ط:١، ١٤٣٠هـ .

ب- أن رد أخبار الآحاد الصحيحة والتشكيك في صحتها وضبط رواتها فيه مخالفة لحكم الحفاظ عليها بالصحة ، وعلى رواتها بالإتقان والعدالة ، وما كان مخالفاً لأقوال أئمة الحديث فيجب اطراحه وعدم التعريج عليه.

٣- أن رد أخبار الآحاد الصحيحة في مجال العقيدة ، وقبولها في مجال الشريعة تناقض في المنهج ، فإما أن تكون مشكوكاً فيها وباطلة ، فتطرح في الكل ، وإما أن تكون صحيحة مقبولة فيؤخذ بها في المجالين كليهما .

٤- أن تقريرهم هذه القاعدة وعملهم بها - وهي عدم الأخذ بأخبار الآحاد في العقائد - جعلهم يردون أخباراً متواترةً تخالف مذهبهم ، زاعمين أنها أخبار آحاد ، وما كان كذلك فلا يؤخذ به ، ولا يحتج به في العقائد ، كما ردت المعتزلة الأخبار المتواترة في الشفاعة والرؤية وغيرها بهذه الحجة.[١]

---

[١] موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة للدكتور سليمان الغصن ، ٢٢٧-٢٢٩ .

المطلب الثالث : الصراط والميزان

الصراط :

الصراط لغة : (صرط) الصاد والراء والطاء وهو من باب الإبدال، وهو الطَّرِيق.[1]

الصراط شرعاً : يؤمن أهل السنة والجماعة بالصراط ، والصراط : هو جسر منصوب على متن جهنم يمر الناس عليه على قدر أعمالهم ، فمنهم من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كأجاويد الخيل والركاب ، فناج مسلم ، وناج مخدوش ، ومكدوس في نار جهنم.

ومن الأدلة على ذلك :

قول الله ﷻ : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١] .

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال قال النبي ﷺ:" العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة:" العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة:((يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم ، قلنا: يا رسول الله وما الجسر ؟ قال : مدحضة مزلة ، عليه خطاطيف وكلاليب ، وحسكة مفلطحة ، لها شوكة عقيفاء ، تكون بنجد يقال لها السعدان ، المؤمن عليها كالطرف ، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل ، والركاب ، فناج مخدوش ، ومكدوس في نار جهنم)) [2]

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما، وفيه: ((...وترسل الأمانة والرحم ، فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً ، فيمر أولكم كالبرق قال : قلت : بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق ؟ قال : ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ؟ ثم كمر الريح ، ثم كمر الطير ، وشد الرجال ، تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول : رب سلم سلم ،

---

[1] معجم مقاييس اللغة ٣٤٩/٣.

[2] أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب الصراط جسر جهنم ،ص٥٥٠ ، ح٦٥٧٣.

حتى تعجز أعمال العباد ، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً ، قال : وفي حافتي الصراط كلاليب معلقةٌ مأمورةٌ بأخذ من أُمرت به ، فمخدوشٌ ناجٍ ، ومكدوسٌ في النار)).[١]

قال الإمام أبو الحسن الأشعري : " وأجمعوا على أن الصراط جسر ممدود على جهنم يجوز عليه العباد بقدر أعمالهم ، وأنهم يتفاوتون في السرعة والإبطاء على قدر ذلك ". [٢]

وقد أنكره بعض المعتزلة وأولوه على معنى الأدلة الدالة على هذه الطاعات التي من تمسك بها نجا وأفضى إلى الجنة ، والأدلة الدالة على المعاصي التي من ركبها هلك واستحق النار ". [٣]

وأما القاضي عبد الجبار فقد أثبته إلا أنه أنكر وصفه بأنه أدق من الشعر وأحد من السيف ومما قاله " ومن جملة ما يجب الإقرار به واعتقاده الصراط...ولسنا نقول كما يقول الحشويه[٤] من أن ذلك أدق من الشعر ، وأحد من السيف " [٥]

الرد على المعتزلة في تأويل صفات الصراط :

إن الحامل للمعتزلة ومن وافقهم على تأويل صفات الصراط ناشئ من قلة التسليم للنصوص وضعف عقيدة الإيمان بالغيب ، والذهول عن قدرة الباري سبحانه ، وقد صح بذلك النقل فوجب الإيمان بذلك والتسليم لقدرة الله ، وصدق رسوله ﷺ ، يقول النبي ﷺ في الحديث

---

[١] أخرجه مسلم ،كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، ص٧١٥ ، ح ١٩٥ .

[٢] رسالة إلى أهل الثغر ص١٦٣ .

[٣] شرح الأصول الخمسة ص٧٣٨ .

[٤] اختلفت عبارات الفرق المبتدعة في معنى الحشوية ، ومن يدخل فيه ؛ وذلك لاضطرابهم ، وهذا المصطلح يكثر عند أهل الكلام ، انظر منهاج السنة ٥٢٠/٢-٥٢٢ ، والقاضي عبدالجبار هنا يصرح بأنهم القائلون بإثبات الأحاديث الصحيحة الواردة في صفات الصراط دون تأويلها ، وسماهم بالحشوية ، ويعني بهم أهل السنة والجماعة المخالفون لأصله المعتزلي القائل بالتأويل المخالف لكل ما خالف العقل القاصر المبني على نظريات المتكلمين .

[٥] شرح الأصول الخمسة ص ٧٣٧- ٧٣٨ .

الطويل:((ويضرب جسر على جهنم ، قال رسول الله ﷺ فأكون أول من يجيزه ، ودعاء الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم ، وبه كلاليب مثل شوك السعدان ، أما رأيتم شوك السعدان ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال فإنه مثل شوك السعدان ، غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله ، فتخطف الناس بأعمالهم ، منهم الموبق بعمله ، ومنهم المخردل ، ثم ينجو)).[١]

وفي هذا الحديث ونحوه دليل صريح على إثبات حقيقة الصراط ، وإبطال تأويل من أوله بالأدلة على الطاعات أو المعاصي .

وأما تأويل من أول وصفه بكونه أحد من السيف وأدق من الشعر بحجة عدم إمكان السير عليه ومنافاته لما ورد في الأحاديث من وقوف الملائكة عليهم السلام والرسول ﷺ فيقال فيه :

إن هذا غير ممتنع فإن القادر الذي يمسك الطير في الهواء ، والذي جعل موسى عليه الصلاة والسلام ، ومن تبعه من قومه يمشون على الماء ، قادرٌ على أن يمسك المؤمن عليه ، ويجريه ، ويمشيه. فالله سبحانه وتعالى على كل شي قدير ولو آمنوا بقدرة الله تعالى على خرق العوائد حق الإيمان لما استبعدوا ذلك .[٢]

ولذلك لما سئل الرسول ﷺ عن كيفية حشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟

---

[١] أخرجه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب الصراط جسر جهنم ،ص٥٥٠ ، ح٦٥٧٣.

[٢] انظر الاعتصام ، لإبراهيم اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ، ٢٩٢/٣ ، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الشقير، سعد بن عبد الله آل حميد ،هشام بن إسماعيل الصيني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، ط: ١ ، ١٤٢٩هـ ،ولوامع الأنوار البهية ١٩٤/٢

قال ﷺ : ((أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرٌ على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة ؟ قال قتادة بلى وعزة ربنا)).[1]

وأما من قال إن في ذلك تعذيباً للمؤمن ، فليس الأمر كذلك ، بل إن المؤمن يسهل عليه العبور ،حتى يكون منهم من يمر عليه كالبرق ، ومنهم من يمر عليه كالريح ، ومنهم من يرمل رملاً[2] وهكذا على قدر أعمالهم[3].

---

[1] أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى ((الذين يحشرون على وجههم إلى جهنم)) ، ص٤٠٣ ، ح٤٧٦٠.

[2] والرمل الإسراع في المشي ويسمى الهرولة ، انظر معجم مقاييس اللغة ٣٦٦/٢.

[3] انظر موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة مبحث الصراط.ص٧٤٠ .

الميزان:

الميزان أمرٌ حقيقي ، له كفتان توزن به أعمال العباد ، ولا يعلم كيفيته إلا الله تعالى.

ومن الأدلة عليه :

قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف: ٨-٩]

وقوله تعالى : ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ۝٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧] .

وأحاديث الميزان متواترة ، ويدخل تحته الإيمان بالدواوين ، وأخذ الكتاب باليمين أو بالشمال من وراء الظهر ، وما يتبع ذلك من نعيمٍ أو عذابٍ ، ومن انقسام إلى فرقتين فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير .[١]

وفي المبحث القادم سأوضح الخلاف في ذلك .

---

[١] انظر شرح الطحاوية ٦١٣/١ وما بعدها (تحقيق: التركي).، وانظر نظم المتناثر من الحديث المتواتر ، لأبي عبد الله محمد بن أبي الفيض الحسني الإدريس(الكتاني) ، ص ٢٣١ ، تحقيق :شرف حجازي ، دار الكتب السلفية ، الجيزة، ط: ٢.

المطلب الرابع : وزن الأعمال :

سبق في المطلب السابق ذكر الميزان وصفته وسأتكلم في هذا المطلب عن وزن الأعمال والخلاف في ذلك :

تعددت الأدلة على وزن الأعمال ، ومن الأدلة على ذلك : قول النبي ﷺ : ((كلمتان ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله وبحمده ، سبحانه الله العظيم)) [1].

وقد تُوزن صحف الأعمال لحديث البطاقة وهو قوله ﷺ : ((إن الله ﷻ يستخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً ،كلُ سجلٍ مد البصر ثم يقول له : أتنكر من هذا شيئاً أظلمتك كتبتي الحافظون ، قال : لا يا رب . فيقول : ألك عذر أو حسنة . فيبهت الرجل فيقول : لا يا رب ، فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة واحدة ، لا ظلم اليوم عليك ، فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فيقول : أحضروه فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ، فيقال : إنك لا تظلم قال : فتوضع السجلات في كفة ، قال : فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم)). [2]

والشاهد فيه ذكر الكفتين وهو قوله ﷺ : ((فتوضع البطاقة في كفة والسجلات في كفة)).

[1] أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ ،كتاب الدعوات ، باب فضل التسبيح ، ص ٥٣٨ ، ح٦٤٠٦.

[2] . أخرجه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ ، ص١٧٤٤،ح٦٩٥٥، وصححه الألباني في المشكاة ٢٠٨/٣، ح٥٥٥٩ .

وقد يُوزن العامل لحديث ابن مسعود ﷺ قال النبي ﷺ : ((أتعجبون من دقة ساقيه ؟ لهما في الميزان أثقل من أُحُد)) [١] ، وحديث: ((يُؤتى بالرجل السمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة)) .[٢]

فمن ثقلت موازين حسناته على سيئاته دخل الجنة ، ومن تساوت حسناته على سيئاته كان من أهل الأعراف بين الجنة والنار ، يُؤجل أمره حتى يدخل أهل الجنةِ الجنةَ، وأهلُ النارِ النارَ، ثم تدركه الشفاعة ، فترجح حسناته على سيئاته فيدخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته استحق النار، إلا أن يشفع فيه الشفعاء، أو يعفو الله عنه.[٣]

وللمعتزلة قولان في الميزان :

الأول : أنكر المعتزلة الميزان وأولوه بالعدل لأن الأعمال أعراض ، وإن أمكن إعادتها فلا يمكن وزنها إذ لا توصف بالخفة والثقل ، وأيضاً فالوزن للعلم بمقدارها وهي معلومة لله تعالى فلا فائدة فيه فيكون قبيحاً تنزه عنه الرب تعالى .

والسبب الذي حملهم على ذلك أن الأعراض يستحيل وزنها ؛ إذ لا تقوم بنفسها فلا توصف بالخفة والثقل ، وعليه فيستحيل وزن الأعمال الحقيقية لأنها أعراض .[٤]

---

[١] أخرجه أحمد ، من حديث علي ﷺ ص٢٦٥،ح٩٢٢ ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٥٧٠/٦ ، ح٢٧٥٠.

[٢] متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ ، البخاري ، كتاب التفسير ، باب ((أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه فحبطت أعمالهم)) ، ص ٣٩٧ ، ح ٤٧٢٩ . ومسلم ، كتاب صفات المنافقين ، باب صفة القيامة والجنة والنار ، ص ١١٦٣ ح ٢٧٨٥. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾".

[٣] انظر لوامع الأنوار البهية ١٨٦/٢-١٨٩ .

[٤] انظر شرح الأصول الخمسة ص٧٣٥ ، ومقالات الإسلاميين ٣٥٤/٢ .

والثاني : ما صرح به القاضي عبد الجبار من أن الميزان هو المعروف بيننا ، وأنكر تأويله بالعدل فقال بعد أن ذكر بعض الأدلة على الميزان :

" ولم يرد الله تعالى بالميزان إلا المعقول منه ، المتعارف فيما بيننا ، دون العدل وغيره على ما يقوله بعض الناس ...

يبين ذلك ويوضحه أن لو كان الميزان إنما هو العدل لكان لا يثبت للثقل والخفة فيه معنى ، فدل على أن المراد به الميزان المعروف الذي يشتمل على ما تشمل عليه الموازيين فيما بيننا ".[1]

فالقاضي أثبت الميزان والوزن حقيقة ، بل صرح بأن له كفتين ولكنه خالف في وزن الأعمال ، فهو يرى أن الوزن يحصل بأن يجعل في إحدى الكفتين النور ، وفي الكفة الأخرى الظلمة ، فإن ترجحت كفة النور حكم لصاحبها بالثواب وإن ترجحت الأخرى حكم لصاحبها بالأخرى كما أجاز وزن صحف الأعمال .[2]

والحق أن تأويل الميزان بالعدل باطل ، وإنكار وزن الإعمال باطل كذلك ، ويردُّ عليهم من وجوه:

الأول: أن هذا القول مخالف لظاهر لفظ الكتاب والسنة .

الثاني: أن هذا القول مخالف لإجماع السلف الصالح ؛ فلم يقل به أحدٌ منهم أن الميزان المراد به العدل وأن ظاهر النص غير مراد .

---

[1] شرح الأصول الخمسة ص٧٣٥.

[2] شرح الأصول الخمسة ص٧٣٥.

الثالث: أن حديث البطاقة الصحيح يبطل هذا التأويل الفاسد ؛ فإن فيه أن السجلات تطيش وتثقل البطاقة وهذا بيّن الدلالة على أنه ميزان حقيقي. [1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :"الميزان هو ما يوزن به الأعمال ، وهو غير العدل ، كما دل على ذلك الكتاب والسنة...وأما كيفية تلك الموازين فهو بمنزلة كيفية سائر ما أخبرنا به من الغيب"[2].

يقول ابن أبي العز :" فثبت وزن الأعمال ، والعامل ، وصحائف الأعمال ، وثبت أن الميزان له كفتان ، والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات ، علينا الإيمان بالغيب كما أخبرنا الصادق ﷺ من غير زيادة ولانقصان ."[3]

---

[1] شرح العقيدة الواسطية ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين ، ١٤٠/٢ .

[2] مجموع الفتاوى ٣٠٢/٤

[3] انظر شرح الطحاوية ٦١٢/٢-٦١٣ وللاستزادة انظر موقف المتكلمين من الاستدلال من الكتاب والسنة ٧٣٢/١-٧٤٠.

المبحث الخامس : الإيمان بالقدر

يقول الدهلوي (باب الإيمان بالقدر): " من أعظم أنواع البر الإيمان بالقدر ؛ وذلك أنه به يلاحظ الإنسان التدبير الواحد الذي يجمع العالم ، ومن اعتقده على وجهه يصير طامح البصر إلى ما عند الله ، يرى الدنيا وما فيها كالظل له ، ويرى اختيار العباد من قضاء الله كالصورة المنطبعة في المرآة ، وذلك يعد له أتم إعداد، وقد نبه ﷺ على عظم أمره من بين أنواع البر...قال ﷺ : ((لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه)) .[١]

واعلم أن الله تعالى شمل علمه الأزلي الذاتي كل ما وجد ، أو سيوجد من الحوادث ، محال أن يتخلف علمه عن شيء ، أو يتحقق غير ما علم ، فيكون جهلاً لا علماً ، وهذه مسألة شمول العلم ، وليست بمسألة القدر ولا يخالف فيها فرقة من الفرق الإسلامية ، إنما القدر الذي دلت عليه الأحاديث المستفيضة ، ومضى عليه السلف الصالح ، ولم يوفق له إلا المحققون ، ويتجه عليه السؤال بأنه متدافع مع التكليف ، وأنه فيم العمل ،هو القدر الملزم الذي يوجب الحوادث قبل وجودها، فيوجد بذلك الإيجاب، لا يدفعه هرب، ولا تنفع منه حيلة، ...".[٢]

ذكر الدهلوي في كلامه السابق الإيمان بالقدر ومراتبه وأهميته ، وسأتكلم في هذا المبحث عن تعريف الإيمان بالقدر عند أهل السنة والجماعة واللوح المحفوظ وخلق أفعال العباد ومسألة الأسباب وقد جعلتها في أربعة مطالب .

---

[١] أخرجه الترمذي من حديث جابر بن عبد الله ﷺ ، كتاب القدر ، باب ما جاء : أن الإيمان بالقدر خيره وشره ، ص ١٨٦٧،ح٢١٤٤ ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٥ / ٥٦٦ ، ح٢٤٣٩.

[٢] حجة الله البالغة ١٥٣/١ ، ويقصد الدهلوي هنا مسألة خلق أفعال العباد .

المطلب الأول : تعريفه عند أهل السنة والجماعة :

القدر في اللغة له معان ، منها القضاء والحُكم والتقدير ، ومبلغ الشيء ، ومقداره ، وكنهه ونهايته[1] ، والمراد به في الشرع تقدير الله سبحانه للكائنات .

والإيمان بالقدر هو: الإيمان بأن الله جل وعلا قدر في الأزل مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء على ما اقتضته حكمته البالغة ، فعلم أوقاتها وصفاتها ، وكتبها ، وشائها ، فهي واقعة كما قدر لها .[2][3]

والإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان ، وقد استفاضت الأدلة في القرآن ، والسنة على وجوب الإيمان به ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر: ٤٩] ،

وقوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۚ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾ [الرعد: ٨] ،

وقوله تعالى : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [التغابن: ١١] .

ومن السنة حديث جبريل عليه السلام عندما سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال له ﷺ : ((أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره))[1] .

---

[1] انظر القاموس المحيط ٤٦٠/١.

[2] انظر العقيدة للشيخ السعوي ص ٢٠٣.

[3] يذكر بعض المصنفين في هذا الموضع مسألة وهي : هل هناك فرق بين القضاء والقدر منهم من يقول : لا فرق ، ومنهم من يقول بوجود فرق ، ثم يختلف أصحاب القول الثاني في التمييز بينهما ، وقد قرر فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله أن القضاء والقدر إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا ، فإذا افترقا فإنهما مترادفان ، وإذا اجتمعا فلكل واحد منهما معنى ، فالقدر ما قدره الله تعالى في الأزل أن يكون في خلقه ، والقضاء ما قضى به الله سبحانه وتعالى في خلقه من إيجاد أو أعدام أو تغيير ، وعلى هذا الكون يكون القدر سابقاً ، انظر شرح العقيدة الواسطية ، لمحمد بن صالح العثيمين ، ١٨٧/٢– ١٨٨ ، دار ابن الجوزي – المملكة العربية السعودية ، ط:٤ ، ١٤٢٤هـ .

مراتب القدر :

ومراتب القدر أربعة :

العلم والكتابة والخلق والمشيئة ، ولهذه المراتب أدلة كثيرة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فمن ذلك :

دليل مرتبة العلم قول الله تعالى :﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٢] .

ومن السنة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، وينصرانه ، كما تنتجون البهيمة ، هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها ، قالوا يا رسول الله: أفرأيت من يموت وهو صغير ، قال: الله أعلم بما كانوا عاملين))[٢] .

الثاني: مرتبة الكتابة أي كتابة المقادير في اللوح المحفوظ :

قال عز وجل:﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴿١٢﴾﴾[يس:١٢].

ومن السنة ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء)).[٣]

---

[١] أخرجه مسلم ،كتاب الإيمان ، ص٦٨١ ح٨ .

[٢] أخرجه البخاري ،كتاب القدر ، باب الله أعلم بما كانوا عاملين ،ص٥٥٢ ، ح ٦٥٩٩ .

[٣] أخرجه مسلم ،كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى صلى الله عليهما وسلم ، ص١١٤٠ ، ح٢٦٥٣ .

ويدخل في مرتبة الكتابة كتابة أربعة مقادير :

١- التقدير الأزلي :

وهو كتابة ذلك بالقلم قبل خلق السماوات والأرض وذلك عندما خلق الله تعالى القلم ، ودليله الحديث السابق وحديث عبادة بن الصامت ﵁ الذي قال فيه لابنه (يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أًصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول :((إن أول ما خلق الله القلم فقال له أكتب ، قال رب وماذا أكتب ؟ قال :أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة)) يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:((من مات على غير هذا فليس مني))[١].

يقول الدهلوي :"قال ﷺ : ((كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء))[٢] ، أقول: خلق الله تعالى العرش والماء أول ما خلق، ثم خلق جميع ما أراد أن يوجد في قوة من قوى العرش يشبه الخيال من قوانا، وهو المعبر عنه بالذكر على ما بينه الإمام الغزالي[٣]، ولا تظنن ذلك مخالفاً للسنة ؛ فإنه لم يصح عند أهل المعرفة بالحديث من بيان صورة القلم واللوح على ما يلهج به العامة شيء يعتد به ، والذي يروونه هو من الإسرائيليات وليس من الأحاديث المحمدية ، وذهاب المتأخرين من أهل الحديث إلى مثله نوع من التعمق ، وليس للمتقدمين في ذلك كلام ، وبالجملة فتحققت هنالك صورة هذه السلسلة بتمامها ، عبر عنه بالكتابة أخذاً من إطلاق الكتابة في السياسة المدنية على التعيين والإيجاب، ومنه قوله تعالى: ﴿...كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ...١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣] .

---

[١] أخرجه أبو داود ، كتاب السنة باب القدر ص١٥٦٨ ، ح٤٧٠٠ .

[٢] سبق تخريجه.

[٣] الغزالي (٥٠٥-٥٤٠) : زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صاحب التصانيف ،كان من المتكلمين ومن المتصوفة الغالين ، قال أبو بكر بن العربي عنه:" شيخنا أبو حامد بلع الفلاسفة، وأراد أن يتقيأهم، فما استطاع" ، وكانت خاتمة أمره إقباله على طلب الحديث، ومجالسة أهله، ومطالعة "الصحيحين " من مؤلفاته : تهافت الفلاسفة ، إحياء علوم الدين ، شذرات الذهب ٦/ ١٨-٢٢ وما بعدها ،سير أعلام النبلاء ١٤/٢٦٤-٢٨٠.

وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ ...﴿١٨٠﴾﴾ [البقرة: ١٨٠] .

وقوله ﷺ : ((إن الله كتب على عبده حظه من الزنا...))[1] ، وقول الصحابي: كتبت في غزوة كذا ولم يكن هناك ديوان كما ذكره كعب بن مالك ، ونظير ذلك في أشعار العرب كثير جداً.."[2]

مناقشة :

تكلم الدهلوي عن عدم صحة ما يروى بشأن صفة القلم وشكله ، وهذا صحيح معتبر ، ثم تكلم عن خلق الله عز وجل للمخلوقات ، ولكنه جعلها من عالم الخيال المنفصل (عالم المثال) ، وهذا من التأويل المذموم ، وتعبيره عن كتابة المقادير بأنه كقول الله تعالى ﴿...كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ...﴿١٨٣﴾﴾ **أي كتابة بمعنى الإيجاب والتعيين فهذا تأويل غير صحيح يبطله الحديث السابق وغيره .**

ومما جاء أيضاً عن "القلم" قول النبي- ﷺ -:"...حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام".[3]

---

[1] أخرجه البخاري بنحوه ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن أبي هريرة ﷺ ، كتاب الاستئذان ، باب زنى الجوارح دون الفرج ، ص ٥٢٦ ، ح ٦٢٤٣، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ شَيْئاً أَشْبَهَ بِاللَّمَمِ مِمَّا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : ((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَزِنَا الْعَيْنِ: النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ: الْمَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ: تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ: يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ))

[2] حجة الله البالغة ٣٨١/١.

[3] أخرجه البخاري من حديث ابن عباس وأبي حبة الأنصاري رضي الله عنهما ، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات ، ص٧٠٦ ، ح١٦٣ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((ثُمَّ عَرَجَ بِي، حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوًى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلَامِ)).

والأقلام هنا كما سبق بيانه هي التي تكتب بها الملائكة: وحي الله ﷻ إلى أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام ، وأقضيته مما تنسخه من اللوح المحفوظ، وما شاء الله ﷻ مما أراد من أمره وتدبيره.

يقول القاضي عياض عند شرحه لهذا الحديث:" وفيه حجة لمذهب أهل السنة في الإيمان بصحة كتابة الوحي، والمقادير في كتاب الله من اللوح المحفوظ وما شاء بالأقلام التي هو تعالى يعلم كيفيتها على ما جاءت به الآيات من كتاب الله ، والأحاديث الصحيحة ، وأن ما جاء من ذلك على ظاهره ، لكن كيفية ذلك ، وجنسه ، وصورته ، مما لا يعلمه إلا الله ، أو من أطلعه على غيبه من ذلك من ملائكته ، ورسله، ومما لا يتأوله ، ويحيله عن ظاهره إلا ضعيف النظر والإيمان، إذ جاءت به الشريعة، ودلائل العقول لا تحيله..." [1]

ويقول ابن أبي العز الحنفي شارحاً قول الإمام الطحاوي :" أقول أول ما خلق الله تعالى العرش والماء أول ما خلق وهذا هو ما عليه الجمهور أن أول ما خلق الله العرش " : اختلف العلماء: هل القلم أول المخلوقات، أو العرش؟ على قولين...، أصحهما: أن العرش قبل القلم، لما ثبت في الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما –، قال: قال رسول الله ﷺ : ((قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء)) .[2]

فهذا صريح أن التقدير وقع بعد خلق العرش، والتقدير وقع عند أول خلق القلم، بحديث عبادة هذا ، ولا يخلو قوله :((أول ما خلق الله القلم...)) إما أن يكون جملة أو جملتين ، فإن كان جملة وهو الصحيح ، كان معناه: أنه عند أول خلقه قال له: اكتب، [كما في اللفظ: أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب] بنصب " أول " و " القلم "، وإن كان جملتين، وهو مروي برفع " أول " و "

[1] شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى إكمال المعلم بفوائد مسلم ، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، المحقق: د. يحيى اسماعيل ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ ٥١٠/١.

[2] سبق تخريجه .

القلم "، فيتعين حمله على أنه أول المخلوقات من هذا العالم، فيتفق الحديثان، إذ حديث عبد الله بن عمرو صريح في أن العرش سابق على التقدير، والتقدير مقارن لخلق القلم ، وفي اللفظ الآخر: لما خلق الله القلم قال له: اكتب."[1]

٢- ويدخل في مرتبة الكتابة كتابة المقادير على بني آدم عليه السلام :

ودليله قوله تعالى ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٣].

يقول الدهلوي :" **وقوله** ﷺ : ((**ما منكم من أحد إلا وقد كتب له مقعده من النار ومقعده من الجنة**))[2] ، **أقول: كل صنف من أصناف النفس له كمال ونقصان ، عذاب وثواب ،** ويحتمل أن يكون المعنى إما من الجنة ، وإما من النار ، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ؛ لأن آدم أخذت عنه ذريته ومن ذريته ذريتهم إلى يوم القيامة على الترتيب الذي يوجدون عليه ، فذكر في القرآن بعض القصة وبين الحديث تتمتها ، قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الليل: ٥-٦] .[3]

٣- التقدير العمري عند تخليق النطفة في الرحم :

ومنه حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق ، قال : ((إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكاً ، فيؤمر بأربع كلمات ، ويقال له اكتب عمله ، ورزقه ، وأجله

---

[1] شرح العقيدة الطحاوية ٣٤٥/٢.

[2] أخرجه البخاري بنحوه ، من حديث علي رضي الله عنه ،كتاب التفسير ، باب قوله تعالى:﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ ،ص٥٢٧ ، ح ٤٩٤٥ ، عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فِي جَنَازَةٍ، فَقَالَ: ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ "، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ فَقَالَ: " اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾إلى قوله:﴿... لِلْعُسْرَىٰ﴾ .

[3] حجة الله البالغة ٣٨٢/١.

وشقي ، أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح ، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع ، فيسبق عليه كتابه ، فيعمل بعمل أهل النار ، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة))[1]

٥- التقدير الحولي في ليلة القدر :

يقدر فيها كل ما يكون في السنة إلى مثلها ، قال تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان: ٣-٤].

٦- التقدير اليومي :

وهو سوق المقادير إلى المواقيت التي قدرت لها فيما سبق ودليله قوله تعالى : ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ۝٢٩﴾ [الرحمن: ٢٩] .

الثاني : مرتبة المشيئة : ودليل هذه المرتبة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس: ٨٢].

ومن السنة قوله ﷺ ((إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله ﷺ : اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك)) .[2]

---

[1] أخرجه البخاري ، من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم ،ص٢٦٠ ، ح٣٢٠٨ .

[2] رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى صلى الله عليهما وسلم ،ص١١٤٠، ح٢٦٥٤ .

الثالث من مراتب القدر : مرتبة الخلق : ومن أدلتها :

قول تعالى : ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦]

ومن السنة قوله ﷺ ((إن الله يصنع كل صانع وصنعته ، وتلا بعضهم عند ذلك : ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] .[١]

المخالفون في القضاء والقدر:

من المسائل التي حدث فيها الخلاف بين فرق المسلمين مسألة القضاء والقدر ، وكان أول من أحدث قولاً في القدر معبد الجهني[٢] ، وقد أخذه عن رجل نصراني أسلم ثم تنصر وأخذه عن معبد غيلان الدمشقي[٣] ، جاء في صحيح مسلم عن يحيى بن يعمر[٤] قال : (كان أول من

---

[١] رواه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل ، ح١٠٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط: ١ ، ١٤٠٤هـ ، وصححه ابن حجر في فتح الباري ٤٩٨/١٣ ، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٦٣٦ وقال:" على شرط مسلم".

[٢] معبد الجهني(٠٠٠ – ٨٠ هـ) معبد بن عبد الله بن عليم الجهني البصري ، أول من قال بالقدر في البصرة ، انتقل من البصرة إلى المدينة، فنشر فيها مذهبه ، وعنه أخذ (غيلان) ، وصلب عبد الملك بن مروان معبد ، وقيل عذبه الحجاج وقتله ، انظر شذرات الذهب ٨٨/١ ، الأعلام للزركلي ٢٦٤/٧.

[٣] غيلان الدمشقي (ت بعد ١٠٥ هـ) غيلان بن مسلم الدمشقي، تنسب إليه فرقة " الغيلانية " من القدرية ، وهو ثاني من تكلم في القدر ودعا إليه، لم يسبقه سوى معبد الجهني ، وله رسائل في نحو ألفي ورقة ، انظر الأعلام للزركلي ١٢٤/٥ .

[٤] يحيى بن يعمر أبو سليمان العدواني(ت قبل ٩٠هـ) ، الفقيه، العلامة، المقرئ، أبو سليمان العدواني، البصري، قاضي مرو، ويكنى: أبا عدي ، وكان من أوعية العلم، وحملة الحجة ، وهو أول من نقط المصحف ، أخذ النقط عن أبي الأسود ، انظر سير أعلام النبلاء (ط. دار الرسالة) ٤٤١/٤-٤٤٣.

قال بالقدر في البصرة معبد الجهني ، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري[1] حاجيين أو معتمرين ، فقلنا : لو لقينا أحد من أًصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر ، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد ، فاكتنفته أنا وصاحبي ، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله ، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت أبا عبد الرحمن ، إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ، ويتقفرون العلم ، وذكر من شأنهم ، وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف ، قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم ، وأنهم برآء مني ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر ، لو أن لأحدهم مثل أحدٍ ذهباً فأنفقه ، ما قبل الله منه ، حتى يؤمن بالقدر ، ثم قال : حدثني أبي عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم ، إذ طلع علينا رجلٌ شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ ، فاسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ :((الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً ، قال : صدقت ، قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه ، قال : فأخبرني عن الإيمان ، قال:أن

[1] حميد بن عبد الرحمن الحميري (ت قريب من ٩٥هـ) ،شيخ ، بصري ، ثقة ، عالم ، قال ابن سيرين :كان حميد بن عبد الرحمن أعلم أهل المصرين –يعني: الكوفة والبصرة– ، انظر سير أعلام النبلاء (ط: دار الرسالة) ٤/٢٩٣-٢٩٤.

تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره...–إلى آخر حديث جبريل عليه السلام المشهور–)) [1]

وقد روى الالكائي [2] عن ابن عون قوله ((أدركت الناس ما يتكلمون إلا في علي وعثمان ، حتى نشأ ها هنا حقير ، يقال له سنسويه البقال)) [3]

وعن يونس بن عبيد[4] قال ((أدركت البصرة ما بها قدري إلا سنسويه ، ومعبد الجهني ، وآخر ملعون من بني عوافه))[5]

وهذا يدل على أن نفي القدر مأخوذ عن غير المسلمين ، وهؤلاء القدرية ينكرون مرتبة العلم والكتابة ، وجاء عند مسلم أنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أُنُف ، قال الإمام النووي[6] "أي مستأنف لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى وإنما يعلمه بعد وقوعه" .[7]

---

[1] سبق تخريجه .

[2] اللالكائي (ت ٤١٨ هـ) هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، أبو القاسم اللالكائي ، حافظ للحديث، من فقهاء الشافعية ، من أهل طبرستان ، استوطن بغداد ، وخرج في آخر أيامه إلى الدينور: فمات بها كهلا ، قال الزبيدي (في التاج): نسبته إلى بيع " اللوالك " التي تلبس في الارجل، على خلاف القياس ، له : شرح السنة ، وكتاب في السنن لعله الذي سماه "بروكلمن " حجج أصول أهل السنة والجماعة ، انظر الأعلام للزركلي ٧١/٨ .

[3] اعتقاد أهل السنة والجماعة لللاكائي ٤٨٢/١ .

[4] يونس ابن عبيد ابن دينار الإمام القدوة أبو عبد الله العبدي مولاهم، البصري ، من صغار التابعين، وفضلائهم ، وهو امام وحجة وقدوة ، رأى أنس بن مالك رضي الله عنه ، انظر سير أعلام النبلاء ، ٣٨٤/٦ – ٣٨٩ .

[5] اعتقاد أهل السنة والجماعة لللاكائي ٤٨٢/١ .

[6] النووي (٦٣١ – ٦٧٦ هـ) يحي بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث ، مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية) وإليها نسبته ، من كتبه: منهاج الطالبين والمنهاج في شرح صحيح مسلم ، انظر شذرات الذهب ٥٥/١ ، الأعلام للزركلي ١٤٨/٨-١٤٩.

[7] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، لأبي زكريا يحي بن شرف النووي ، ١٥٤/١ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط:٢ ، ١٣٩٢هـ.

والمخالفون في باب القضاء والقدر فرقتان ، القدرية والجبرية :

١- القدرية التي غالت في نفي القدر حتى نفت أن تكون أفعال العباد مخلوقة لله ، وهؤلاء هم القدرية المتأخرون وهم المعتزلة ، وهؤلاء يقرون بعلم الله ، ولكن يقولون بخلق العباد لأفعالهم ، وهؤلاء ينفون مشيئة الله وخلقه لأفعال العباد .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية " ولكن لما اشتهر الكلام في القدر ، ودخل فيه كثير من أهل النظر والعباد ، صار جمهور القدرية يقرون بتقدم العلم ، وإنما ينكرون عموم المشيئة والخلق " [١]

وقد جاء في في حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال : ((القدرية مجوس هذه الأمة ، أن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلا تشهدوهم)) [٢] ، قال الخطابي[٣] :" إنما جعلهم مجوساً ؛لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالأصليين النور والظلمة ، يزعمون أن الخير من فعل النور ، والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية ، وكذلك القدرية ، يضيفون الخير إلى الله تعالى ، والشر إلى غيره ، والله سبحانه خالق الخير والشر جميعاً ، لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته ، فهما مضافان إليه سبحانه وتعالى خلقاً وإيجاداً ، وإلى الفاعلين لهما من عباده فعلاً وإكتساباً والله أعلم . [٤]

٢- الجبرية التي غالت في إثبات القدر حتى جعلت العبد مجبوراً على فعله .

والجبر هو: نفي الفعل حقيقة عن العبد ، وإضافته إلى الرب .

---

[١] الإيمان لابن تيمية ص٣٠٢ .

[٢] رواه الآجري في الشريعة ص٨٠٣ ، ح ٣٨١ ، وقال محققه عبد الله الدميجي إسناده حسن ص٨٠٣ ، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي ، دار الوطن ، الرياض، ط:٢، ١٤٢٠ هـ ،

[٣] حمد الخطابي (٣١٩ - ٣٨٨ هـ) حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستي ، أبو سليمان: فقيه محدث ، من أهل بست (من بلاد كابل) من نسل زيد بن الخطاب أخي عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، من مؤلفاته : معالم السنن في شرح سنن أبي داود ، و بيان إعجاز القرآن ، انظر الأعلام للزركلي ٢٧٣/٢ .

[٤] شرح النووي على صحيح مسلم ١٥٤/١.

والمقصود أن العبد مجبور على أفعاله ، مقسورٌ عليها ، وإنما تنسب إليه الأفعال على سبيل المجاز وإلا فهو كشجرة في مهب الريح .

وأن تكليفه تعالى للعباد وأمره بالطاعات ونهيه عن المعاصي هو تكليف بما لا يطاق ، وأن تعذيبه للعصاة إنما هو تعذيب على فعله تعالى لا على أفعالهم .

والجبرية أقسام :

١-جبرية خالصة :وهي التي لا تثبت للعبد فعلاً ، ولا قدرةً على الفعل أصلاً ، وإنما هو مجبورٌ على فعله .

٢-جبرية متوسطة: وهي تثبت للعبد قدرةً ، لكنها غير مؤثرة ،وأهم فرقهم الجهمية النجارية.[١]

---

[١] انظر الملل والنحل ، لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، ١/٨٥-٨٦ ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٤هـ.

المطلب الثاني : اللوح المحفوظ :

نقل الدهلوي قول الغزالي في اللوح المحفوظ ، يقول عنه : "قال الغزالي: كل ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم إلى آخره ، مسطورٌ ومثبتٌ في خلق الله تعالى ، يعبر عنه تارةً باللوح ، وتارةً بالكتاب المبين ، وتارةً بإمام مبين ، كما ورد في القرآن ، فجميع ما جرى في العالم ، وما سيجري مكتوبٌ فيه ، ومنقوشٌ عليه نقشاً لا يشاهد بهذه العين ، ولا تَظُنَنَّ أن ذلك اللوح من خشب ، أو حديد ، أو عظم، وأن الكتاب من كاغد أو ورق ، بل ينبغي أن تفهم قطعاً أن لوح الله لا يشبه لوح الخلق ، وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق ، كما أن ذاته ، وصفاته ، لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم، بل إن كنت تطلب له مثالاً يقربه إلى فهمك ، فاعلم أن ثبوت المقادير في اللوح المحفوظ يضاهي ثبوت كلمات القرآن وحروفه في دماغ حافظ القرآن وقلبه ؛ فإنه مسطورٌ فيه حتى كأنه حيث يقرأ ينظر إليه ، ولو فتشت دماغه جزءاً جزءاًلم تشاهد من ذلك الخط حرفاً ، فمن هذا النمط ينبغي أن تفهم كون اللوح منقوشاً بجميع ما قدره الله تعالى وقضاه " ، ثم كثيراً ما تتذكر النفس ما عملته من خير أو شر، وتتوقع جزاءه ، فيكون ذلك وجهاً آخر من وجوه استقرار عمله والله أعلم."[١]

والإيمان باللوح المحفوظ يتضمن الإيمان بأنه حق ، يجب إثباته ، وأنه مخلوق ، وأن حقيقته وكيفيته علمها إلى الله ﷻ.

ويتضمن الإيمان به أيضاً : الإيمان بما ثبت له من أسماء ، وأوصاف ، فمن أسمائه: اللوح والذكر، والكتاب، والإمام المبين ، وأم الكتاب، والزبر.

---

[١] حجة الله البالغة ١/٧٠.

ومن أوصافه: وصفه بأنه محفوظ من وصول الشياطين إليه ، ومن الزيادة فيه والنقصان ، ووصفه بأنه مصون ، مستور عن أعين الخلق ، ووصفه بأنه الكتاب المقتدى به ، الذي إليه مرجع الكتب التي تكون بأيدي الملائكة عليهم السلام، ووصفه بأنه كتاب بيّن وواضح، موضح لكل شيء ، وأنه مبين عن حقيقة خبر الله، فلا شيء كان أو يكون إلا وقد أحصاه الله تعالى فيه.[1]

والإيمان باللوح المحفوظ هو مما يتضمنه الإيمان بالكتابة، التي هي المرتبة الثانية من مراتب القدر، فالله -ﷻ- كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، فلا يخرج شي عما كتبه ،وهذا مما أجمع عليه أهل السنة والجماعة :

قال أبو الحسن الأشعري :" وأجمعوا على أنه - تعالى- قد قدّر جميع أفعال الخلق ، وآجالهم ، وأرزاقهم قبل خلقه لهم ، وأثبت في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم يبعثون"[2].

وقال ابن القيم وأجمع الصحابة ، والتابعون ، وجميع أهل السنة ، والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب"[3].

وأهل الباطل لما زعموا أن اللوح المحفوظ هو النفس الفلكية أو العقل الفعّال قالوا: إن الإنسان إذا روّض نفسه وطهرها فإنها تتصل بالنفس الفلكية، وإذا اتصلت بالنفس الفلكية، فإنها تعلم الغيب وتطلع عليه.[4]

---

[1][1] المباحث العقدية المتعلقة باللوح المحفوظ ، لعادل حجي العامري ،ص٢ ، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ١٤٢٨هـ .

[2] رسالة إلى أهل الثغر ص ٢٤٧.

[3] ٧٧- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب (ابن قيم الجوزية) ، ١٦٧/١ ، دار المعرفة، بيروت، لبنان ، الطبعة: ١٣٩٨م.

[4] انظر درء تعارض العقل والنقل ١٨٩/١٠.

وأصل هذا القول مبني على نظرية (الفيض والصدور) [1]، وهذه النظرية تقوم على أن الأول فاض عنه العقل، وكان صدوره عنه بغير توسط .

وفاض عن العقل النفس الفلكية، وفاض عنها العالم الحسي السفلي.

تأثر بهذه النظرية الفلاسفة المنتسبون إلى الإسلام كابن سينا[2]، وكان قد سمع بشيء من كلام الأنبياء فأراد التوفيق بين الفلسفة والشريعة فقال: إن النفس الفلكية أو العقل الفعال هي اللوح المحفوظ ، ومنه يفيض الوحي والعلم على الأنبياء وغيرهم، وذلك أن النفس البشرية إذا طهرت فإنها تتصل بالنفس الفلكية أو العقل الفعّال، وتنقش في نفوس البشر ما فيها، وعند ذلك تعلم الغيب وتطلع عليه.[3]

والصوفية الذين يزعمون أنه يمكن الاطلاع على اللوح والعلم بما فيه ، منهم من يعرف أن هذا القول مأخوذ من الفلاسفة ، ومنهم من لا يعرف ذلك ، وإنما هو مقلّد لشيوخه.[4]

---

[1] مذهب الفيض هو القول بأن العالم يفيض عن الله، كما يفيض النور عن الشمس أو الحرارة عن النار فيضاً متدرجاً، انظر المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية ، للدكتور جمال صليبا ، ٢/١٧٢-١٧٣ ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، بيروت ، ١٩٨٢م .

[2] ابن سينا (٣٧٠- ٤٢٨) الفيلسوف ، أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي ثم البخاري الملقب بالشيخ الرئيس ، صاحب التصنيف في الطب والفلسفة والمنطق ، أشهر أطباء العرب ، فارسي الأصل ،وكان أبوه كاتباً من دعاة الإسماعيلية ، له كتاب"الشفاء"وغيره، وأشياء لا تحتمل، وقد كفره الغزالي في كتاب"المنقذ من الضلال" .انظر"سير أعلام النبلاء ١٣/٢٠١.

[3] انظر ثورة العقل في الفلسفة العربية ص١١٠، وابن تيمية وموقفه من الفكر الفلسفي ص١٨٩، و الفلسفة العربية عبر التاريخ ص٥٨-٥٩ - نقلاً عن رسالة المباحث العقيدة في اللوح المحفوظ ص١٩٣ .

[4] الرد على المنطقيين، لتقي الدين أحمد بن تيمية الحراني ، ص٥١٩ ، تحقيق: عبد الصمد الكتبي ، راجعه محمد طلحة بلال ، مؤسسة الريان ، بيروت ، ط: ١ ، ١٤٢٦ هـ .

والذين يقولون: إنه يمكن الاطلاع على اللوح والعلم بما فيه يرد عليهم من وجوه كثيرة منها:

١-ليس عندهم دليل على ذلك، وإنما هي مجرد دعوى ، والادعاء بأن أحداً يعلم الغيب غير الله ﷻ شركٌ أكبرٌ في الربوبية .

٢-وجميع النصوص من الكتاب والسنة الدالة على اختصاص الله بعلم الغيب هي ردّ عليهم، والنصوص الواردة في قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هي من أكبر الأدلة على أنه لا أحد يطلع على اللوح ويعلم ما فيه إلا الله ، وذلك لأن الوقائع والأحداث التي جرت لهم تدل على ذلك.

فهذا نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام لم يدرِ أن ابنه الذي غرق ليس من أهله الموعود بنجاتهم ، ولو كان له اطلاعٌ على اللوح المحفوظ لعلم ذلك.

فإذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهم أفضل الخلق لا يطلعون على اللوح فلا شك أن غيرهم من باب أولى.[1]

٣-وأهل العلم قد نصوا على أن اللوح المحفوظ لا يطلع عليه إلا الله، وأن القول بأن أحداً من العارفين يطلع على اللوح هو قول باطل، ومن كبار هؤلاء العلماء الذين بينوا ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ، وكلامه واضحٌ وصريحٌ في ذلك، بل له كلامٌ قويٌ في الرد على قول من قال: إنه يمكن الاطلاع على اللوح المحفوظ ، وليس هذا فحسب ، بل إنه تحدث عن جوانب أخرى فيما يتعلق بهذا الموضوع ، فقد ذكر أصل هذا القول ، وأصناف الصوفية في علمهم بأصل هذا المقالة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمة " وإذا أرادوا أن يجمعوا بين الشريعة والفلسفة - أي ابن سينا وأمثاله- قالوا: إن النفس الفلكية هي اللوح المحفوظ ،كما يوجد مثل ذلك في كلام أبي حامد في

---

[1] انظر المباحث العقدية المتعلقة باللوح المحفوظ ص١٩٥ وما بعدها .

كتاب الإحياء و المضنون وغير ذلك من كتبه ،كما يوجد في كلام من سلك سبيله من الشيوخ المتفلسفة المتصوفة يذكرون اللوح المحفوظ، ومرادهم به النفس الفلكية ويدعون أن العارف قد يقرأ ما في اللوح المحفوظ ويعلم ما فيه ومن علم دين الإسلام الذي بعث الله به رسله، علم أن هذا من أبعد الأمور عن دين الإسلام" .[١]

ومما يدخل في باب القدر مسألة رد القضاء بالدعاء يقول الدهلوي في ذلك :" قوله ﷺ : ((لا يرد القضاء إلا الدعاء))[٢]، أقول: القضاء ههنا الصورة المخلوقة في عالم المثال [٣] التي هي سبب وجود الحادثة في الكون وهو بمنزلة سائر المخلوقات يقبل المحو والإثبات ".[٤]

ذكر الدهلوي مسألة رد القضاء بالدعاء وجعل القضاء صورة مخلوقة في عالم المثال وهذا تأويل باطل لا دليل عليه .

والقضاء كما قال ﷺ يُرد بالدعاء .

وقد تواترت الآيات والأحاديث في الحث على الدعاء ، والتحذير من تركه .[٥]

قال تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ۝٦٠﴾ [غافر: ٦٠].

وقال ﷺ : ((الدعاء هو العبادة)) [١]

---

[١] درء تعارض العقل والنقل ٣٩٨/٩.

[٢] أخرجه الترمذي من حديث سلمان الفارسي ،كتاب القدر ، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء ، ص ١٨٦٦ ،ح٢١٣٩ ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة حديث رقم ١٥٤ .

[٣] قوله بأن القضاء هو الصورة المخلوقة في عالم المثال تأويل غير صحيح لا دليل عليه .

[٤] حجة الله البالغة ١٣٢/٢.

[٥] انظر كتاب الدعاء للطبراني.

والذي يدل عليه الكتاب ، والسنة ، والفطرة ، والعقل ، والمشاهدة ، والحس ، أن الدعاء سبب من الأسباب ، وأن له تأثيراً في المطلوب المسؤول كسائر الأسباب المقدرة والمشروعة ، والقول بذلك مذهب أهل الملل كلهم سوى من شذ منهم . [٢]

فالدعاء سبب من الأسباب المقدرة التي ترفع البلاء عن العبد ، والذنوب سبب لجلب العذاب.

يقول العلامة ابن أبي العز :" الذي عليه أكثر الخلق من المسلمين وسائر أهل الملل وغيرهم أن الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار...

وذهب قوم من المتفلسفة ، وغالية المتصوفة إلى أن الدعاء لا فائدة فيه !

قالوا لأن المشيئة الإلهية إن اقتضت وجود المطلوب ، فلا حاجة إلى الدعاء ، وإن لم تقتضه ، فلا فائدة في الدعاء...

وجواب الشبهة : بمنع المقدمتين .

فإن قولهم عن المشيئة الإلهية إما أن تقتضيه أو لا ، ثم قسم ثالث ، وهو أن تقتضيه بشرط لا تقتضيه مع عدمه ، وقد يكون الدعاء من شرطه ...

وقولهم : " إن اقتضت المشيئة المطلوب فلا حاجة إلى الدعاء ، قلنا بل قد تكون إليه حاجة ، من تحصيل مصلحة أخرى عاجلة وآجلة ، ودفع مضرة أخرى عاجلة وآجلة .

وكذلك قولهم : وإن لم تقتضه فلا فائدة فيه ، قلنا بل فيه فوائد عظيمة من جلب منافع ، ودفع مضار ،كما نبه على النبي ﷺ ، بل ما يُعجل للعبد من معرفته بربه وإقراره به ، وبأنه سميع قريب

---

[١] سبق تخريجه.

[٢] انظر جامع الرسائل ، لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، ٨٧/١ ، تحقيق : د. محمد رشاد سالم ، دار العطاء ، الرياض ، ط: ١ ، ١٤٢٢هـ ، وانظر منهاج السنة النبوية ٣٦٢/٥ .

قدير عليم رحيم ، وإقراره بفقره إليه ، واضطراره إليه ، وما يتبع ذلك من العلوم العلية ، والأحوال الزكية ، التي هي من أعظم المطالب "[1].

[1] شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي٢/٦٨٠.

المطلب الثالث : خلق أفعال العباد:

يقول الدهلوي :" قوله ﷺ : ((إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن))[١]**، وقوله ﷺ : ((مثل القلب كريشة بأرض فلاة تقلبها الرياح ظهراً لبطن))** [٢] **، أقول: أفعال العباد اختيارية ، لكن لا اختيار لهم في ذلك الاختيار ، وإنما مثله كمثل رجل أراد أن يرمي حجراً، فلو أنه كان قادراً حكيماً خلق في الحجر اختيار الحركة أيضاً** ، ولا يرد عليه أن الأفعال إذا كانت مخلوقةً لله تعالى، وكذلك الاختيار ففيم الجزاء ؛ لأن معنى الجزاء يرجع إلى ترتب بعض أفعال الله تعالى على البعض، بمعنى أن الله تعالى خلق هذه الحالة في العبد ، فاقتضى ذلك في حكمته أن يخلق فيه حالةً أخرى من النعمة أو الألم كما أنه يخلق في الماء حرارة ، فيقتضي ذلك أن يكسوه صورة الهواء ، وإنما يشترط وجود الاختيار وكسب العبد في الجزاء بالعرض لا بالذات ، وذلك لأن النفس الناطقة لا تقبل لون الأعمال التي لا تستند إليها ، بل إلى غيرها من جهة الكسب ، ولا الأعمال التي لا تستند إلى اختيارها وقصدها، وليس في حكمة الله أن يجازى العبد بما لم تقبل نفسه الناطقة لونه ، فإذا كان الأمر على ذلك كفى هذا الاختيار غير المستقل في الشرطية إذا كان مُصَحِّحَاً لقبول لون العمل، وهذا الكسب غير المستقل إذا كان مصححاً لتخصيص هذا العبد بخلق الحالة المتأخرة فيه دون غيره ، وهذا تحقيق شريفٌ ، مفهومٌ من كلام الصحابة والتابعين فاحفظه."[٣]

---

[١] سبق تخريجه .

[٢] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ، من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ ، ٤٧٤/١ ، ح٧٣٨ ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط:١، ١٤١٠هـ ، وفيه عبد الرحمن بن منيب مجهول الحال ، وأخرجه ابن ماجه في سننه بنحوه من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ ، كتاب السنة ، باب في القدر ، ص٢٤٨٣، ح ٨٨ ، وقال عنه الألباني في مشكاة المصابيح حديث صحيح ، ح١٠٣.

[٣] انظر حجة الله البالغة ٣٨٠/١.

ذكر الدهلوي مسألة خلق أفعال العباد وقول القدرية فيها ثم قال بالكسب الذي قال به الأشاعرة ، ونسب قوله إلى الصحابة والتابعين وهذا خطأ بيِّن كما سوف أبينه في هذا المطلب.

يقول الدهلوي :" أقول: أفعال العباد اختيارية ، لكن لا اختيار لهم في ذلك الاختيار ، وإنما مثله كمثل رجل أراد أن يرمي حجراً، فلو أنه كان قادراً حكيماً خلق في الحجر اختيار الحركة أيضاً.."[١]

قال الدهلوي أفعال العباد اختيارية وقال لا اختيار لهم في ذلك الاختيار ثم ضرب مثال رمي الحجر ، ومحصل كلامه هنا القول بعدم اختيار العبد لأفعاله ، والقول بنظرية الكسب.

ويرد عليه بالتالي :

أولاً :- أفعال العباد قسمان : اضطرارية واختيارية .

فالاضطرارية : كحركات المرتعش ونحو ذلك ، وهذه لا خلاف بين الناس في كونها خارجة عن قدرة العبد .

والاختيارية : ما سوى ذلك ،[٢] وهي محل البحث ، وقد اختلف الناس فيها وتعددت مذاهبهم تجاهها ، **وحاصل الكلام عليها ما يلي :**

أفعال العباد الاختيارية لها متعلقان :

الأول : تعلقها بالله ﷻ من حيث خلقه لها وعدمه .

والثاني : تعلقها بالعباد من حيث قدرتهم عليها وعدمها .

---

[١] المصدر السابق.

[٢] انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٨/٤٠٥.

فأهل السنة والجماعة قالوا : بأن أفعال العباد كلها من طاعة ومعصية وخير وشر ، مخلوقة لله تعالى ، وأن العباد لهم قدرة على أفعالهم ، وهم فاعلون لها على الحقيقة ، وهي قائمة بهم ، ومنسوبة إليهم ، ومن ثم فإنهم يستحقون عليها المدح والذم والثواب والعقاب .

فجمعوا على قولهم بين المتعلقين ، وقالوا بكلا الجهتين ، لدلالة على نصوص الوحيين .

فمن الأدلة على خلق الله تعالى لأفعال العباد :

قوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]

ومن الأدلة على قدرة العباد على أفعالهم ونسبتها لهم حقيقة قوله تعالى : ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَـٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَـٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَـٰمِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣]

وجمع الله ﷻ بين الأمرين ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠][1] .

وقد خالف أهل السنة في ذلك عامة الطوائف والفرق :

فالجهمية الجبرية ، ومن وافقهم ، قالوا بالمتعلق الأول دون الثاني ، فأثبتوا خلق الله لأفعال العباد ونفوا قدرة العباد عليها ، وسووا بين أفعالهم الاختيارية والاضطرارية .[2]

والمعتزلة القدرية، ومن وافقهم ، قالوا بالمتعلق الثاني دون الأول ، فنفوا خلق الله لأفعال العباد ، وقالوا بأن العباد هم الذين خلقوا أفعالهم ، وأثبتوا قدرة العباد المطلقة على أفعالهم[3]

---

[1] انظر خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل ، ص٢٥-٤٦ ، وانظر عقيدة السلف وأصحاب الحديث ، لاسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني ، ص ٧٨ ، دار طويق ، الرياض ، ط:١، ١٤٢٤هـ ، ومجموع الفتاوى ٣/٣٧٣-٣٧٤ وشرح الطحاوية ١/٣٢١ ، ٢/٦٤٠.

[2] انظر مقالات الإسلاميين ١/ ٣٨ ، الفرق بين الفرق ، لعبد القاهر البغدادي التميمي الأسفراييني ، ص٢١١، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط:٢، ١٩٧٧م.

[3] انظر شرح الأصول الخمسة ص ٣٣٦ وما بعدها .

ورامت الأشعرية التوسط بين الجبرية والقدرية ، فأحدثت نظرية الكسب ، وحارت أفهامهم في تصورها ، واضطربت أقوالهم في التعبير عنها [1]

وحاصلها أن الكسب هو الاقتران العادي بين قدرة العبد الحادثة وفعله الواقع بقدرة الله وحدها [2].

وبناء على ذلك قالوا : إن أفعال العباد خلق الله وكسب للعباد ، وليس لقدرة العبد المخلوقة فيه أثر في فعله ، ولكن الفعل يحدث عندها لا بها .[3]

ومن الردود التي يرد بها على مسألة الكسب :

١- أن النصوص الشرعية قد دلت على خلق الله تعالى لأفعال العباد ، وإثبات القدرة لهم عليها ، ونسبتها لهم حقيقة ، واستحقاقهم المدح ، والذم ، والثواب ، والعقاب ، وفقاً لها ،وقد تقدم ذكر بعضها .

٢- أن القول بالكسب بهذا المعنى ، قولٌ حادثٌ بعد انقضاء القرون الثلاثة المفضلة ، فلم يعرف القول به إلا في زمن الأشعري .

٣- أن القول بالكسب بهذا المعنى قول متناقض ؛ إذا القائل به لا يستطيع أن يوجد فرقاً بين الفعل الذي نفاه عن العبد ، والكسب الذي أثبته له ، ولهذا فإن حقيقته القول بالجبر . [4]

٤- أن القول بالكسب بهذا المعنى قول غير معقول ؛ إذ لا حقيقة له ولا حاصل تحته ، ولهذا شنع أعداء الأشاعرة به عليهم ، وعده بعض الأشاعرة عقدة تورط فيها أصحاب الأشعري.[1]

---

[1] انظر أصول الدين ،لأبي منصور عبد القاهر البغدادي ، ص١٣٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط: ٣ ، ١٤٠١هـ.

[2] انظر شفاء العليل ص ١٢٢ وما بعدها.

[3] انظر أصول الدين للبغدادي ص١٣٣ .

[4] انظرمجموع الفتاوى ٤٠٣/٨-٤٠٧ ، ١١٩ ، ٣٧٨ .

٥- أن كبار أعلام الأشاعرة اضطربت أقوالهم في الكسب ، وذهب كل منهم إلى رأي ، ومنهم من صرح بحقيقة المذهب وهو الجبر ، ومنهم من اقترب إلى القول بمذهب أهل السنة والجماعة في ذلك ، ومنهم من سعى إلى النهوض بالمذهب الأشعري من عثرته ، وتوجيه قول إمامه ، بما لا يوافقه عليه أصحابه الأشاعرة فضلاً عن غيرهم..."[2].

[1] شفاء العليل ١٢٢/١.

[2] انظر مجموع الفتاوى ١٢٨/٨-١٢٩.

المطلب الرابع : التحسين والتقبيح .

يقول الدهلوي :"وأنه ليس الأمر على ما ظن من أن حسن الأعمال وقبحها بمعنى استحقاق العامل الثواب والعذاب عقليان من كل وجه ."[1]

عرض الدهلوي قوله بشأن التحسين والتقبيح، ووافق في قوله أهل السنة بأن جعل التحسين والتقبيح ليسا عقليين من كل وجه بل لهما وجهان وجه عقلي ووجه شرعي ، وسأذكر في هذا المبحث تعريف التحسين والتقبيح ، وقول أهل السنة والجماعة اتباع السلف الصالح فيهما .

التحسين والتقبيح :هو الحكم على الشيء بكونه حسناً أو قبيحاً ، والحسن والقبح ضدان.[2]

وقد اختلف فيهما ، هل هما عقليان أم شرعيان ، وهل يثبتان للأفعال ثبوت الصفات الذاتية أو الإضافية ؟

توسط أهل السنة والجماعة في ذلك وقالوا بأن التحسين والتقبيح شرعيان وعقليان ، والأفعال من حيث هي ، قد يدرك العقل حسنها وقبحها قبل ورود الشرع وقد لايدرك ذلك ، إلا أن الثواب والعقاب في الجميع معلق على ورود الشرع " [3]

وذهب جمهور المعتزلة ، ومن وافقهم ، إلى أنهما عقليان لا شرعيان ، وزعموا أن الحسن والقبح صفتان ذاتيتان للأفعال ، والعقل يستقل بإدراكهما ، والشرع إنما هو كاشف ومبين لتلك الصفات فقط .

وقالوا إن الثواب والعقاب مترتبان على التحسين والتقبيح العقليين ، وإن لم يرد الشرع بذلك.[1]

---

[1] حجة الله البالغة ١/١٩.

[2] لسان العرب ٢/٥٥٢ ، ١٣/ ١١٧ .

[3] انظر مجموع الفتاوى ٨/٩٠-٩٣-٤٢٨-٤٣١ ، الرد على المنطقيين ص٤٢٠-٤٢٤ .

وذهب جمهور الأشاعرة ومن وافقهم إلى أن التحسين والتقبيح شرعيان لا عقليان ، وزعموا أن الحسن والقبح صفتان إضافيتان في الأفعال ، لا تدرك بالعقل وإنما بالشرع ، وعليه فلا يحكم بهما إلا بعد وروده .

وقالوا : إن الثواب والعقاب مترتبان على التحسين والتقبيح الشرعيين ولا عبرة فيهما بتحسين العقل وتقبيحه . [2]

ويدفع قولهم هذا الأدلةُ الصريحةُ الدالة على أن الأفعال في نفسها حسنة وقبيحة ، ولا يترتب عليها ثواب ولا عقاب إلا بالأمر والنهي .

يقول ابن القيم مجيباً على الفريقين :"والحق الذي لا يجد التناقض إليه السبيل أنه لا تلازم بينهما، وأن الأفعال في نفسها حسنة وقبيحة ، كما أنها نافعة وضارة ، والفرق بينهما كالفرق بين المطعومات ، والمشمومات ، والمرئيات، ولكن لا يترتب عليهما ثواب ولا عقاب إلا بالأمر والنهي، وقبل ورود الأمر والنهي لا يكون قبيحاً موجباً للعقاب مع قبحه في نفسه ، بل هو في غاية القبح ، والله لا يعاقب عليه إلا بعد إرسال الرسل ، فالسجود للشيطان والأوثان ، والكذب والزنا ، والظلم والفواحش ، كلها قبيحة في ذاتها ، والعقاب عليها مشروط بالشرع.

وقد دل القرآن أنه لا تلازم بين الأمرين، وأنه لا يعاقب إلا بإرسال الرسل ، وأن الفعل نفسه حسن وقبيح ، ونحن نبين دلالته على الأمرين.

---

[1] شرح الأصول الخمسة ،ص ٦٣٨ .

[2] انظر نهاية الإقدام ص٣٧٠ ، الإرشاد ٢٢٨ .

أما الأول : ففي قوله تعالى: ﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾ [الإسراء: ١٥] ، وفي قوله تعالى: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾ [النساء: ١٦٥]

وفي قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ۝٩﴾ [الملك: ٨-٩] لم يسألوهم عن مخالفتهم للعقل، بل للنذر، وبذلك دخلوا النار،...

وأما الأصل الثاني وهو دلالته على أن الفعل في نفسه حسن وقبيح فكثير جداً ، كقوله تعالى : ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٨] أي لا يأمر بما هو فاحشة في العقول والفطر ، ولو كان إنما علم كونه فاحشة بالنهي وأنه لامعنى لكونه فاحشة إلا تعلق النهي به ، لصار معنى الكلام : إن الله لا يأمر بما ينهى عنه ، وهذا يصان عن التكلم به آحاد العقلاء فضلاً عن كلام العزيز الحكيم...

ثم قال : ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٢] ، دل على أنه طيب قبل التحريم ، وأن وصف الطيب فيه مانع من تحريمه مناف للحكمة ." [١]

[١] مدارج السالكين ١/٢٣١-٢٣٤.

المطلب الخامس :- الأسباب .

يقول الدهلوي :" وهذه أصول يخرج عليها جملة عظيمة من أحاديث النبي ﷺ ، ونذكر ههنا معظمها: منها أن الله تعالى إذا أجرى سنته على نحو بأن رتب الأسباب مفضية إلى مسبباتها ، لتنظم المصلحة المقصودة بحكمته البالغة ورحمته التامة.."[1].

ويقول :"والعين حق أي تأثيرها ثابت .."[2].

ويقول :"التوحيد وله ثلاث مراتب: إحداها توحيد العبادة ، فلا يعبد الطواغيت ، ويكره عبادتها كما يكره أن يقذف في النار ، والثانية ألا يرى الحول والقوة إلا لله ويرى أن لا مؤثر في العالم إلا القدرة الوجوبية بلا واسطة ، **ويرى الأسباب عادية إنما تنسب المسببات إليها مجازاً ".**[3]

ويقول :" أصل المقامات والأحوال المتعلقة بالعقل هو اليقين وينشعب من اليقين :... التوكل، وهو أن يغلب عليه اليقين حتى يفتر سعيه في جلب المنافع ودفع المضار من قبل الأسباب ، ولكن يمشي في ما سنه الله تعالى على عباده من الأكساب من غير اعتماد عليها، قال ﷺ : ((**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون**))[4].

أقول إنما وصفهم النبي ﷺ بهذا ؛ إعلاماً بأن أثر التوكل ترك الأسباب التي نهى الشرع عنها لا ترك الأسباب التي سنها الله تعالى بعباده ، وإنما دخلوا الجنة من غير حساب ؛ لأنه لما استقر

---

[1] حجة الله البالغة ٢٤٤/١.

[2] حجة الله البالغة ٣١٧/١.

[3] حجة الله البالغة ١٦٤/٢.

[4] أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ،كتاب الرقاق ، باب قوله تعالى:﴿...وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ...③﴾ [الطلاق: ٣] ، ص ٥٤٣ ، ح ٦٤٧٢.

في نفوسهم معنى التوكل أورث ذلك معنى ينفض عنها سببية الأعمال العاضة عليها من حيث إنهم أيقنوا بأن لا مؤثر في الوجود إلا القدرة الوجوبية " . [1]

ويقول :" **واعلم أن القدر لا يزاحم سببية الأسباب لمسبباتها**،...وهو قوله ﷺ في الرقى والدواء والتقاة هل ترد شيئا من قدر الله؟ قال: ((هي من قدر الله)) .[3][2]

ذكر الدهلوي الأسباب وجعلها تنسب إلى مسبباتها مجازاً ووافق في قوله هذا الأشاعرة ، وسأذكر في هذا المبحث السبب وتعريفه وأقسامه وقول أهل السنة فيه.

أولاً : تعريف السبب :-

السبب في اللغة :

السبب كل شيء يتوصل به إلى غيره ، والجمع أسباب وكل شيء يتوصل به إلى الشيء فهو سبب ، مثل الحبل فهو سبب يتوصل به إلى غيره ، والجمع أسباب .[4]

أما من ناحية الاصطلاح العقدي فإن أهل السنة والجماعة لم ينصوا على تعريف عند حديثهم عن مسألة الأسباب والمسببات ؛ وذلك لأن التعريف اللغوي يكاد يكون مطابقاً لما يعتقدونه

---

[1] انظر المصدر السابق ٢/١٦١-١٦٣ .

[2] أخرجه الترمذي من رواية أبي خزامة بعمر السعدي ﷺ ،كتاب الطب ، باب ما جاء في الرقى والأدوية ،ص١٨٥٨ ،ح٢٠٥٦ ، وقال عنه الترمذي حديث حسن صحيح ، وضعفه الألباني في الروضة الندية (ومعها: التعليقاتُ الرَّضية على الرَّوضة النّديَّة ،لأبي الطيب محمد صديق خان الحسيني البخاري القِنَّوجي، تعليق الشيخ: محمد ناصر الألباني ، ١٥٢/٢ تحقيق : علي بن حسَن الحَلبيُّ الأثريّ ، دار ابن القيم للنشر والتوزيع ، الرياض ، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، القاهرة ، ط: ١ ، ١٤٢٣ هـ.

[3] المصدر السابق ١٥٦/١.

[4] انظر لسان العرب ٤٥٨/١.

فيها. ولا يتنافى هذا مع ما يذكره بعض من كتب في أصول الفقه من أهل السنة من تعريف للأسباب؛ لأن هذا تعريف اصطلاحي خاص بعلم الفقه.[١]

ثانياً: أنواع الأسباب:

إن عدم التمييز بين أنواع الأسباب يوقع في خلط كبير ، وذلك مثل عدم التفريق بين الأسباب الحقيقية والأسباب الوهمية ، مما أدى إلى تعلق بعض الناس بالأسباب الوهمية ، وذلك مما يقدح في توحيد العبد.

أو عدم التفريق بين كون الشيء سبباً وبين كونه مباحاً ، فيظن الإنسان أن كل ما جعله سبباً مؤثراً فهو مباح ، وهذا ظن فاسد ، يفضي بصاحبه إلى تعاطي الأسباب المحرمة ، وهذا كله ناتج عن الخلط بين أنواع الأسباب ، لهذا فإن الحديث عن أنواع الأسباب أمر مهم في هذه المسألة.

إن أنواع الأسباب لها عدة تقسيمات ، كل منها له اعتباره الخاص ، وبيان ذلك كما يلي:

١-الأسباب منها حقيقي ومنها وهمي:

أما الأسباب الحقيقية فهي التي ثبت بالدليل تأثيرها في مسبباتها، والأسباب الوهمية هي التي لم يثبت تأثيرها بدليل معتبر" فهذه الأسباب لم تثبت بالكتاب ولا بالسنة ولا بأقوال العلماء في تأثيرها وإنتاج مسبباتها، بل هي من وهم الإنسان"[٢].

ومن أمثلة الأسباب الوهمية: الكهانة، والتطير، والاستشفاء بآثار الصالحين وقبورهم.

---

[١] موقف أهل السنة والجماعة من الأسباب وآراء المخالفين، ليلى نوري المغامسي الحربي ، ١/٢٣-٢٤ ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤١٨ هـ .

١ المصدر السابق ١/٣٠٧.

ومن الأحاديث التي وردت في التحذير من التعلق بالأسباب الوهمية ما رواه مسلم: أن معاوية بن الحكم قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله أموراً كنا نصنعها في الجاهلية كنا نأتي الكهان قال : ((فلا تأتوا الكهان قال قلت كنا نتطير قال ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم)).[1]

فأخبر أن تأذيه وتشاؤمه بالطيرة إنما هو في نفسه وعقيدته، لا في المتطير به ؛ فوهمه وخوفه وإشراكه هو الذي يطيره ويصده، لا ما رآه وسمعه .

فالطيرة سبب وهمي، وليس لها تأثير حقيقي ، ثم قال:" فأوضح - ﷺ - لأمته الأمر، وبين لهم فساد الطيرة ليعلموا أن الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة، ولا فيها دلالة، ولا نصبها سبباً لما يخافونه ويحذرونه"[2].

وبهذا يتبين أن الأسباب باعتبار تأثيرها وعدمه نوعان: أسباب حقيقية ، وأسباب وهمية[3].

٢-الأسباب منها شرعي ومنها كوني:

تتنوع الأسباب إلى أسباب شرعية، وأسباب كونية ، فمثال الأسباب الشرعية الإضلال والهداية بالقرآن، قال تعالى :﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ۝١٦﴾ [المائدة: ١٦].

ومثال الأسباب الكونية: إنزال الماء بالسحاب، وإنبات الزرع بالماء، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ

---

[1] أخرجه مسلم ،كتاب المساجد ، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان في إباحته ، ص٧٦١،ح ٥٣٧ .

[2] فتح المجيد ص٣٠٨ .

[3] المصدر السابق ، وانظر: القول المفيد، محمد بن صالح العثيمين ص١٦٨ .

ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴿٥٧﴾ [الأعراف: ٥٧] ، فالباء في الآية للسببية .[١]

٣-الأسباب منها مباح ومنها محرم:

تنقسم الأسباب من حيث حكمها إلى أسباب مباحة وأسباب محرمة ، فالأسباب المباحة هي ما أذن الشرع بها، كالتداوي بالأدوية المباحة التي ثبت نفعها في أمراض مخصوصة ، وأما الأسباب المحرمة فهي ما دل الشرع على منع تعاطيها، وإن كانت مؤثرة ، وذلك مثل السحر.[٢]

عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسباب :

أولاً : الأخذ بالأسباب الشرعية والمباحة :

إن تعاطي الناس مع الأسباب مختلف بحسب ما يعتقدونه فيها ، لذلك من المهم أن يذكر ما يعتقده أهل السنة والجماعة في الأسباب قبل ذكر النصوص المتضمنة الحث على فعل الأسباب.

لقد بين أهل العلم الاعتقاد الصحيح في هذه المسألة ، ومن ذلك ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان معتقد أهل السنة في الأسباب فيقول:" وأما أهل الهدى والفلاح...فيؤمنون بأن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو على كل شيء قدير، أحاط بكل شيء علماً، وكل شيء أحصاه في كتاب مبين...ومع هذا لا ينكرون ما خلقه الله من الأسباب، التي يخلق بها المسببات ، كما قال تعالى:﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۖ

---

[١] انظر موقف أهل السنة والجماعة من الأسباب وآراء المخالفين ٣٠٦/١.

[٢] انظر وقفات مع الفكر العقدي الوافد، د. فوز بنت عبد اللطيف كردي ص٣٥.

حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴿٥٧﴾ [الأعراف: ٥٧] ، فأخبر أنه يفعل بالأسباب".[1]

فبين أن أهل السنة الذين هم أهل الهدى والفلاح يؤمنون بالقدر بجميع مراتبه، ومع ذلك يؤمنون بالأسباب ، وأن الله يفعل بها ، فلا تنافي بين الإيمان بالقدر وإثبات الأسباب، بل إن الأسباب من القدر.

ومع إثبات أهل السنة لتأثير السبب في مسببه ، إلا أنهم يعتقدون أنه لا يؤثر في مسببه بذاته استقلالاً ، بل لابد له من أسباب أخرى تعاونه ، وموانع تُزال عنه ، حتى يحصل مسببه ، ويعتقدون أن ذلك كله بخلق الله ، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية شارحاً هذا المعنى:"إن تأثيرها (يعني قدرة العبد) في مقدورها كتأثير سائر الأسباب في مسبباتها ، والسبب ليس مستقلاً بالمسبب ، بل يفتقر إلى ما يعاونه...وأيضاً فالسبب له ما يمنعه ويعوقه...والله تعالى خالق السبب وما يعينه، وصارف عنه ما يعارضه ويعوقه"[2].

إذن فإن الأسباب عند أهل السنة والجماعة تؤثر في مسبباتها لا بذاتها ، وإنما بمشيئة الله وخلقه، وتيسيره لما يعاونها، وصرفه لما يعارضها.

وإذا علم العبد أن الله سبحانه ربط النتائج بأسبابها بحكمته ، وجب عليه بعد هذا العلم أن يعمل في تعاطي ما يشرع من أسباب الخير والصلاح ، واتقاء ما يضر من أسباب الشر والفساد ، وهذا ما أمرت به نصوص الكتاب والسنة.

---

[1] انظر الرسالة التدمرية – تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع – ، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ، تحقيق: محمد بن عودة السعوي ، ص٢٠٩-٢١٠ ، مكتبة العبيكان ،الرياض ، ط: ٦ ،١٤٢١هـ .

[2] انظر منهاج السنة ١١٤/٣-١١٥.

ومن الآيات القرآنية التي أمرت بفعل الأسباب الشرعية قوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ۝٢٩﴾ [الأنفال: ٢٩]

فحصول الفرقان، وتكفير السيئات، والمغفرة للعبد ، كل هذه المقاصد الجليلة جعلت نتائج ومسببات لسبب شرعي عظيم ، وهو تحقيق التقوى.

ومن الآيات القرآنية التي أمرت بفعل الأسباب الكونية الأمر بالأكل والشرب في قوله تعالى :﴿... وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ۝٣١﴾ [الأعراف: ٣١]

فهذه الآية قد أمرت بإعداد القوة المادية لجهاد الأعداء ، وهذا من الأسباب الكونية.

ومن الأحاديث النبوية التي أمرت بفعل الأسباب الشرعية ما ثبت من حديث علي ابن أبي طالب ﷺ قال: كان مع النبي ﷺ في بقيع الغرقد مع جنازة ، فقال ﷺ : ((ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار.

فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل ، قال: اعملوا فكل ميسر ، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ۝٦﴾ [الليل: ٥-٦] إلى قوله ﴿لِلۡعُسۡرَىٰ۝١٠﴾))[١]

ومن الأحاديث النبوية الدالة على مشروعية فعل الأسباب الكونية حديث أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام))[٢] .

---

[١] أخرجه البخاري من حديث علي ﷺ ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ۝١٠﴾ [الليل: ١٠] ، ص ٤٢٨، ح٤٩٤٩.

[٢] أخرجه أبو داود من حديث أبي الدرداءﷺ ، كتاب الطب ، باب في الأدوية المكروهة ، ص١٥٠٧ ، ح٣٨٧٤ ، وقال عنه الألباني صحيح فتداووا ولا تتداووا بالحرام ، (المشكاة ح٤٥٣٨).

وبهذا يتبين أن النصوص الشرعية قد دلت على مشروعية فعل الأسباب الشرعية والكونية.[١]

وبناء على ما سبق ، فقد كان العلماء يأمرون بتعاطي الأسباب النافعة ، واتقاء الأسباب الضارة ، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن[٢] : " والعبد مأمور باتقاء أسباب الشر إذا كان في عافية ، فكما أنه يؤمر ألا يلقي نفسه في الماء والنار ، مما جرت العادة أنه يهلك أو يضر ، فكذلك اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم، والقدوم على بلد الطاعون ، فإن هذه كلها أسباب للمرض والتلف".[٣]

وكان العلماء يشددون النكير على من عطل الأسباب ، ويبينون أن ذلك طعن في حكمة الله ، حتى ولو احتج فاعل ذلك بالاعتماد على الله والتوكل عليه ، يقول الشيخ محمد ابن عثيمين : " من جعل اعتماده على الله ملغياً للأسباب ، فقد طعن في حكمة الله ؛ لأن الله جعل لكل شيء سبباً ، فمن اعتمد على الله اعتماداً مجرداً ، كان قادحاً في حكمة الله ؛ لأن الله حكيم يربط الأسباب بمسبباتها ".[٤]

وإبطال الاحتجاج بالتوكل على ترك الأسباب يستنتج منه ، أن فعل الأسباب لا يتنافى مع التوكل، بل لا يقدح فيه، ولا ينقصه ، بل لا يصح التوكل ولا يتم إلا بفعلها ، وفي هذه المسألة

---

[١] انظر موقف أهل السنة والجماعة من الأسباب ١/٧١-١٠٥.

[٢] (١١٩٣ - ١٢٨٥ هـ)عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ، وهو حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولد في الدرعية ، وتفقه بنجد ثم بمصر ، وكان قد نقله إليها إبراهيم (باشا) بعد استيلائه على الدرعية اشتهر في أيام الإمام تركي بن عبد الله توفي وقد قارب المئة ، له كتب ، منها الإيمان والرد على أهل البدع و فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد انظر الأعلام للزركلي ٣/٣٠٤.

[٣] فتح المجيد ص٣٠٧.

[٤] القول المفيد ص٤٢٥.

يقول ابن القيم :" وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب، فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها، وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد". [1]

وفي نفس المعنى يقول ابن أبي العز الحنفي راداً على من يظن أن فعل الأسباب يعارض التوكل:" وقد ظن بعض الناس أن التوكل ينافي الاكتساب وتعاطي الأسباب ، وهذا فاسد...وقد كان النبي ﷺ أفضل المتوكلين يلبس لأمة الحرب، ويمشي في الأسواق للاكتساب". [2]

بل لا يقتصر الأمر على عدم التنافي بين التوكل وفعل الأسباب ، بل إن التوكل من الأسباب التي يحصل بها المقصود ، يؤكد ذلك كلام الشيخ عبد الرحمن بن حسن حين قال:" وفيه (باب التوكل) تنبيه على القيام بالأسباب مع التوكل ؛ لأنه تعالى ذكر التقوى، ثم ذكر التوكل ، كما قال تعالى:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴿١١﴾﴾ [المائدة: ١١].

فجعل التوكل مع التقوى، الذي هو قيام بالأسباب المأمور بها ؛ فالتوكل بدون القيام بالأسباب المأمور بها عجز محض، وإن كان مشوباً بنوع من التوكل ، فلا ينبغي للعبد أن يجعل توكله عجزاً ، ولا عجزه توكلاً ، بل يجعل توكله من جملة الأسباب التي لا يتم المقصود إلا بها".[3]

ومع هذا فإن الله–سبحانه– قد يقدر حصول شيء بغير أسباب ظاهرة ، أو امتناع شيء مع اجتماع أسبابه وانتفاء موانعه في الظاهر ، وذلك لحكمة يعلمها تبارك وتعالى وهذا عند العلماء خرق لعادة الأسباب ، لأن الله ﷻ الفعال لما يريد، الذي قد انقادت الأسباب لقدرته، ونفذت فيها مشيئته وإرادته، فلا يتعاصى على قدرته شيء من الأسباب، ولو بلغت في القوة، ما بلغت.[4]

---

[1] مدارج السالكين ١١٦/٢.

[2] شرح العقيدة الطحاوية ٣٥١/٢–٣٥٢ .

[3] فتح المجيد ص٣٥٦.

[4] انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لعبد الرحمن السعدي ، ص٩٦٦.

مذهب الأشاعرة في الأسباب والرد عليه:

تعد الأشاعرة من الفرق التي غلت في إثبات القدر حتى نفت الأسباب ، فهي غالية في باب القدر، جافية في باب الأسباب ، وقد وافق الدهلوي الأشاعرة في عقيدة الأسباب حيث يقول:"**التوحيد وله ثلاث مراتب**: إحداها توحيد العبادة ، فلا يعبد الطواغيت ، ويكره عبادتها كما يكره أن يقذف في النار ، والثانية ألا يرى الحول والقوة إلا لله ويرى أن لا مؤثر في العالم إلا القدرة الوجوبية بلا واسطة ، **ويرى الأسباب عادية إنما تنسب المسببات إليها مجازاً** ".[١]

ويرى الدهلوي كما ترى الأشاعرة أن علاقة السبب بمسببه ونتيجته مجرد علاقة اقتران ، حيث إنهم يزعمون أن المسبب يوجد عند وجود السبب لا بوجوده ، فالإحراق عندهم لا يحصل بالنار، وإنما يحصل عند النار.[٢]

وممن وافقهم ولخص اعتقادهم في الأسباب الجرجاني ، وذلك حين قال معرفاً السبب:" عبارة عما يكون طريقاً للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه"[٣].

وقد شرح شيخ الإسلام ابن تيمية مذهبهم في الأسباب، مبيناً أنه نظير قولهم في القدر وأفعال العباد، وذلك حين قال عنهم:" لا يثبتون في المخلوقات قوى ولا طبائع، ويقولون: إن الله يفعل عندها لا بها، ويقولون: إن قدرة العبد لا تأثير لها في الفعل...وإن عمل العبد ليس فعلاً للعبد بل كسب له، وإنما هو فعل الله فقط"[٤].

---

[١] حجة الله البالغة ١٦٤/٢.

[٢] انظر مجموع الفتاوى ١٣٧/٨.

[٣] التعريفات ١٥٤.

[٤] منهاج السنة ١٣/٣.

وقول الأشاعرة هذا لا يمكن تصوره ، حتى قال ابن تيمية:" قال بعض الفضلاء: تكلم قوم من الناس في إبطال الأسباب والقوى والطبائع فأضحكوا العقلاء على عقولهم"[1].

وقال:"وهؤلاء خالفوا الكتاب والسنة وإجماع السلف مع مخالفة صريح العقل والحس...والناس يعلمون بحسهم وعقلهم أن بعض الأشياء سبب لبعض ؛ كما يعلمون أن الشبع يحصل بالأكل لا بالعد ، ويحصل بأكل الطعام لا بأكل الحصى ، وأن الماء سبب لحياة النبات والحيوان كما قال تعالى:﴿... وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠] ، وأن الحيوان يروى بشرب الماء لا بالمشي..."[2].

ومن الأمور التي تدل على بطلان مذهبهم ، ما يترتب عليه من اللوازم الفاسدة ، ومن ذلك: أنه يلزم على قولهم أن يكون الله متصفاً بمفعولاته ، وهذا لازم في غاية البطلان والفساد ، حيث يلزم منه تنقص رب العالمين وسبه –تبارك وتقدس– ومن اللوازم الباطلة أيضاً على هذا المذهب: عدم التمييز بين العاجز والقادر في الحكم الشرعي، فإن قيل :إنهم يثبتون قدرة تقترن بالكسب ، قيل لهم: لا يوجد فرق معقول بين ما تثبتونه من الكسب وما تنفونه من الفعل[3].

و تعد الصوفية كذلك من الفرق المائلة إلى جانب التفريط في باب الأسباب ، حيث إنهم يرون أن فعل الأسباب يتنافى مع التوكل ، ويقدح في إيمان العبد بالقدر ، ويذكرون أحياناً شبهة في تركهم للأسباب وهي :

أن الأمر إن كان مقدراً وقع ولو ترك العبد الأسباب وإن لم يكن كذلك لم تنفع الأسباب مهما قويت هذا الاعتقاد الغالب عليهم في مسألة الأسباب ولكن هم في الجملة لا ينكرون علاقه

[1] مجموع الفتاوى ١٣٧/٨ .

[2] انظر المصدر السابق ٢٨٨/٩ .

[3] انظر: منهاج السنة ١١٢/٣-١١٣.

الاسباب بمسبباتها ولكنهم يعتقدون ان العبد كلما قوي ايمانه وصح توكله يستغني عن الأسباب حتى إنهم يزعمون أنه ربما بلغ بعض الناس مرتبة لا يحتاج معها الى سبب.

وأما غلاتهم الاتحادية فيزعمون أن السبب والمسبب شيء واحد و هو الله تعالى الله عما يقوله الظالمون علوا كبيراً .[1]

وقد ترتب على اعتقادهم هذا أن ترك كثير منهم التكسب والعمل لطلب الرزق بالطرق المشروعة فوقعوا في أمور مذمومة شرعاً من سؤال الناس ونحو ذلك يقول ابن ابي العز : "ولهذا تجد كثيرا ممن يرى أن الاكتساب ينافي التوكل يرزقون على يد من يعطيهم إما صدقة وأما هدية وقد يكون ذلك من مكاس أو والي شرطة أو نحو ذلك "[2].

أما شبهتهم في ذلك هي أن الأمر أن كان مقدراً فلا حاجة إلى السبب وإن لم يكن فلا يغني السبب فقد ذكرها ابن تيمية ونقدها وذلك حيث يقول : "من أبطل الأسباب المشروعة في أمر الله كالذين يظنون أن ما يحصل بالدعاء والأعمال الصالحة وغير ذلك من الخيرات إن كان مقدراً حصل بدون ذلك وإن لم يكن مقدراً لم يحصل ذلك ، وهؤلاء الذين قالوا للنبي ﷺ أفلا ندع العمل و نتكل على الكتاب فقال ((لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له)) "[3] "[4]

---

[1] انظر موقف أهل السنة والجماعة من الأسباب ٢/٥١٠ – ٥٢٣

[2] شرح العقيدة الطحاوية ٢ /٤١٢

[3] أخرجه البخاري من حديث علي ﷺ ، كتاب القدر ، باب: الله أعلم بما كانوا عاملين ، ص٥٥٢ ، ح٦٦٠٥ ، عن علي ﷺ قال كنا جلوسا مع النبي ﷺ ومعه عود ينكت في الأرض وقال ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة ، فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله قال: ((لا اعملوا فكل ميسر ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ [الليل: ٥])).

[4] مجموع الفتاوى ٨/١٣٨.

الفصل الثالث : المسائل العقدية المتعلقة بقواعد الأسماء والأحكام

المبحث الأول: مسمى الإيمان وحكم الاستثناء فيه .

المبحث الثاني : حكم مرتكب الكبيرة .

المبحث الأول: مسمى الإيمان وحكم الاستثناء فيه :

أولاً : مسألة مسمى الإيمان :

يقول الدهلوي : " اعلم أن النبي ﷺ لما كان مبعوثاً إلى الخلق بعثاً عاماً ، ليغلب دينه على الأديان كلها بعز عزيز، أو ذل ذليل ، حصل في دينه أنواع من الناس ، فوجب التمييز بين الذين يدينون بدين الإسلام ، وبين غيرهم ، ثم بين الذين اهتدوا بالهداية التي بعث بها ، وبين غيرهم ممن لم تدخل بشاشة الإيمان قلوبهم ، فجعل الإيمان على ضربين:

أحدهما الإيمان الذي يدور عليه أحكام الدنيا من عصمة الدماء ، والأموال ، وضبطه بأمور ظاهرة في الانقياد ، وهو قوله ﷺ : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله))[1][2]،...

وثانيهما : الإيمان الذي يدور عليه أحكام الآخرة من النجاة والفوز بالدرجات، وهو متناول لكل اعتقاد حق، وعمل مرضي، وملكة فاضلة، وهو يزيد وينقص، وسنة الشارع أن يسمى كل شيء منها إيماناً ؛ ليكون تنبيهاً بليغاً على جزئيته، وهو قوله ﷺ : ((لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له))[3] ، وقوله ﷺ : ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده))[4]، وله شعب كثيرة ، ومثله كمثل الشجرة يقال للدوحة والأغصان والأوراق والثمار والأزهار جميعا: إنها

---

[1] أخرجه البخاري من رواية عمر بن الخطاب ، كتاب الإيمان ، باب قول الله تعالى : ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ٤٥] ،ص٤ ،ح ٢٥ .

[2] حجة الله البالغة ٣٦٩/١.

[3] أخرجه أحمد من حديث أنس بن مالك ، وقال محققوه حديث حسن ٣٧٦/١٩ .

[4] أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمرو ، كتاب الإيمان ، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ،ص٣ ،ح ٣.

شجرة، فإذا قطع أغصانها، وخبط أوراقها، وخرف ثمارها قيل: شجرة ناقصة، فإذا قلعت الدوحة بطل الأصل ، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ...﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢].

ولما لم يكن جميع تلك الأشياء على حد واحد جعلها النبي ﷺ على مرتبتين.

منها الأركان التي هي عمدة أجزائها وهو قوله ﷺ : ((بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان)).[1][2]

ومنها سائر الشعب وهو قوله ﷺ : ((الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)).[3]

ويسمى مقابل الإيمان الأول بالكفر، وأما مقابل الإيمان الثاني فإن كان تفويتا للتصديق، وإنما يكون الانقياد بغلبة السيف – فهو النفاق الأصلي، والمنافق بهذا المعنى لا فرق بينه وبين الكافر في الآخرة ، بل المنافقون – في الدرك الأسفل من النار...، وإن كان مصدقاً مفوتاً لوظيفة الجوارح سمي فاسقاً...، أو مفوتاً لوظيفة الجنان ، فهو المنافق بنفاق آخر ، وقد سماه بعض السلف نفاق العمل ، وذلك أن يغلب عليه حجاب الطبع ، أو الرسم ، أو سوء المعرفة ، فيكون ممعناً في محبة الدنيا ، والعشائر ، والأولاد ، فيدب في قلبه استبعاد المجازاة والاجتراء على المعاصي من حيث لا يدري ، وإن كان معترفاً بالنظر البرهاني بما ينبغي الاعتراف به ، أو رأى الشدائد في الإسلام ، فكرهه ، أو أحب الكفار بأعيانهم ، فصد ذلك من إعلاء كلمة الله– ﷻ–.

---

[1] المصدر السابق ٣٧٠.

[2] أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما ،كتاب الإيمان ، باب دعاؤكم إيمانكم ، ص٢،ح ٨.

[3] أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ ،كتاب الإيمان ، باب عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ، وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان ، ص٦٨٧،ح١٥٣.

وللإيمان معنيان آخران:

أحدهما تصديق الجنان بما لا بد من تصديقه ، وهو قوله ﷺ في جواب جبريل‌عليه السلام – لما سأله عن الإيمان –: ((أن تؤمن بالله وملائكته ....))[1].

والثاني:السكينة والهيئة الوجدانية التي تحصل للمقربين، وهو قوله ﷺ : ((الطهور شطر الإيمان))[2] ...

فللإيمان أربعة معانٍ مستعملة في الشرع ،إن حملت كل حديث من الأحاديث المتعارضة في الباب على محمله اندفعت عنك الشكوك والشبهات ، والإسلام أوضح من الإيمان في المعنى الأول ولذلك قال الله تعالى: ﴿۞قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا ...﴾ [الحجرات: ١٤]".[3]

ذكر الدهلوي في كلامه السابق تعريف الإيمان وأنه اعتقاد وعمل ، يزيد وينقص ، لكنه جعل الإيمان على قسمين :

الأول: الذي تجريه عليه أحكام الدنيا،من عصمة الدماء والأموال،وضابطه أنه متعلق بالأمور الظاهرة. – وهذا يسمى الإسلام في الشريعة –.

والثاني : الذي تدور عليه أحكام الآخرة ، من النجاة والفوز بالدرجات وهو متناول لكل اعتقاد وعمل مرضي وملكة فاضلة يزيد وينقص ، لكن عقبه بعد ذلك بقوله :"إن كان مفوتاً للتصديق فهو منافق "، فعلم أنه إذا صدق فليس بمنافق فهو مؤمن ، وقد يكون فاسقاً ،

---

[1] سبق تخريجه.

[2] أخرجه مسلم عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه ،كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء ، ص٧١٨ ، ح ٥٣٤.

[3] المصدر السابق ٣٧١.

،وهذا اثبات للإيمان بمجرد التصديق وهذا هو مذهب المرجئة ، **فخالف بذلك قوله في تعريف الإيمان حيث لم يجعل القول والعمل أصلين يزول الإيمان بزوالهما.**

وضرب على النفاق الأصغر الذي يسمى بنفاق العملي مثالاً لا يصح وهو قوله :" أو رأى الشدائد في الإسلام فكرهه ". وهذا كفر ونفاق أكبر وليس من النفاق العملي الأصغر قال الله ﷻ : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ۝٩﴾ [محمد: ٩].

وسأوضح في هذا الفصل الإيمان ، ومسماه ، وحكم الاستثناء فيه، وحكم مرتكب الكبيرة.

أولاً : الإيمان ومسماه :

تمهيد :

تعريف الإيمان لغة: مصدر آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن [١]، وأصل آمن أأمن بهمزتين لينت الثانية[٢]، وهو من الأمن ضد الخوف[٣].

قال الراغب[٤]: "أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف "[٥].

وقال شيخ الإسلام: "...–الإيمان – فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة، وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والإنقياد"[٦].

---

[١] تهذيب اللغة،لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي ، ١٥/ ٣٦٨، تحقيق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث،بيروت، ط:١، ٢٠٠١م.

[٢] الصحاح للجوهري ٢٠٧١/٥.

[٣] الصحاح للجوهري ٢٠٧١/٥ ، والقاموس المحيط ١١٧٦/١.

[٤] الراغب الأصفهاني(٠٠٠ – ٥٠٢ هـ) الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) من أهل (أصبهان) سكن بغداد، وكان أديباً ، من كتبه محاضرات الأدباء ، و الذريعة إلى مكارم الشريعة ، انظر الأعلام للزركلي ٢٥٥/٢.

[٥] المفردات في غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد (الراغب الأصفهانى) ، ص٩٠ ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي ، دار القلم ، الدار الشامية ، دمشق – بيروت ، ط:١ ، ١٤١٢ هـ.

[٦] الصارم المسلول على شاتم الرسول، لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم (شيخ الإسلام ابن تيمية) ، ص٥١٩ ، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني ، محمد كبير أحمد شودري ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط:١ ، ١٤١٧هـ.

وقد عرف الإيمان في اللغة بعدة تعريفات: فقيل هو التصديق، وقيل هو الثقة ، وقيل هو الطمأنينة ، وقيل هو الإقرار.

وقد اختار شيخ الإسلام في تعريف الإيمان اللغوي أنه بمعنى الإقرار ؛ لأنه رأى لفظة أقر أصدق في الدلالة على معنى الإيمان من غيرها من الألفاظ التي فسر بها الإيمان ؛ لأمور وأسباب قد ذكرها منها :

إنه ناقش باستفاضةٍ وافيةٍ ، وبتحقيقٍ متينٍ ، قول من ادعى أن الإيمان مرادفٌ للتصديق ، وذكر فروقاً بين التصديق والإيمان تمنع دعوى الترادف بينهما، ثم خلص من ذلك إلى أن أولى تفسير لغوي للإيمان هو الإقرار.

ويمكن أن نجمل الأمور التي ذكرها شيخ الإسلام في دفع دعوى الترادف بين الإيمان والتصديق في النقاط التالية:

١- أن لفظة آمن تختلف عن لفظة صدق من جهة التعدي ، حيث إن آمن لا تتعدى إلا بحرف إما الباء أو اللام كما في قوله تعالى: ﴿۞فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ ...﴿٢٦﴾﴾ [العنكبوت: ٢٦] ، وقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ ...﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فيقال آمن به وآمن له، ولا يقال آمنه، بخلاف لفظة صدق فانه يصح تعديتها بنفسها فيقال صدقه.

٢- أنه ليس بينهما ترادف في المعنى، فإن الإيمان لا يستخدم إلا في الأمور التي يؤتمن فيها المخبر مثل الأمور الغيبية، لأنه مشتق من الأمن، أما الأمور المشاهدة المحسوسة فهذه لا يصلح أن يقال فيها آمن وإنما يقال صدق، لأن كل مخبر عن مشاهدة أو غيب يقال له في اللغة صدقت كما يقال كذبت ، أما لفظ الإيمان فلا يستعمل إلا في الخبر عن غائب.

٣- أن لفظة إيمان في اللغة لا تقابل بالتكذيب ، فإذا لم يصدق المخبر في خبره يقال كذبت ، وإذا صدق يقال صدقت ، فيقال: صدقناه: أو كذبناه ، ولا يقال لكل مخبر آمنا له أو كذبناه ، ولا يقال أنت مؤمن له أو مكذب له، بل المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر، يقال: هو مؤمن أو كافر، والكفر لا يختص بالتكذيب ، بل لو قال: أنا اعلم أنك صادق ، لكن لا أتبعك بل أعاديك ، وأبغضك ، وأخالفك ، ولا أوافقك، لكان كفره أعظم ، فلما كان الكفر المقابل للإيمان ليس هو التكذيب فقط ، علم أن الإيمان ليس هو التصديق فقط.

٤-أن الإيمان في اللغة مشتق من الأمن الذي هو ضد الخوف ، فآمن أي صار داخلاً في الأمن، فهو متضمن مع التصديق معنى الائتمان والأمانة ؛كما يدل عليه الاستعمال والاشتقاق ، ولهذا قال إخوة يوسف لأبيهم ﴿... وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴿١٧﴾﴾ [يوسف: ١٧] : أي لا تقر بخبرنا ولا تثق به ولا تطمئن إليه ولو كنا صادقين ؛ لأنهم لم يكونوا عنده ممن يؤتمن على ذلك ، فلو صدقوا لم يأمن لهم ، أما التصديق فلا يتضمن شيئاً من ذلك.[١]

تعريف الإيمان شرعاً :

أما شرعاً: فهو عند أهل السنة والجماعة قول ، وعمل ، واعتقاد ، يزيد بطاعة ،وينقص بالمعصية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض بيانه لعقيدة أهل السنة والجماعة وأصولهم التي اتفقوا عليها:

"ومن أصول الفرقة الناجية: أن الدين والإيمان ، قول وعمل ، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح"[٢].

والأدلة على دخول هذه الأمور في مسمى الإيمان كثيرة وفيما يلي ذكر بعضها:

أولاً: قول القلب : وهو تصديقه وإيقانه ، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر: ٣٣] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥] .

وفي حديث الشفاعة قال ﷺ : ((يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه من الخير ما يزن شعيرة)) [٣]، وغير ذلك من الأدلة.

---

[١] زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ، ١/١٥ ، مكتبة دار القلم والكتاب، المملكة العربية السعودية، ط:١، ١٤١٦هـ ، وانظر الفتاوى ٧/ ٦٣٨.

[٢] العقيدة الواسطية ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي ، ص١١٣ ، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود ، أضواء السلف ، الرياض ، ط:٢ ، ١٤٢٠هـ.

[٣] أخرجه البخاري عن أنس ؓ ،كتاب الإيمان ، باب زيادة الإيمان ونقصانه ، ص ٥ ، ح ٤٤.

ثانياً: قول اللسان: وهو النطق بالشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بلوازمهما ، قال الله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦]

ومن السنة قوله ﷺ : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله))[١].

ثالثاً: عمل الجوارح : مثل القيام ، والركوع ، والسجود ، والمشي في مرضاة الله.
ودليله من القرآن : قوله تعالى : ﴿...فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠]
ومن السنه قوله ﷺ ((الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان))[٢]

وقد أجمع السلف على أن الإيمان قول وعمل وآثارهم في ذلك كثيرة ، ومما جاء عنهم :

قال الشافعي :" وكان الإجماع من الصحابة والتابعين ممن أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونية ، ولا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر "[٣].
وقال ابن عبد البر :" أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل "[٤].

---

[١] سبق تخريجه.

[٢] سبق تخريجه .

[٣] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ،لأبي القاسم هبة الله ابن الحسن اللالكائي ، ٨/٢ ، تحقيق سيد عمران ، دار الحديث ، القاهرة ،١٤٢٥هـ.

[٤] التمهيد ٢٣٨/٩.

الخلاف في مسألة تعريف الإيمان :

سبق بيان تعريف أهل السنة والجماعة (أتباع منهج السلف الصالح) للإيمان بأنه قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وهذا هو التعريف الذي تشهد له النصوص ، وأما الطوائف الأخرى فيمكن تقسيم قولهم في الإيمان إلى قسمين: قسم يدخلون العمل في الإيمان ، ويجعلونه شرطاً في صحة الإيمان ، وقسم يخرجون العمل من الإيمان ، وهم أقسام ويجمعهم وصف الإرجاء.

أما أهل القسم الأول فهم الخوارج والمعتزلة، يقولون: إن الإيمان قول واعتقاد وعمل، لكن الإيمان عندهم كل واحد لا يتجزأ إذا ذهب بعضه ذهب كله فمن أخل بالأعمال ذهب إيمانه باتفاق الطائفتين، وهو كافر عند الخوارج وفي منزلة بين المنزلتين عند المعتزلة.[1]

وفساد هذا القول ظاهر، فإن نصوص الكتاب والسنة الدالة على تبعض الإيمان وتفاضله وزيادته ونقصانه كثيرة جداً، وسيأتي في المبحث القادم بيانها .

وأما أهل القسم الثاني وهم المرجئة، فهؤلاء ثلاثة أصناف:

١- صنف يقول : الإيمان مجرد ما في القلب، ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب وهم أكثر المرجئة، ومنهم من لا يدخلها في الإيمان كجهم[2] ومن اتبعه.

٢- وصنف يقول : هو مجرد قول اللسان وهذا لا يعرف لأحد قبل الكرامية.

---

[1] انظر الفتاوى لابن تيمية ٤٨/١٣.

[2] جهم بن صفوان (٠٠٠ - ١٢٨ هـ)جهم بن صفوان السمرقندي، أبو محرز، من موالي بني راسب: رأس (الجهمية) قال الذهبي:"الضال المبتدع ، هلك في زمان صغار التابعين وقد زرع شراً عظيماً ،كان يقضي في عسكر الحارث بن سريج ، الخارج على أمراء خراسان، فقبض عليه نصر بن سيار، فطلب جهم استبقاءه، وأمر نصر بقتله، فقتل ،انظر سير أعلام النبلاء ٢٠٤/٦ ، الأعلام للزركلي ص ١٤١/٢ .

٣- وصنف يقول : هو تصديق القلب وقول اللسان، وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم.[١]

[١] انظر الفتاوى لابن تيمية ٧/ ١٩٥.

ومما يلحق بتعريف الإيمان :-

مسألة زيادة الإيمان ونقصانه :

يقول الدهلوي :" فجعل- النبيُّ ﷺ - الإيمان على ضربين:

أحدهما الإيمان الذي يدور عليه أحكام الدنيا من عصمة الدماء والأموال ، وضبطه بأمور ظاهرة في الانقياد ، وهو قوله ﷺ : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله))[1] وقوله ﷺ : ((من صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله ، فلا تخفروا الله في ذمته)) [2]...

وثانيهما الإيمان الذي يدور عليه أحكام الآخرة ، من النجاة والفوز بالدرجات ، وهو متناول لكل اعتقاد حق ، وعمل مرضي، وملكة فاضلة، وهو يزيد وينقص..."[3]

يذكر الدهلوي قوله في الإيمان ، ويجعله على قسمين:-

الأول: الذي تجريه عليه أحكام الدنيا،من عصمة الدماء والأموال،وضابطه أنه متعلق بالأمور الظاهرة.

وهذا يسمى الإسلام في الشريعة .

---

[1] سبق تخريجه.

[2] أخرجه البخاري عن أنس بن مالك ﷺ ،كتاب الصلاة ، باب فضل استقبال القبلة ، ص ٣٤ ، ح٣٤ .

[3] حجة الله البالغة ٣٦٩/١-٣٧٠.

والثاني : الذي تدور عليه أحكام الآخرة ، من النجاة والفوز بالدرجات وهو متناول لكل اعتقاد وعمل مرضي وملكة فاضلة يزيد وينقص ، لكن عقبه بعد ذلك بقوله :"إن كان مفوتاً للتصديق فهو منافق "، ففعلم أنه إذا صدق فليس بمنافق فهو مؤمن ، وقد يكون فاسقاً ، وهذا اثبات للإيمان بمجرد التصديق وهذا هو مذهب المرجئة .

فهذا مذهب الدهلوي في الإيمان كما سبق بيانه وهذا قول باطل مناقض للأدلة الصحيحة ، والصحيح فقط قوله بزيادة الإيمان ونقصانه .

والإيمان يزيد وينقص بدلالة الكتاب والسنة ، وأقوال السلف ، وأما المرجئة فقد خالفوا في ذلك وتأولوا الزيادة في الإيمان بتجدد أمثاله وهذا وصف مخالف وتأويل باطل .[1]

ومن الأدلة الواردة على زيادة الإيمان ونقصانه قوله تعالى:﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ۝٢﴾ [الأنفال: ٢]

و قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ۝١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣].

ومن السنة قوله ﷺ : ((يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه من الخير ما يزن شعيرة))[2].

وهذا يدل على أن الإيمان ليس مجرد التصديق ، ولكن اعتقاد وقول وعمل ، يزيد بطاعة وينقص بالمعصية .

---

[1] انظر الإيمان ص٢١١-٢٣٤، ٣٨٤، ٣٩٠ ، والإيمان في الأوسط ٧-٥٦٢ وما بعدها.

[2] سبق تخريجه .

ثالثاً : مسألة الاستثناء في الإيمان :

ومعنى الاستثناء أن يقول المسلم أنا مؤمن إن شاء الله .

والناس في هذا الاستثناء على ثلاثة أقوال : منهم من يوجبه ، ومنهم من يحرمه ، ومنهم من يجوز الأمرين باعتبارين وهذا أصح الأقوال .[1]

وهو مذهب أهل السنة والجماعة فإنهم يجوزون الاستثناء في الإيمان في الأعمال ، ويمنعون الإستثناء في أصل الإيمان الذي هو تصديق القلب .

وأما من حرمه فهم المرجئة ؛لأن ذلك عندهم شك في الإيمان ، حيث يرون أن الإيمان هو التصديق فقط ، وهذا التصديق لا يستثنى في حصوله لعلمهم بوقوعه ، وأما عند أهل السنة والجماعة فالإسثناء عندهم يكون في الأعمال ورعاً وتقوى وخوفاً من تزكية النفس . [2]

يقول الإمام الآجري[3] :" من صفة أهل الحق ممن ذكرنا من أهل العلم الاستثناء في الإيمان لا على جهة الشك نعوذ بالله من الشك في الإيمان ، ولكن خوف التزكية لأنفسهم من الإستكمال للإيمان لا يدري أهو ممن يستحق حقيقة الإيمان أم لا ؟ "[4].

فالمقصود دائرة الإيمان التي عناها النبي ﷺ بقوله:((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ...))[5].

---

[1] مجموع الفتاوى ٤٢٩/٧ ، ٥٠٤ وما بعدها .

[2] المصدر السابق .

[3] الآجري (٠٠٠ - ٣٦٠ هـ) محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر الآجري: فقيه شافعي محدث ، نسبته إلى آجر (من قرى بغداد) ولد فيها، وحدث ببغداد، قبل سنة ٣٣٠ ثم انتقل إلى مكة، فتنسك، وتوفي فيها ، له تصانيف كثيرة، منها : أخلاق العلماء و كتاب الشريعة ، انظر الأعلام للزركلي ٩٧/٦.

[4] الشريعة للآجري ٦٥٦/٢.

[5] أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ ، كتاب المظالم ، باب النُّهبى بغير إذن صاحبه ، ص١٩٥ ، ح ٢٤٧٥

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه " والاستثناء يكون في العمل باعتبار أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، ولهذا قال الإمام أحمد :" إن الإيمان قول وعمل فجئنا بالقول ولم نجيء بالعمل ، فنحن نستثني في العمل " ..."[١].

ومن الأدلة الواردة على الإستثناء في الإيمان :

قوله تعالى ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ...﴾[الكهف: ٢٣ -٢٤].

ومن السنة حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي قال فيه : أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال ((السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ...))[٢].

---

[١] انظر مجموع الفتاوى ٧/٤٤٧.

[٢] أخرجه مسلم ،كتاب الطهارة ، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ، ص٧٢١-٧٢٢، ح ٥٧٩.

المبحث الثاني : حكم مرتكب الكبيرة :

يقول الدهلوي " واعلم أن الكبيرة والصغيرة تطلقان باعتبارين: أحدهما بحسب حكمة البر والإثم ، وثانيهما بحسب الشرائع والمناهج المختصة بعصر دون عصر.

أما الكبيرة بحسب حكمة البر والإثم : فهي ذنب يوجب العذاب في القبر وفي المحشر إيجاباً قوياً ، ويفسد الارتفاقات الصالحة إفساداً قوياً، ويكون من الفطرة على الطرف المخالف جداً.

والصغيرة ما كان مظنة لبعض ذلك ، أو مفضياً إليه في الأكثر أو يوجب بعض ذلك من وجه ، ولا يوجبه من وجه ، كمن ينفق في سبيل الله ، وأهله جياع ، فيدفع رذيلة البخل ، ويفسد تدبير المنزل.

وأما بحسب الشرائع الخاصة ، فما نصت الشريعة على تحريمه ، أو توعد الشارع عليه بالنار ، أو شرع عليه حداً ، أو سمى مرتكبة كافراً خارجاً من الملة إبانةً لقبحه وتغليظاً لأمره ، فهو كبيرة ، وربما يكون الشيء صغيرةً بحسب حكمة البر والإثم ، وكبيرةً بحسب الشريعة ؛ وذلك أن الملة الجاهلية ربما ارتكبت شيئاً حتى فشا الرسم به فيهم ..، ثم جاء الشرع ناهياً عنه، فحصل منهم لجاج ومكابرة ، وحصل من الشرع تغليظ وتهديد بحسب ذلك ، حتى صار ارتكابها كالمناوأة الشديدة للملة ، ولا يتأتى الإقدام على مثله إلا من كل مارد متمرد لا يستحي من الله ولا من الناس، فكتب كبيرة عند ذلك." [1]

ويقول " **والآثام باعتبار الملة على قسمين صغائر وكبائر:**

والكبائر مالا يصدر إلا بغاشية عظيمة من البهيمة أو السبعية أو الشيطنة ، وفيه انسداد سبيل الحق ، وهتك حرمة شعائر الله ، أو مخالفة الارتفاقات الضرورية ، والضرر العظيم بالناس، ويكون

---

[1] حجة الله البالغة ١/١٨١.

مع ذلك منابذاً للشرع لأن الشرع نهى عنه أشد نهي ، وغلظ التهديد على فاعله ، وجعله كأنه خروج من الملة .

والصغائر ما كان دون ذلك من دواعي الشر ومفضيات إليه، وقد ظهر نهي الشرع عنه حتماً ، ولكن لم يغلظ فيه ذلك التغليظ..."[1]

ويقول الدهلوي :" والحق أن الكبائر ليست محصورةً في عدد ، وأنها تعرف بإيعاد النار في الكتاب والسنة الصحيحة ، وشرع الحد عليه ، وتسميته كبيرة ، وجعله خروجاً عن الدين ، وكون الشيء أكثر مفسدةً مما نص النبي ﷺ على كونه كبيرة ، أو مثلها في المفسدة.

وقوله ﷺ : ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن))[2] الحديث ، معناه أن هذه الأفعال لا تصدر إلا بغاشية عظيمة من البهيمية أو السبعية ، فتصير حينئذ الملكية كأن لم تكن والإيمان كأنه زائل دل بذلك على كونها كبائر...[3]

وقال ﷺ : ((ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار))[4] وقوله ﷺ : ((وإن زنى وإن سرق)) [5]وقوله ﷺ : ((على ما كان من

---

[1] حجة الله البالغة ٣٧٤/١.

[2] سبق تخريجه.

[3] المصدر السابق ٣٧٤/١.

[4] أخرجه البخاري عن معاذ ﷺ ، كتاب : العلم ، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا ، ص١٤ ، ح ١٢٨.

[5] أخرجه البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه ، كتاب الجنائز ، باب : ومن كان آخر كلامه : لا إله إلا الله ، ص ٩٧ ، ح ١٢٣٧ ، قال :قال رسول الله ﷺ : ((أتاني آت من ربي ، فأخبرني أو قال بشرني أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، قلت وإن زنى وإن سرق ، قال وإن زنى وإن سرق)).

عمل))[1] ، أقول معناه حرمه الله على النار الشديدة المؤبدة التي أعدها للكافرين وإن عمل الكبائر.

والنكتة في سوق الكلام هذا السياق، أن مراتب الإثم بينها تفاوت بيّن، وإن كان يجمعها كلها اسم الإثم ؛ فالكبائر إذا قيست بالكفر لم يكن لها قدر محسوس، ولا تأثير يعتد به، ولا سببية لدخول النار تسمى سببية ، وكذلك الصغائر بالنسبة إلى الكبائر، فبيّن النبي ﷺ الفرق بينها على آكد وجه بمنزلة الصحة والسقم ، فإن الأعراض البادية كالزكام والنصب إذا قيست إلى سوء المزاج المتمكن ،كالجذام والسل والاستسقاء ، يحكم عليها بأنها صحة ، وأن صاحبها ليس بمريض ، وأن ليس به قلبة – ورب داهية تنسي داهية – كمن أصابه شوكة ثم وتر أهله وماله ، قال: لم يكن بي مصيبة قبل أصلاً."[2]

ويقول " **وقد اختلف الناس في الكبيرة إذا مات العاصي عليها، ولم يتب هل يجوز أن يعفو الله عنه أولا؟** وجاء كل فرقة بأدلة من الكتاب والسنة ، وحل الاختلاف عندي أن أفعال الله تعالى على وجهين: منها الجارية على العادة المستمرة ، ومنها الخارقة للعادة ، والقضايا التي يتكلم بها الناس موجهة بجهتين: إحداهما في العادة : والثانية مطلقاً، وشرط التناقض اتحاد الجهة مثل ما قرره المنطقيون في القضايا الموجهة ، وقد تحذف الجهة فيجب اتباع القرائن ، فقولنا كل من تناول السم مات معناه بحسب العادة المستمرة، وقولنا ليس كل من تناول السم مات معناه بحسب خرق العادة، فلا تناقض.

---

[1] أخرجه أحمد عن عبادة بن الصامت ، ص ٣٩٤/٣٧ ، ح ٢٢٦٧٤، عن رسول الله ﷺ قال: " من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل))، قال محققوه صحيح على شرط مسلم ، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد –وهو ابن سلمة– فمن رجال مسلم ، عفان: هو ابن مسلم، وحميد: هو الطويل .

[2] المصدر السابق ٣٧٥/١.

وكما أن لله تعالى في الدنيا أفعالاً خارقة وأفعالاً جارية على العادة ، فكذلك في المعاد أفعال خارقة وعادية، أما العادة المستمرة فأن يعاقب العاصي إذا مات من غير توبة زماناً طويلاً ، وقد تخرق العادة وكذلك حال حقوق العباد ، وأما خلود صاحب الكبيرة في العذاب ، فليس بصحيح وليس من حكمة الله أن يفعل بصاحب الكبيرة مثل ما يفعل بالكافر سواء والله أعلم."[1]

المناقشة : ذكر الدهلوي فيما سبق تعريفه للصغائر والكبائر وخالف في تعريفها وتحدث عن مسألة الاختلاف في مرتكب الكبيرة وأجاب عن ذلك ، ورجح عدم خلود مرتكب الكبيرة غير التائب منها في جهنم ، وهذا القول الحق فيها ، وسأتعرض لهذه المسائل في هذا المبحث .

المطلب الأول :- تعريف الكبيرة :

تمهيد:

مسألة مرتكب الكبيرة مِنَ المسائل العظيمة التي نشأ النّزاع فيها بين المسلمين منذ وقت مبكر من تاريخ هذه الأمّة، بل عد العلماء بدعة التّكفير بالذنوب أول البدع ظهوراً في الأمة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولهذا يجب الاحتراز من تكفير المسلمين بالذّنوب والخطايا؛ فإنّه أوّل بدعةٍ ظهرت في الإسلام، فكفر أهلها المسلمين واستحلّوا دماءهم" [2].

ويقول ابن كثير : "لما بعث علي أبا موسى ومن معه من الجيش إلى دومة الجندل ، اشتدّ أمر الخوارج ، وبالغوا في النّكير على عليّ وصرّحوا بكفره" [3].

ثم ظهرت المرجئة في مقابل الخوارج ، وردّوا بدعة الخوارج ببدعةٍ أخرى ، فزعموا أنّ المعاصي لا أثر لها في نقص الإيمان ، بل أنكروا أن تكون الأعمال من الإيمان[1]، وكان أوّل ظهور المرجئة في

---

[1] المصدر السابق ١٨١/١، وهذا جانب عقلي والعبرة على الشرع وما أخبر الله ﷺ أنه يفعله .

[2] مجموع الفتاوى ٣١/١٣.

[3] ا لبداية والنّهاية للحافظ عماد الدين ابن كثير ، ٥٧٧/١٠ ، تحقيق عبد الله التركي ، دار الهجرة للطباعة ، الجيزة ، ط: ١ ، ١٤١٧هـ.

الكوفة في آخر عصر الصّحابة[2]، وأوّل مَنْ عرف أنّه تكلّم في الإرجاء على التّحديد ذر بن عبد الله بن زرارة المرهِبي[3]، وكان قد شهد مع ابن الأشعث[4] قتال الحجاج [5]سنة ٨٠ هـ[6].

وقد أنكر سلف الأمّة من الصّحابة والتّابعين بدعة المرجئة ، كما أنكروا بدعة الخوارج ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:"حدثت بدعة القدرية والمرجئة ، فردّها بقايا الصّحابة كابن عبّاسٍ، وابن عمر، ...وغيرهم ﷺ ، مع ما كانوا يردّونه هم وغيرهم مِنْ بدعة الخوارج والرّوافض"[7]، وقال: "والسّلف اشتدّ نكيرهم على المرجئة ؛لما أخرجوا العمل مِنَ الإيمان، وقالوا: إنّ الإيمان يتماثل النّاس فيه"[8].

ثم أحدث المعتزلة بعد ذلك القول بـ: المنزلة بين المنزلتين ، ودعوى أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين الكفر والإيمان ، ليس هو بمؤمن ولا كافر ، وأول ما عُرفت هذه المقالة عن واصل بن عطاء[9] الذي

---

[1] انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣٨/١٣.

[2] انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣١١/٧.

[3] ذر بن عبد الله المرهبي بضم الميم وسكون الراء ثقة عابد رمي بالإرجاء من السادسة مات قبل المائة ، انظر تقريب التهذيب ، لأحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، ص ٢٠٣ ، تحقيق : محمد عوامة ، دار الرشيد ، دمشق ، ط: ١، ١٤٠٦هـ.

[4] ابن الأَشْعَث (٠٠٠ - ٨٥ هـ) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ابن قيس الكندي: أمير، من القادة الشجعان الدهاة ، خرج على الحجاج وكان بينه وبين الحجاج وقائع ، انظر سير أعلام النبلاء ٥/ ١٠٢ ، الأعلام للزركلي ٣٢٣/٣ .

[5] الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد: قائد، داهية، سفاك، خطيب ، ولد ونشأ في الطائف (بالحجاز) ، ولاه الخليفة عبد الملك بن مروان مكة والمدينة والحجاز والعراق ، انظر الأعلام للزركلي ١٦٨/٢-١٦٩ ،سير أعلام النبلاء ١٩٩/٥ ، شذرات الذهب ٣٧٧/١ -٣٨٧.

[6] انظر ترجمته في ميزان الاعتدال للذّهبِي ٣٢/٢.

[7] مجموع الفتاوى ٣٥٧/١٠.

[8] مجموع الفتاوى ٥٥٥/٧.

[9] واصل بن عطاء (٨٠ - ١٣١ هـ) واصل بن عطاء الغزال، أبو حذيفة، من موالي بني ضبة أو بني مخزوم: رأس المعتزلة سمي أصحابه بالمعتزلة ؛ لاعتزاله حلقة درس الحسن البصري ، ومنهم طائفة تنسب إليه، تسمى " الواصلية " وهو الذي نشر مذهب الاعتزال ، له تصانيف، منها " أصناف المرجئة " و " المنزلة بين المنزلتين " انظر شذرات الذهب ١٨٢/١-١٨٣ ، الأعلام للزركلي ١٠٩/٨ .

كان تلميذاً للحسن البصري ، فاعتزل مجلس الحسن البصري[1] لذلك ، فسمي ومن كان معه معتزلة .

يقول الشّهرستانِي[2] في بيان سبب القول بـ: (المنزلة بين المنزلتين): (والسبب فيه أنه دخل واحد على الحسن البصري فقال: يا إمام الدين ، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفّرون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملّة ، وهم وعيديّة الخوارج، وجماعة يرجون ، أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان ، ولا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمّة ، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟ فتفكر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب ، قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ، ولا كافر مطلقاً ، بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر ، ثم قام واعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد ، يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل ، فسمي هو وأصحابه معتزلة"[3].

ثم حدث أيام الحسن البصري خلاف واصل بن عطاء الغزال في القدر ، وفي المنزلة بين المنزلتين ، وانضم إليه عمرو بن عبيد بن باب[4] في بدعته ، فطردهما الحسن عن مجلسه ، فاعتزلا إلى سارية

---

[1] الحسن البصري (٢١ – ١١٠ هـ) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه ، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك ، ولد بالمدينة، وشب في كنف علي بن أبي طالب ﷺ ، واستكتبه الربيع ابن زياد والي خراسان في عهد معاوية ﷺ ، وسكن البصرة ، ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه: إني قد ابتليت بهذا الامر فانظر لي أعواناً يعينونني عليه ، فأجابه الحسن: أما أبناء الدنيا فلا تريدهم، وأما أبناء الآخرة فلا يريدونك، فاستعن بالله ، أخباره كثيرة ، توفي بالبصرة ، وله كلمات سائرة وكتاب في فضائل مكة – مخطوط بالأزهرية، توفي بالبصرة ، انظر الأعلام للزركلي ٢٢٥/٢-٢٢٦.

[2] الشهرستاني(٤٧٩ – ٥٤٨ هـ) محمد بن عبد الكريم بن أحمد ، أبو الفتح الشهرستاني: كان من الفلاسفة الإسلاميين ، وكان إماماً في علم الكلام وأديان الامم ومذاهب الفلاسفة ، ولد في شهرستان (بين نيسابور وخوارزم) وانتقل إلى بغداد سنة ٥١٠ هـ فأقام ثلاث سنين ، وعاد إلى بلده ، وتوفي بها ، من مؤلفاته : الملل والنحل ، و نهاية الاقدام في علم الكلام ، انظر سير أعلام النبلاء ٩٢/١٥ ، الأعلام للزركلي ٢١٥/٦ .

[3] الْمِلل والنّحل للشهرستاني ٢٠/١.

[4] عمرو بن عبيد (٨٠ – ١٤٤ هـ) عمرو بن عبيد بن باب التيمي بالولاء، أبو عثمان البصري: شيخ المعتزلة في عصره، ومفتيها ، له رسائل وخطب وكتب، منها : التفسير والرد على القدرية ، انظر الأعلام للزركلي ٨١/٥ .

من سواري مسجد البصرة، فقيل لهما ولأتباعهما: (معتزلة) لاعتزالهم قول الأمة في دعواهما أن الفاسق من أمة الإسلام لا مؤمن ولا كافر[1].

والمقصود أن هذه المسألة وهي حكم مرتكب الكبيرة من أهمّ المسائل وأخطرها ، لأن الخلاف فيها بين فرق الأمّة قديم ومتشعب، والكلام فيها متفرع عن مسألة الإيمان التي هي لب هذا الدين وأصله ، ولا زالت الأمة تعانِي من آثار الانحراف في فهم هذه المسألة بسبب تسرب هذه المفاهيم الخاطئة إلى بعض أفراد هذه الأمة عن طريق دعاة الضلال ، حتى راج فكر الإرجاء ، وخرجت مبادئ الخوارج في قوالب جديدة ، وتحت ستور مزيفة في تاريخ الأمة المعاصر.

[1] الفرق بين الفرق ص ١٥ .

تعريف الكبيرة :

قال الدهلوي :"الكبائر ليست محصورة في عدد ، وتعرف بإيعاد النار في الكتاب والسنة الصحيحة ، وشرع الحد عليه، وتسميته كبيرة ، وجعله خروجا عن الدين، وكون الشيء أكثر مفسدة مما نص النبي ﷺ على كونه كبيرة أو مثلها في المفسدة."[١]

ذكر الدهلوي هنا الكبائر وقال بأنها ليست محصورةً بعدد معين ، وجعل المعصية كبيرة إذا ترتب عليها أحد الأمور التالية :

الوعيد أو الحد أو نفي الدين وكونه أكثر مفسدةً مما نص عليه النبي ﷺ أنه مفسدة .

تعرف الكبيرة في اللغة بأنها: مأخوذة من كَبُرَ كَكَرُمَ عَظُمَ وجَسُمَ وكل ما عظم وجسم فقد كَبُرَ وهي نقيض صَغُرَ فقول كَبُرَ كِبراً وكُبْراً وكُبَار وكُبَّار وكبير والمؤنث منه كبيرة.

والكبيرة: هي كل فعلة منهي عنها شرعاً لقبحها وعظيم أمرها، وجمعها كبائر [٢] .

وأما الكبيرة في الشرع :

فقد ورد في الشرع النص على بعض الكبائر وتحديدها وذلك مثل قول النبي ﷺ : ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً ، قالوا بلى يا رسول الله قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وجلس وكان متكئاً ، فقال ألا وقول الزور ، قال فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت)).[٣] ونحوه.

[١] حجة الله البالغة ٣٧٤/١.

[٢] انظر لسان العرب ١٢٩/٥ ، المعجم الوسيط ص٧٧٢.

[٣] أخرجه البخاري عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنهما ، كتاب : الشهادات ، باب : ما قيل في شهادة الزور ، ص ٢٠٩، ح ٢٦٤٥.

وقد عرفها بعد بعض الكبائر علي بن أبي طالب وابن عمر وابن مسعود ﷺ .[1]

إلا أن مما يجمع عليه العلماء أن المراد من هذه الأحاديث ليس حصر الكبائر وتعريفها.[2]

قال الإمام النووي في شرحه لمسلم "وقال العلماء رحمهم الله: ولا انحصار للكبائر في عدد مذكور ، وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن الكبائر أسبع هي؟ فقال: (هي إلى سبعين)، ويروى إلى سبعمائة أقرب ، وأما قوله ﷺ الكبائر سبع فالمراد به: من الكبائر سبع ؛ فإن هذه الصيغة وإن كانت للعموم فهي مخصوصة بلا شك ، وإنما وقع الاقتصار على هذه السبع ، وفي الرواية الأخرى ثلاث ، وفي الأخرى أربع ؛ لكونها من أفحش الكبائر مع كثرة وقوعها لا سيما فيما كانت عليه الجاهلية ، ولم يذكر في بعضها ما ذكر في الأخرى ، وهذا مصرح بما ذكرته من أن المراد البعض ، وقد جاء بعد هذا من الكبائر شتم الرجل والديه، وجاء في النميمة ، وعدم الاستبراء من البول، أنهما من الكبائر ، وجاء في غير مسلم من الكبائر اليمين الغموس، واستحلال بيت الله الحرام ..." [3]

وقد اختلف في تعريف الكبيرة ومما ورد في تعريفها :

١-قول لابن عباس ﷺ : (كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة)[4].

٢-عن عبد الله ابن مسعود ﷺ : (ما نهى الله عنه في سورة النساء من أولها إلى قوله: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾ [النساء: ٣١] فهو كبيرة)[5].

---

[1] انظر الروايات في تفسير ابن جرير الطبري ٥/٣٩-٤٠ وقد رجح ذلك ابن جرير.

[2] انظر شرح النووي ٢/٨٤ .

[3] شرح النووي ٢/٨٤ .

[4] تفسير الطبري ٥/٤١.

[5] رواه عنه ابن جرير الطبري من عدة طرق تفسير الطبري ٥/٣٧.

٣-عن ابن عباس ﷺ أنه قال:(الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب) [١].

وهذا التعريف الأخير هو الذي ارتضاه أكثر العلماء، وعبروا عنه بنحو قولهم: كل عمل أوجب الله تعالى فيه حداً في الدنيا أو عذاباً في الآخرة، أو لعن فاعله، أو غضب عليه أو تبرأ منه الله ورسوله، أو توعّد عليه بعدم دخول الجنة، أو عدم الإيمان، أو وصفه بالفسق أو نحوه .

فيدخل في ذلك جميع الأعمال التي وصفها الشارع بذلك [٢] .

وقد عرف الكبيرة بذلك كثير من العلماء المتقدمين والمتأخرين، كسعيد بن جبير [٣]، والحسن البصري [٤]وعزا نحوه شيخ الإسلام ابن تيمية للإمام أحمد بن حنبل ورجحه [٥] .

وجعل الدهلوي المعصية كبيرة إذا ترتب عليها أحد الأمور التالية :

الوعيد أو الحد أو نفي الدين وكونه أكثر مفسدةً مما نص عليه النبي ﷺ أنه مفسدة . وقوله :"كونه أكثر مفسدة مما نص عليه النبي ﷺ أنه مفسدة " ضابط غير صحيح ، ولعل الشيخ

---

[١] أخرجه عنهما ابن جرير الطبري ٤٢/٥.

[٢] من الجدير بالذكر: أنه يدخل في الكبائر في العرف الشرعي ما يخرج به صاحبه من الملة، كالشرك بالله، الذي ورد منصوصاً عليه في أحاديث عدة، سيأتي ذكر بعضها، كما أن تارك الصلاة كافر عند كثير من السلف، ويختلف العلماء في غير الصلاة من مباني الإسلام، فمن العلماء من يكفر بترك الزكاة، ومنهم من يكفر بتركها مع الصيام والحج ، وقد ذكر الخلاف في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، كما في مجموع الفتاوى ٣٠٢/٧، ٦٠٩ ، إلا أن مقصودنا في هذه المباحث هنا الأعمال التي لا تخرج من الملة، من جنس الربا والزنا وشرب الخمر ونحو ذلك.

[٣] سَعيد بن جُبَير (٤٥ - ٩٥ هـ) سعيد بن جبير الأسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله: تابعيّ، كان من أعلم التابعين ، وهو حبشي الأصل، من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد ، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر رضي الله عنهما ، ثم كان ابن عباس ﷺ ، إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، قال:" أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء؟ يعني سعيداً ، انظر سير أعلام النبلاء ١٨٧/٥ - ١٩٨ ، انظر شذرات الذهب ٣٨٢/١-٣٨٣ ، الأعلام للزركلي ٩٣/٣ .

[٤] تفسير الطبري ٤٢/٥ .

[٥] مجموع الفتاوى ٦٥٠/١١ .

يقصد بقوله أنها أكثر مفسدةً أو مساويةً لمفسدة أقل الكبائر ، وقد اعْتُرِض على هذا القول بتعذر الإحاطة بمفاسد الكبائر كلها حتى نعلم أقلها مفسدة .[1]

وأما قول الدهلوي :" أما الكبيرة بحسب حكمة البر والإثم : فهي ذنب يوجب العذاب في القبر وفي المحشر إيجاباً قوياً ، ويفسد الارتفاقات الصالحة إفساداً قوياً، ويكون من الفطرة على الطرف المخالف جداً.

والصغيرة ما كان مظنة لبعض ذلك ، أو مفضياً إليه في الأكثر أو يوجب بعض ذلك من وجه ، ولا يوجبه من وجه ، كمن ينفق في سبيل الله ، وأهله جياع ، فيدفع رذيلة البخل ، ويفسد تدبير المنزل."

يقصد بذلك أن المعصية ربما تكون كبيرةً أوصغيرةً بحسب ما تطمئن إليه النفس ، أو ما يحاك في الصدر ويخاف منه المرء[2]، ولكن الاستدلال بهذا على تقسيم الذنوب فيه تهوين لكبائر الذنوب ، وهذا يكون في صغائر الذنوب لا في كبائرها .

ويقول :" وربما يكون الشيء صغيرةً بحسب حكمة البر والإثم ، وكبيرةً بحسب الشريعة ؛ وذلك أن الملة الجاهلية ربما ارتكبت شيئاً حتى فشا الرسم به فيهم ..، ثم جاء الشرع ناهياً عنه، فحصل منهم لجاج ومكابرة ، وحصل من الشرع تغليظ وتهديد بحسب ذلك ، حتى صار ارتكابها

---

[1] انظر الزواجر عن اقتراف الكبائر ، لأحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي (ت٩٤٧هـ) ، ١/ ١٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ط: ١ ، ١٤٠٧هـ .

[2] وفيه حديث عن وابصة بن معبد ﷺ قال: أتيت رسول الله ﷺ فقال: ((جئت تسألني عن البر والإثم)) فقال: نعم، فجمع أنامله فجعل ينكت بهن في صدري، ويقول: ((يا وابصة استفت قلبك، واستفت نفسك)) ثلاث مرات، ((البر ما اطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك)) أخرجه أحمد في المسند ص٥٣٣ ،ح١٨٠٠٦ ، وحسنه الإمام النووي في بستان العارفين ، ص٨٧ ،ت: محمد الحجار ، دار البشائر الإسلامية – بيروت ، ط:٦ ، ١٤٢٧هـ.

كالمناوأة الشديدة للملة ، ولا يتأتى الإقدام على مثله إلا من كل مارد متمرد لا يستحي من الله ولا من الناس، فكتب كبيرة عند ذلك." [1]

وقوله هنا " وكبيرةً بحسب الشريعة " يبطل قوله السابق بأن الذنوب تكون كبيرة وصغيرة بحسب حكمة البر والإثم ؛ لأن الشرع هو من يجعلها كبيرة أوصغيرة لا معيار البر والإثم الذي يقول به .

تقسيم الذنوب إلى كبائر وصغائر:

وردت النصوص الشرعية بالنص على الكبائر وذلك مثل قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١]

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ...﴿٣٢﴾﴾ [النجم: ٣٢]

وقال ﷺ : ((الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن ما اجتنبت الكبائر)) .[2]

وكذلك الأحاديث التي نصت على بعض الكبائر مما سيأتي ذكره، كل ذلك قد جعل جمهور أهل السنة يقسمون الذنوب إلى:كبائر وصغائر، لهذا أفاضوا في ذكر الكبائر ومحاولة حصرها بالتفصيل أو بالتعريف المجمل الذي يحددها.

وقد خالف في ذلك كثير من الأشاعرة ، وزعموا أن الذنوب كلها كبائر ولا يوجد فيها صغائر[1].**وهذا قول مرجوح ترده الأدلة الصريحة السابق ذكرها وهو خلاف قول جمهور العلماء.**

---

[1] حجة الله البالغة ١/١٨١.

[2] أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ ،كتاب الطهارة ، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر ، ص٧٢٠ ، ح٢٣٣.

المطلب الثاني : حكم مرتكب الكبيرة :

يقول الدهلوي " وقد اختلف الناس في الكبيرة إذا مات العاصي عليها، ولم يتب هل يجوز أن يعفو الله عنه أولا؟ وجاء كل فرقة بأدلة من الكتاب والسنة، وحل الاختلاف عندي أن أفعال الله تعالى على وجهين: منها الجارية على العادة المستمرة، ومنها الخارقة للعادة، والقضايا التي يتكلم بها الناس موجهة بجهتين: إحداهما في العادة: والثانية مطلقا، وشرط التناقض اتحاد الجهة مثل ما قرره المنطقيون في القضايا الموجهة، وقد تحذف الجهة فيجب اتباع القرائن، فقولنا كل من تناول السم مات ، معناه بحسب العادة المستمرة ، وقولنا ليس كل من تناول السم مات ، معناه بحسب خرق العادة، فلا تناقض.

وكما أن لله تعالى في الدنيا أفعالاً خارقةً وأفعالاً جاريةً على العادة ، فكذلك في المعاد أفعالٌ خارقة وعادية، أما العادة المستمرة فإن يعاقب العاصي إذا مات من غير توبة زماناً طويلاً، وقد تخرق العادة وكذلك حال حقوق العباد ، وأما خلود صاحب الكبيرة في العذاب ، فليس بصحيح وليس من حكمة الله أن يفعل بصاحب الكبيرة مثل ما يفعل بالكافر سواء والله أعلم."[٢]

يقرر الشيخ الدهلوي عدم تخليد صاحب الكبيرة في النار ، وأنه تحت مشيئة الله ﷻ ،وهذا هو القول الصحيح قول اتباع السلف الصالح ، وسأبين في هذا المطلب الخلاف الحادث والقول الحق فيها .

---

[١] الزواجر عن اقتراف الكبائر، لأحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، ص٧ ، دار الفكر، ط:١، ١٤٠٧هـ.

[٢] حجة الله البالغة ١/١٨١.

اختلف الناس في مرتكب الكبيرة من جهتين :

الأولى : اسمه .

والثانية : حكمه.

وأصل الخلاف مبني على مسمى الإيمان كما سبق بيانه .

فذهبت الخوارج[1]، والمعتزلة[2]إلى أنه في الآخرة خالد في النار واختلفوا في اسمه في الدنيا وحكمه فيها .

فقالت الخوارج : هو كافر ، واختلفوا في كفره هل هو كفر شرك أو كفر نعمة ؟

فمن قال بأن كفره كفر شرك قال : تجرى عليه أحكام الكفار في الدنيا .

ومن قال منهم بأن كفره كفر نعمه قال : تَجْرِ عليه أحكام المسلمين في الدنيا . [3]

وقالت المعتزلة هو في منزلة بين المنزلتين ، أي : بين الإيمان والكفر ، وحكمه في الدنيا حكم باقي المسلمين .[4]

---

[1] انظر الزواجر ١/٣١-٣٢، وانظر ٢/٩٠-٩٤.

[2] انظر مقالات الإسلاميين ١/١٠٩ .

[3] انظر الموجز في تحصيل السؤال وتلخيص المقال في الرد على أهل الخلاف ، لأبي عمار عبد الكافي الإباضي ضمن كتاب آراء الخوارج ، ٢/١١٦ ، تحقيق: د.عمار طالبي.

[4] انظر شرح الأصول الخمسة ص ٦٩٧ ، ٧٠١ ، ٧١٢ .

وذهبت المرجئة إلى أن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان ، وأنه في الآخرة من أهل الجنة إذا مات موحداً مؤمناً وإن زنى وسرق وقتل ، وقال المرجئة الخالصة منهم : لا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة .

وتوسط أهل السنة والجماعة فقالوا أن مرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، وأن حكمه في الدنيا حكم بقية المسلمين ، وهو في الآخرة إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.[1]

ومن الأدلة على ذلك :

أن الله جعل مرتكب الكبيرة من المؤمنين قال تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ﴾ إلى أن قال : فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴿١٧٨﴾﴾ [البقرة: ١٧٨] ، فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا وجعله أخاً لولي القصاص والمراد أخوة الدين بلا ريب .

وقال تعالى : ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ﴾ الى أن قال : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ١٠] .

ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل بل يقام عليه الحد فدل على أنه ليس بمرتد.[2]

---

[1] شرح اعتقاد أهل السنة ١١٨/٢ وما بعدها .

[2] انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٣٢٢ ، وشرح النووي على صحيح مسلم ٤١/٢ .

وجاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال: ((من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه)).[1]

ونقل إجماع أهل السنة على أن مرتكب الكبيرة يبقى مؤمناً كثير من العلماء ، يقول ابن بطة العكبري : "وقد أجمع العلماء: أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب ولا نخرجه من الإسلام بمعصية "[2].

[1] أخرجه البخاري ، كتاب : الرقاق ، باب: القصاص يوم القيامة ، ص ٥٤٨ ، ح ٦٥٣٤ .

[2] انظر الشرح والإبانة ص١٢٣ ، ورسالة إلى أهل الثغر ص١٥٦ .

الفصل الرابع : المسائل العقدية المتعلقة بالتصوف :

المبحث الأول : الفناء والتجلي والكشف والمنامات .

المبحث الثاني : الحدس والوهب والوجدان والاستغراق .

المبحث الثالث : السُكْر والأنس والتوكل والتفريد .

المبحث الرابع : ارتفاع الحجب والغلبة وعالم المثال .

تمهيد :

التصوف لغة:

لم تعرف العرب التصوف بمعناه الاصطلاحي عند الصوفية ، بل ولم تستعمل مادة تصوف على وزن تفعل ، وإنما تكلمت العرب عن الصوف من مادة صوف بفتح الصاد والواو ، وهو للضأن من الغنم كالشعر للماعز ، وجمع الصوف أصواف على وزن أفعال ، وقد يطلق الصوف على الجمع ، تسمية للجمع باسم المفرد والأسماء منه أصواف ، وصوف بفتح الصاد وكسر الواو اسم للكبش كثير الصوف ، ويقال بمعناه صائف ، وصاف ، وصاف ، وصوفاني ، والأنثى منه صافة ، وصوفانة.

(الصوفة كل من ولي شيئا من عمل البيت) أي الكعبة.

(وصاف عني شره يصوف صوفا: عدل).

(وصاف السهم عن الهدف يصوف ويصيف عدل عنه).

(وهو مذكور في الياء أيضاً؛ لأنها كلمة واوية يائية).

(ومنه صاف عني شر فلان وأصافه الله عن شره). [1]

ولم ترد كلمة التصوف لا في كتاب الله ﷻ ولا في سنة رسوله ﷺ بل الوارد فيهما هي كلمة الصوف كما قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا

[1] انظر لسان العرب ١٩٩/٩، ٢٠٣ ، مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥/١١ وما بعدها ، كتاب الأفعال ، عالم الكتب ٢/ ٢٥٨، ٢٥٩.

تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴿٨٠﴾ [النحل: ٨٠] .[1]

يقول الإمام ابن تيمية :" أما لفظ الصوفية فإنه لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة ، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ ، كالإمام أحمد بن حنبل ، وأبي سليمان الداراني وغيرهما ، وقد روي عن سفيان الثوري أنه تكلم به ، وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري ، وتنازعوا في المعنى الذي أضيف إليه الصوفي ، فإنه من أسماء النسب كالقرشي والمدني وأمثال ذلك ، فقيل : إنه نسبة إلى أهل الصفة ، وهو غلط ، لأنه لو كان كذلك ، لقيل : صفي ، وقيل نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله . وهو أيضا غلط فإنه لو كان كذلك لقيل : صوفي ، وقيل نسبة إلى صوفة بن بشر بن أد بن بشر بن طابخة ، قبيلة من العرب كانوا يجاورون بمكة من الزمن القديم ينسب إليهم النساك ، وهذا وإن كان موافقا للنسب من جهة اللفظ فإنه ضعيف أيضا ، لأن هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى . ولأن غالب من تكلم باسم الصوفي لا يعرف هذه القبيلة ولا يرضى أن يكون مضافا إلى قبيلة في الجاهلية ، لا وجود لها في الاسلام وقيل وهو المعروف أنه نسبة إلى الصوف ، فإنه أول ما ظهرت الصوفية في البصرة . وأول من ابتنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد[2] ، وعبد الواحد من أصحاب الحسن ، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار ، وقد روى أبو الشيخ الأصبهاني بإسناده عن محمد بن سيرين أنه بلغه أن قوماً يفضلون لباس الصوف ، فقال:"إن قوماً يتخيرون لباس الصوف يقولون إنهم يتشبهون بالمسيح بن مريم ، وهدي نبينا أحب إلينا وكان " صلى الله عليه وسلم " يلبس القطن وغيره ، أو كلاماً نحوا من هذا ، ثم يقول بعد ذلك : هؤلاء نسبوا إلى اللبسة الظاهرة وهي

---

[1] مجلة البحوث الإسلامية بحث لدكتور: إبراهيم بن محمد البريكان،١٤١/٤١ ، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض.

[2] عبدالواحد بن زيد الأنصاري ت ١٥٠هـ ، الزاهد، شيخ العباد، أبو عبيدة البصري. حدث عن: الحسن، وعطاء بن أبي رباح وغيرهما ، وعنه: محمد بن السماك، ووكيع، وأبو سليمان الداراني وغيرهم ، قال البخاري: تركوه ، وقال النسائي: متروك الحديث ومات بعد الخمسين ومائة. ويقال: بقي إلى سنة سبع وسبعين ومائة ، ورجح الذهبي الأول ، انظر سير أعلام النبلاء ،دار الحديث ٥٨٧/٦،

لباس الصوف فقيل في أحدهم صوفي ، وليس طريقهم مقيداً بلبس الصوف ولا هم أوجبوا ذلك ولا علقوا الأمر به...فهذا أصل التصوف ، ثم إنه بعد ذلك تشعب وتنوع"[1].

تعريف التصوف اصطلاحاً:

تعريف التصوف عند الصوفية لا يقل اختلافاً عن اختلافهم في أصله واشتقاقه ، بل ازدادوا تعارضا وتناقضا فيه كثيراً ،حتى أوصله بعضهم إلى ألف تعريف وسبب هذا ما مر به التصوف من مراحل وتغيرات .[2]

قال الجنيد[3]:"التصوف أن تكون مع الله بلا علاقة" ، وقال أيضاً :" التصوف تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبعية وإخماد الصفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانية ومنازلة الصفات الربانية والتعلق بعلوم الحقيقة واتباع الرسول في الشريعة" [4]

وقال سهل بن عبد الله التستري[5]:"الصوفي من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر ، وانقطع إلى الله من البشر ، واستوى عنده الذهب والمدر " [6]

---

[1] مجموع الفتاوى لابن تيمية ١١/٥-٦ .

[2] التصوف المنشأ والمصادر ، إحسان إلهي ظهير ، ص٣٦ ، إدارة ترجمان السنة ، باكستان – لاهور ، ط : ١ ، ١٤٠٦هـ.

[3] الجنيد ابن محمد بن الجنيد النهاوندي ثم البغدادي القواريري ، هو شيخ الصوفية ، ولد سنة نيف وعشرين ومائتين تفقه على أبي ثور ، وسمع من: السري السقطي، وصحبه، ومن الحسن بن عرفة ، وصحب أيضاً: الحارث المحاسبي ، سير أعلام النبلاء ٤٣/١١.

[4] التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٢٥.

[5] سهل بن عبد الله بن يونس أبو محمد التستري (ت٢٨٣هـ)قال عنه الذهبي:"شيخ العارفين، أبو محمد التستري، الصوفي الزاهد...موته في المحرم، سنة ثلاث وثمانين ومائتين ، ويقال: عاش ثمانين سنة أو أكثر." سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٣٣/١٣ ، دار الرسالة .

[6] عوارف المعارف للسهروردي ص ٦٨. تحقيق : أحمد السايح ، توفيق علي وهبة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط:١ ، ١٤٢٧هـ.

ويقول الجرجاني في كتاب التعريفات :" التصوف:الوقوف على الآداب الشرعية ظاهراً ، فيرى حكمها من الظاهر في الباطن ، وباطناً فيرى حكمها من الباطن في الظاهر فيحصل للمتأدب بالحكمين كمال ، التصوف: مذهب كله جد ، فلا تخلطوه بشيء من الهزل.

وقيل تصفية القلب عن موافقة البرية ، ومفارقة الطبيعة ، وإخماد صفات البشرية ، ومجانبة الدعاوى النفسانية ، ومنازل الصفات الروحانية ، والتعلق بعلوم الحقيقة ، واستعمال ما هو أولى على السرمدية ، والنصح لجميع الأمة ، والوفاء لله على الحقيقة ، واتباع رسوله ﷺ في الشريعة .

وقيل: ترك الاختيار، وقيل بذل المجهود ، والأنس بالمعبود ، وقيل حفظ حواسك مع مراعاة أنفاسك .

وقيل: الإعراض عن الاعتراض، وقيل: هو صفاء المعاملة مع الله تعالى ، وأصله التفرغ عن الدنيا.

وقيل: الصبر تحت الأمر والنهي .

وقيل: خدمة التشرف وترك التكلف واستعمال التطرف، وقيل: الأخذ بالحقائق والكلام بالدقائق والإياس مما في أيد الخلائق" [1]

وهذا يبين اختلافهم في تعريف التصوف كما سبق .

وقد كانت بداية التصوف عبارة عن تمسك بالأخلاق والزهد في الدنيا ، ثم انحرف مفهومه إلى الانقطاع عن الدنيا والعلم ، ثم انحرف إلى عقائد باطلة ، كالحلول والاتحاد ، وترك الواجبات ، وفعل المحرمات وغيرها من الانحرافات . [1]

---

[1] التعريفات للجرجاني ص ٨٣-٨٤ ، وانظر عوارف المعارف ص٦٤.

فقد مر التصوف بأطوار متعددة وحاصلها:

الطور الأول: نزعة الزهد ، والورع ، والمبالغة في ذلك مع فقه في الدين، وهذا الطور كان من نهاية القرن الأول إلى منتصف القرن الثاني.

وهذه المظاهر وجدت عند بعض التابعين ، لكن لم يكن يصحبها شيء من الانحراف ، لا في العقائد ، ولا في السلوك، إنما كان الانحراف في تشديد البعض على النفس .

وحينما نتذكر هذا الطور ، لا نقول بأنه الأصل في التصوف ، لكن المتصوفة اتخذوه تكأةً وزعموا أن منهم الصحابة والتابعين ، لأنهم أخذوا أمثلة من التابعين ممن كانوا يشددون على أنفسهم وزعموا أنهم قدوة لهم ، وهناك بعض نزعات السلوك عند بعض التابعين أظهرها الصوفية بشكل أكبر مثل شدة البكاء ، والصعق عند سماع القرآن ، وهذه اتكأ عليها الصوفية واتخذوها مسلكاً وطريقة.

الطور الثاني: ظهور النزعات الفردية ، وتاريخ هذا الطور من منتصف القرن الثاني إلى القرن الثالث.

فظهر قوم يتعبدون بأذواقهم وأهوائهم دون استناد إلى أصول شرعية.

الطور الثالث: تحول الصوفية إلى اتجاهات وطرق ، وبداية ظهور المؤثرات الخارجية من اليهودية ، والنصرانية ، والمجوس ، والديانات الهندية وغيرها.

وهذه مرحلة الغموض والمصطلحات، وكانت هي الطريقة إلى الخروج إلى عالم الإلحاد ، وهذا الطور في القرن الرابع.

---

[1] انظر تلبيس إبليس ، لجمال الدين لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي ، ص ١٤٥وما بعدها ، دار الفكر ، بيروت ، ط: ١، ١٤٢١هـ.

الطور الرابع: ظهور التصوف الغالي ، وامتزاج التصوف بالباطنيين ، وهذا الطور الذي استقرت فيه الصوفية بدأ تقريباً من منتصف القرن الرابع ، فبدأت الطرق والمشيخة ، وامتزاج الصوفية بالإلحاد ، والحلول ، ووحدة الوجود ، وبهذا صارت الصوفية مسالك شتى لا ينظمها عقيدة واحدة ولا اتجاه واحد ، لا في العبادة ، ولا في السلوك ، وإنما يجمعها وصف الطريقة.[١]

ومن معالم الانحراف عند الصوفية التقليل من جانب العقل ، يقول عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية:" وكثير من المتصوفة يذمون العقل ويعيبونه ، ويرون أن الأحوال العالية والمقامات الرفيعة لا تحصل إلا مع عدمه ، ويقرون من الأمور بما يكذب به صريح العقل .

ويمدحون السكر والجنون والوله ، وأموراً من المعارف والأحوال التي لا تكون إلا مع زوال العقل والتمييز ، كما يصدقون بأمور يعلم بالعقل الصريح بطلانها ممن لم يعلم صدقه ، وكلا الطرفين مذموم – أي المتكلمين والمتصوفة – ، بل العقل شرط في معرفة العلوم ، وكمال وصلاح الأعمال ، وبه يكمل العلم والعمل ، لكنه ليس مستقلاً بذلك ، بل هو غريزة في النفس ، وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين ، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار ، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها ، وإن عزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أموراً حيوانية ، قد يكون فيها محبة ووجد وذوق كما قد يحصل للبهيمة ، فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة والأقوال المخالفة للعقل باطلة ، والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه ، ولم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه لكن المسرفون فيه قضوا بوجوب أشياء وجوازها وامتناعها لحجج عقلية بزعمهم اعتقدوها حقاً وهي باطل ، وعارضوا بها النبوات وما

---

[١] انظر الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين ، للدكتور سهل العتيبي ، ص٢٨٦-٢٨٨ ، دار كنوز إشبيليا ، الرياض ، ١٤٣٠هـ .

جاءت به ، والمعرضون عنه صدَّقوا بأشياء باطلة ، ودخلوا في أحوال وأعمال فاسدة ، وخرجوا عن التمييز الذي فضل الله به بني آدم على غيرهم ."[1]

وهذا ظاهر مشاهد من خلال تعريفات المتصوفة للفناء والسكر والغلبة وغيرها كما سيأتي .

يقول الإمام الذهبي :" فوالله لأن يعيش المسلم جاهلاً خلف البقر ، لا يعرف من العلم شيئاً سوى سور من القرآن يصلي بها الصلوات ، ويؤمن بالله وباليوم الآخر ، خير له بكثير من هذا العرفان وهذه الحقائق، ولو قرأ مئة كتابٍ أو عمل مئة خلوة."[2]

وقد تأثرت الصوفية شأنها شأن المذاهب والأحزاب الباطلة بأديان ومذاهب شتى ، ومن ذلك المصدر النصراني ، والبوذي ، والمصدر الهندي ، والمصدر اليوناني .[3]

ومصادر التلقي عند الصوفية بعد الكتاب والسنة: الوجد ، والكشف ، والذوق ، وتحت كل نوع من هذه أقسام ودرجات ، وهذا لا ينفي وجود مصادر أخرى يبنون عليها منهجهم كما سوف يأتي . [4]

وقد جعل غلاتهم العلوم الكشفية مقدمة على الكتاب والسنة ، يقول الغزالي :" فإذا عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية ؛ فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون ، والبحث عن الأقاويل والأدلة المذكورة ، بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ، ومحو الصفات المذمومة ، وقطع العلائق كلها ، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى ، ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده ، والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم وإذا تولى الله

---

[1] مجموع الفتاوى ٣/٣٣٨.

[2] ميزان الاعتدال ٣/٦٦٠ .

[3] انظر المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضاً ونقداً، د. صادق سليم صادق ، ص٣١ وما بعدها ، ط: ٢ ، ١٤٢٧هـ.

[4] المصدر السابق ص١١٦-١١٨ .

أمر القلب فاضت عليه الرحمة ، وأشرق النور في القلب ، وانشرح الصدر ، وانكشف له سر الملكوت..." [1]

وللصوفية مصطلحات كثيرة بنوا عليها مذهبهم ، وغالباً ما تكون مصطلحات غامضة تحتاج إلى بيان وايضاح .

يقول الدهلوي عن مصطلحات الصوفية :

" فالصوفية أظهرت أقاويل لا يدرى لها توفيق بين الكتاب والسنة لاسيما في مسألة التوحيد الوجودي لظهر من ذلك أنهم لا يحتفلون بالشرع وليس له عندهم قيمة "[2]

وقد انتقد الصوفية كثيرٌ من أئمة أهل السنة ، وممن انتقد الصوفية من أهل العلم الإمام الشافعي فقد أدرك بدايات التصوف ، وكان أكثر العلماء والأئمة إنكاراً عليهم ، وقد كان مما قاله في هذا الصدد :"لو أن رجلاً تصوف أول النهار لا يأتي الظهر حتى يصير أحمق"،وقال أيضاً :"ما لزم أحد الصوفيين أربعين يوماً فعاد عقله أبداً ..." [3].

وحذر الإمام أحمد من الحارث المحاسبي[4] لما تكلم عن الوساوس والخطرات ، قال الإمام أحمد: "ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون ، وحذر من مجالسة الحارث ، وقال لصاحب له: لا أرى لك ان تجال"[1].

---

[1] إحياء علوم الدين ، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، ١٩/٣ ، دار المعرفة ، بيروت ، ٢٠٠٤م.

[2] التفهيمات الإلهية ١٣٤-١٣٥ -نقلاً عن سيرة الإمام الدهلوي لأبي الحسن الندوي ص ١١٢ .

[3] تلبيس أبليس ص٢٧١ .

[4] الحارث بن أسد البغدادي المحاسبي (ت ٢٤٣هـ) ، أبو عبد الله ، شيخ الصوفية ، صاحب التصانيف الزهدية ، قال الخطيب: "له كتب كثيرة في الزهد ، وأصول الديانة ، والرد على المعتزلة والرافضة"من مؤلفاته : المسائل في أعمال القلوب والجوارح ، الخلوة والتنقل في العبادة ، انظر شذرات الذهب ١٩٧/٣، سير أعلام النبلاء ٤٨٨/٩ ، الأعلام للزركلي ١٥٣/٢ .

والإمام ابن الجوزي[2]: له كتابٌ سماه تلبيس ابليس خص الصوفية بمعظم فصوله وبيَّن تلبيس الشيطان عليهم .

وشيخ الإسلام ابن تيمية: كان من أعظم الناس بياناً لحقيقة التصوف ، وتتبعاً لأقوالهم ، وتحذير الأمة من شرورهم ، كذلك فعل الكثير من العلماء غيرهم .

فلا قبول ولا اعتبار للتصوف الذي يتناقض مع القرآن الكريم أو السنة النبوية أو ما اجتمعت عليه الصحابة الكرام في الصدر الأول من الدعوة الإسلامية، ولا معنى للتصوف الذي تتعارض مبادئ معتقده مع مبادئ الإسلام وما عُلم من الدين بالضرورة ، أو التصوف الذي يشتمل على عبارات وكلمات أو عقائد مخالفة لم ترد عن النبي ﷺ أو الصحابة الكرام رضي الله عنهم أو التابعين الأبرار، وتفتح باباً للفتن والشبهات ، ودعاوى الظن والشك ، وتبتعد عن صفاء الإسلام وبهائه ، ونصاعة الحق فيه.

---

[1] انظر تلبيس إبليس ص١٥٠ .

[2] ابن الجوزي (٥٠٨ – ٥٩٧ هـ) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي ، أبو الفرج: علامة عصره في التاريخ والحديث ، كثير التصانيف ، مولده ووفاته ببغداد ، ونسبته إلى (مشرعة الجوز) من محالها ، له نحو ثلاث مئة مصنف، منها: (تلقيح فهوم أهل الآثار، في مختصر السير والأخبار وتلبيس إبليس ، انظر شذرات الذهب ٤٧/١-٤٨ ، انظر الأعلام للزركلي ٣١٦/٣ .

المبحث الأول : الفناء والتجلي والكشف والمنامات .

المطلب الأول :- الفناء :

يقول الدهلوي:"واعلم أن الله تعالى إذا بعث رسولا وثبت رسالته بالمعجزة ، وأحل على لسانه بعض ما كان حراماً عندهم، ووجد بعض الناس في نفسه انجحاماً عنه ، وبقي في نفسه ميل إلى حرمته لما وجد في ملته من تحريمه فهذا على وجهين: إن كان لتردد في ثبوت هذه الشريعة، فهو كافر بالنبي، وإن كان لاعتقاد وقوع التحريم الأول تحريماً لا يحتمل النسخ لأجل أنه تبارك وتعالى خلع على عبد خلعة الألوهية، **أو صار فانياً في الله باقياً به،** فصار نهيه عن فعل أو كراهيته له مستوجبا لحرم في ماله وأهله، فذلك مشرك بالله تعالى، مثبت لغيره غضباً وسخطاً مقدسين وتحليلاً وتحريماً مقدسين."[1]

ويقول :" ومعنى تجلي الآخرة أن يعاين كمجازاه ببصر بصيرته في الدنيا والآخرة ، ويجد ذلك من نفسه كما يجد الجائع ألم جوعه والظمآن ألم عطشه ، فمثال الأول قول عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – حين سلم عليه إنسان وهو في الطواف فلم يرد ، فشكا إلى بعض أصحابه، فقال ابن عمر: ((كنا نترايا لله في ذلك المكان))[2]، وهذه الحالة **نوع من الغيبة ونوع من الفناء**..."[3].

---

[1] حجة الله البالغة ١٤٦/١ .

[2] لم أجده من خلال بحثي .

[3] حجة الله البالغة ١٦٦/٢-١٦٧.

تعريف الفناء :

١ – معنى الفناء في اللغة:

الفَناء نقيض البقاء ، والفعل فني يفنى فناء فهو فان، والفِناء سعة أمام الدار[١].

وتفانى القوم قتلاً ، أفنى بعضهم بعضاً ، وتفانوا أي أفنى بعضهم بعضاً في الحرب ، وفني يفنى فناء هرم وأشرف على الموت هرماً[٢].

فالفناء هو الاضمحلال والتلاشي والعدم، وقد يطلق على ما تلاشت قواه وأوصافه مع بقاء عينه كما يقال شيخ فان.[٣]

٢ – معنى الفناء في اصطلاح الصوفية:جاء المعجم الصوفي: "قيل الفناء هو الغيبة عن الأشياء...وقيل الفناء أن لا ترى شيئاً إلا الله، ولا تعلم إلا الله، وتكون ناسياً لنفسك ولكل الأشياء سوى الله"[٤].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً المعنى العام للفناء عند الصوفية:"ما يسميه بعض الصوفية الفناء، وهو استغراق القلب في الحق حتى لا يشعر بغيره"[٥].

---

[١] انظر: تهذيب اللغة ٣٤٣/١٥، لسان العرب ١٦٤/١٥.

[٢] لسان العرب ١٦٤/١٥، وانظر: تهذيب اللغة ٣٤٣/١٥.

[٣] انظر مدارج السالكين ١٥٤/١.

[٤] المعجم الصوفي ، دراسة علمية فى الأصول القرآنية للمصطلح الصوفى ، ص١٩٦ ، رسالة دكتوراة من كلية دار العلوم جامعة القاهرة ، إعداد: د. محمود عبد الرازق.

[٥] بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، ص٢٢٦ ، تحقيق: موسى الدويش ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ، ط: ٣ ، ١٤١٥هـ.

وجاء في اصطلاحات الصوفية: "الفناء بزوال الرسوم جميعاً بالكلية، في عين الذات الأحدية، مع ارتفاع الإثنينية، وهو مقام المحبوبية[1].

والفناء عند الصوفية ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١. الفناء عن إرادة السوى. ٢. الفناء عن شهود السوى. ٣. الفناء عن وجود السوى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية "والمعنى الذي يسمونه الفناء ينقسم إلى ثلاثة أقسام: فناء عن عبادة السوى، وفناء عن شهود السوى، وفناء عن وجود السوى.

فالأول: أن يفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه ، وبخوفه عن خوف ما سواه ، وبرجائه عن رجاء ما سواه، وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه ، وبمحبته عن محبة ما سواه :

وهذا هو حقيقة التوحيد والإخلاص الذي أرسل الله به رسله ، وأنزل به كتبه ، وهو تحقيق لا إله إلا الله ، فإنه يفنى من قلبه كل تأله لغير الله ، ولا يبقى في قلبه تأله لغير الله ، وكل من كان أكمل في هذا التوحيد كان أفضل عند الله.

والثاني: أن يفنى عن شهود ما سوى الله – تعالى –:

وهذا الذي يسميه كثير من الصوفية حال الاصطلام والفناء والجمع ونحو ذلك ، وهذا فيه فضيلة من جهة إقبال القلب على الله ، وفيه نقص من جهة عدم شهوده للأمر على ما هو عليه ؛ فإنه إذا شهد أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه ، وأنه المعبود لا إله إلا هو ، الذي أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، وأمر بطاعته ، وطاعة رسله ، ونهى عن معصيته ، ومعصية رسله ، فشهد حقائق أسمائه وصفاته وأحكامه خلقاً وأمراً، كان أتم معرفة وشهوداً وإيماناً وتحقيقاً من أن يفنى

---

[1] اصطلاحات الصوفية للقاشاني ص٢١٢، وانظر: معجم الكلمات الصوفية ص١٩١.

بشهود معنى عن شهود معنى آخر، وشهود التفرقة في الجمع، والكثرة في الوحدة، وهو الشهود الصحيح المطابق، لكن إذا كان قد ورد على الإنسان ما يعجز معه عن شهود هذا وهذا كان معذوراً للعجز، لا محموداً على النقص والجهل.

والثالث : الفناء عن وجود السوى :

وهو قول الملاحدة أهل الوحدة، كصاحب الفصوص وأتباعه الذين يقولون وجود الخالق هو وجود المخلوق، وما ثم غير ولا سوى في نفس الأمر، فهؤلاء قولهم أعظم كفراً من قول اليهود والنصارى وعباد الأصنام[١].

والمعنى الأول للفناء مطلوب ، أما الفناء بالمعنى الثاني فهو الذي يظنه الصوفية غاية السالكين، مع أنه ليس غاية محمودة بل هو فناء الناقصين [٢]، وهو الفناء في شهود الربوبية، وهؤلاء ليس مرادهم فناء وجود ما سوى الله في الخارج، بل فناؤه عن شهودهم وحسهم، فحقيقته غيبة أحدهم عن سوى مشهوده، بل غيبته أيضاً عن شهوده ونفسه ؛ لأنه يغيب بمعبوده عن عبادته ، وبمذكوره عن ذكره ، وبموجوده عن وجوده ، وبمحبوبه عن حبه ، وبمشهوده عن شهوده ، وقد يسمى حال مثل هذا سكراً واصطلاماً ومحواً وجمعاً، وقد يفرقون بين معاني هذا الأسماء".[٣]

ويعرض للسالك على درب الفناء معاطب، ومهالك ، منها أنه إذا اقتحم عقبة الفناء ظن أن صاحبها قد سقط عنه الأمر، لتشويشه على الفناء، ونقضه له، والفناء عنده غاية العارفين، ونهاية التوحيد، فيرى ترك كل ما أبطله وأزاله من أمر ونهي أو غيرهما .

---

[١] مجموع الفتاوى٢/ ٣٦٩ وما بعدها ، وانظر مدارج السالكين١/١٥٤ - ١٥٥، ٣/٣٧٨ - ٣٨٠.

[٢] انظر مدارج السالكين١/١٤٩، ١٥٥.

[٣] مدارج السالكين ١/١٥٥.

ويصرح بعضهم بأنه إنما يسقط الأمر والنهي عمن شهد الإرادة ، ولم يعلم هذا المغرور أن غاية ما معه الفناء في توحيد أهل الشرك الذي أقروا به ولم يكونوا به مسلمين ألبتة، كما قال – تعالى – : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٥﴾ [لقمان: ٢٥] ، ومن كان هذا التوحيد والفناء غاية توحيده ، انسلخ من دين الله ، ومن جميع رسله وكتبه.[١]

المصطلحات التي تدخل تحت لفظ الفناء:

يستخدم الصوفية مصطلحات أخرى للتعبير عن معنى الفناء ، كلفظ المحو ، والجمع ، والاصطلام ، والسكر، ، وهذه المصطلحات تشترك معاً في غيبة المتصف بها عن شهود ما سوى الله ، وقد يفرق بعض الصوفية بينها من حيث السبب الباعث لغيبة الشخص عن ما سوى الله، ومن حيث درجة هذه الغيبة، وحال المتصف بها،

يقول شيخ الإسلام مبيناً تقارب هذه الألفاظ: "...أن يفنى عن شهود ما سوى الله وهذا الذي يسميه كثير من الصوفية حال الاصطلام والفناء والجمع ونحو ذلك"[٢].

---

[١] انظر: المرجع السابق ١/١٦٠.

[٢] مجموع الفتاوى ٢/٣٧٠.

المطلب الثاني :– التجلي :

يقول الدهلوي :" ومن الأحوال المتعلقة بالعقل التجلي قال سهل: التجلي على ثلاثة أحوال: تجلي ذات وهي المكاشفة، وتجلي صفات الذات ، وهي مواضع النور ، وتجلي حكم الذات وهي الآخرة وما فيها.[1]

فمعنى المكاشفة غلبة اليقين حتى يصير كأنه يراه ويبصره، ويبقى ذاهلاً عما عداه كما قال ﷺ : ((الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه))[2] أما مشاهدة العيان وهو في الآخرة لا في الدنيا.

وقوله: تجلي صفات الذات يحتمل وجهين: أحدهما أن يراقب أفعاله في الخلق، ويستحضر صفاته، فيغلب يقين قدرة الله عليه، فيغيب عن الأسباب ، ويسقط عنه الخوف والتسبب ، ويغلب عليه علمه تعالى به ، فيبقى خاضعاً مرعوباً مدهوشاً كما قال ﷺ : ((فإن لم تكن تراه فإنه يراك))[3] ، وهي مواضع النور بمعنى أن النفس تتنور بأنوار متعددة ، تتقلب من نور إلى نور ، ومن مراقبة إلى مراقبة ، بخلاف تجلي الذات إذ لا تعدد هنالك ولا تحول.

وثانيهما: أن يرى صفة الذات بمعنى فعلها وخلقها بأمر كن من غير توسط الأسباب الخارجية ، ومواضع النور هي الأشباح المثالية النورية التي تتراءى للعارف عند غيبة حواسه عن الدنيا.

ومعنى تجلي الآخرة أن يعاين كمجازاه ببصر بصيرته في الدنيا والآخرة ، ويجد ذلك من نفسه كما يجد الجائع ألم جوعه والظمآن ألم عطشه ، فمثال الأول قول عبد الله بن عمر – رضي الله

[1] انظر التعرف لمذهب أهل التصوف ، لمحمد الكلاباذي أبو بكر ، ص١٢١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٠هـ .

[2] سبق تخريجه .

[3] سبق تخريجه .

عنهما – حين سلم عليه إنسان وهو في الطواف فلم يرد ، فشكا إلى بعض أصحابه، فقال ابن عمر: ((كنا نترايا لله في ذلك المكان))[1]، وهذه الحالة نوع من الغيبة ونوع من الفناء..."[2].

ذكر الدهلوي التجلي وقسمه إلى ثلاثة أحوال : تجلي ذات وهو المكاشفة ، وتجلي صفات الذات مواضع النور ، وتجلي حكم الذات وهي الآخرة وما فيها ، وقصد بالمكاشفة هنا الإحسان وهو أن يعبد العبد الله كأنه يراه ، ثم عقب بأن مشاهدة العيان تكون في الآخرة فقط .

وتجلي صفات الذات عنده يحتمل وجهين :-

الأول :أن يراقب أفعال الله إلى أن يغيب عن الأسباب ويسقط عنه الخوف والتسبب ويغلب علمه تعالى به ، والثاني أن يرى صفة الذات بمعنى فعلها وخلقها بأمر كن من غير توسط الأسباب الخارجية[3] ، ومواضع النور هي الأشباح المثالية النورية التي تتراءى للعارف عند غيبة حواسه عن الدنيا .[4]

تعريف التجلي لغة :

التجلي لغة : (جلو) الجيم واللام والحرف المعتل أصلٌ واحد، وقياسٌ مطّرد، وهو انكشاف الشيء وبروزُه. يقال جَلَوْتُ العروسَ جَلْوَةً وجَلاَءً، وجَلَوْت السيف جَلاءً قال الكسائي[5]

---

[1] لم أجده من خلال بحثي .

[2] حجة الله البالغة ٢/١٦٦-١٦٧.

[3] انظر مبحث الأسباب ومسبباتها .

[4] ومواضع النور التي يذكرها الدهلوي لا محصل من ذكرها هنا ؛ فهي كما قال أشباح وفي الغالب تخيلات وليس على قول الدهلوي دليل .

[5] علي بن حمزة الكسائي(ت ١٨٣ وقيل ١٨٩ وقيل ١٩٢) :هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان، من ولد بهمن بن فيروز، مولى بني أسد، النحوي أحد الأئمة في القراءة والنحو واللغة، وأحد السبعة القراء المشهورين. انظر معجم

:"السماء جَلْواءُ أي مُصْحِية ، ويقال تجلَّى الشيءُ ، إذا انكشَفَ ، ورُجلٌ أُجْلَى ، إذا ذهب شَعْر مقدّم رأسِه، وهو الجَلا "[1].

تعريف التجلي في اصطلاح المتصوفة: هو ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب.[2]

ويذكر الهجويري[3] أن التجلي هو ما يسطع من الأنوار الربانية على قلوب المقبلين ، التي بها يتمكنون من رؤية الله تعالى بقلوبهم . [4]

وقد تطور مدلول التجلي عند الصوفية من معنى إشراق أنوار الإيمان على القلوب ، وشهود الربوبية إلى الفناء في هذا الشهود ، ثم تجلي الذات الإلهية بالحجاب فيشهدون نوره دون أن يروه ، ثم رؤيه الله في هذه الدنيا ومعاينته تارة بالحجاب ، وتارة بدون حجاب عند الحلولية ، وأخيراً حلوله في المخلوقات عند غلاة الصوفية فيظهرها من العدم إلى الوجود ويرى من خلالها ؛ فكما أن الممكنات والمخلوقات تفتقر إلى تجليه فيها للظهور إلى الوجود فهو مفتقر إليها يرى نفسه

الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ، لياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، ١٧٣٨/٤ ، تحقيق: إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط:١، ١٤١٤ هـ .

[1] معجم مقاييس اللغة ٤٦٨/١.

[2] انظر: معجم الكلمات الصوفية ص٢١، المعجم الصوفي ص٤٨.

[3] الهجويري (٤٦٥هـ) أبو الحسن علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي الهجويري الغزنوي من صوفية القرن الخامس مات توفي في مدينة لاهور ودفن بها ، له كتاب كشف المحجوب بالفارسية وعُرِّبَ مؤخراً ، انظر كشف المحجوب ، لعلي بن عثمان الهجويري ، ص١١ ، دراسة وترجمة وتعليق : إسعاد عبد الهادي قنديل ، مراجعة وتقديم : بديع جمعة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٧م.

[4] كشف المحجوب ص٤٧٢ ، وانظر لطائف الإشارات ٢٥٩/٢ فى شرح أبي القاسم القشيرى لموقف موسى عند التجلى ، حيث أفاض فيه بتوسع – نقلاً عن المعجم الصوفي دراسة قرآنية ٧٨/٩ –.

وأسمائه وصفاته و تراه الممكنات والمخلوقات من خلال هذه المجالي والتعيينات تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً .[1]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة واصفاً حال المتصوفة في التجلي: " وكثير من النساك يظنون أنهم يرون الله في الدنيا بأعينهم ، وسبب ذلك أنه يحصل لأحدهم في قلبه بسبب ذكر الله تعالى وعبادته من الأنوار ما يغيب به عن حسه الظاهر ، حتى يظن أن ذلك هو شيء يراه بعينه الظاهرة ، وإنما هو موجود في قلبه...موجود في الخارج "[2] .

وقد تطور مفهوم التجلي كما سبق وبخاصة في مؤلفات محيي الدين بن عربي ، واكتسب أبعاداً جديدة ، لم تُعرف له من قبل: فتجلي الذات الذى لم يكن يعنى- عند أوائل الصوفية- أكثر من رؤية قلبية فى الدنيا وعيانية فى الآخرة أصبح يعني تجلي الذات فى الذات ، أي : تجلي الحق بذاته فى ذاته ، بحيث يكون التجلي عين المتجل أي وحدة الوجود .

وابن عربي ذاته جعل الوصول للغيب يكون عن طريق التجلي يقول في ذلك :

"الكشف والإطلاع على الغيب يكون بطريق التجلي ، إما بالتنزل أو بالعروج "[3]

ويتجلى الله تعالى عندهم في كل شيء ، وكان لهذا أعظم الأثر في دين متأخري الصوفية ؛ فقالوا بوحدة الأديان وكلها نتيجة إيمانهم بفلسفة وحدة الوجود ، فيقولون: إن الله هو الظاهر في كل شيء ، والشيء يطلق على الصنم أيضاً فكل من عبد شجراً أو حجراً ، حيواناً أو إنساناً ، كوكباً

---

[1] مدلولات مصطلحات الصوفية عبر مراحل التصوف ، د. دولة العسيري ، ص٦٦١ رسالة دكتوراة ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض .

[2] انظر منهاج السنة النبوية ٢/٦٢٤-٦٢٥ .

[3] انظر إنشاء الدوائر لابن عربي ص ٣٥ ، مطبعة بريل ليدن ١٣٣٦ هـ ، وانظر التدبيرات الإلهية لابن عربي ص ١٥٩ ، ومثله في ص ١٧١- نقلاً عن دراسات في التصوف لإحسان إلهي ظهير ص٣٢٧.

أو ملكاً ، فهو في الحقيقة يعبد الله ، وهذا هو معنى (لا إله إلا الله) عندهم كما يقول عبد الكريم الجيلي[1] :

" لا إله إلا أنا: يعني الإلهية المعبودة ليست إلا أنا ، فأنا الظاهر في تلك الأوثان والأفلاك والطبائع ، وفي كل ما يعبده أهل كل ملّة ونحلة ، فما تلك الآلهة إلا أنا ، ولهذا أثبت لهم لفظة الآلهة ، وتسمية لهم بهذه اللفظة من جهة ما هم عليه في الحقيقة تسمية حقيقة لا مجازية ، ولا كما يزعم أهل الظاهر أن الحق إنما أراد بذلك من حيث أنهم سموهم آلهة ، لا من حيث أنهم في أنفسهم لهم هذه التسمية ، وهذا غلط منهم وافتراء على الحق ، لأن هذه الأشياء كلها بل جميع ما في الوجود له من جهة ذات الله تعالى في الحقيقة هذه التسمية تسمية حقيقة ، لا كما يزعم المقلد من أهل الحجاب أنها تسمية مجازية ، ولو كان كذلك لكان الكلام أن تلك الحجارة والكواكب والطبائع والأشياء التي تعبدونها ليست بآلهة ، وأن لا إله إلا الله أنا فأعبدوني ، لكنه إنما أراد الحق أن يبين لهم أن تلك الآلهة مظاهر ، وأن حكم الألوهية فيهم حقيقة وأنهم ما عبدوا في جميع ذلك إلا هو ، فقال ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ...[طه: ١٤] أي ما ثم ما يطلق عليه إسم الإله إلا وهو أنا ، فما في العالم ما يعبد غيري ، وكيف يعبدون غيري وأنا خلقتهم ليعبدوني ولا يكون إلا ما خلقتهم له ، قال عليه الصلاة والسلام في هذا المقام: ((كل ميسر لما خلق له)) ،[2] أي لعبادة الحق لأن الحق تعالى قال : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] ، وقال تعالى: ﴿...وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ... ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤] ، فنبه الحق نبيه موسى عليه السلام على أن أهل تلك الإلهة إنما عبدوا الله تعالى ، ولكن من جهة ذلك المظهر ، فطلب من موسى

[1] عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي ، ابن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني: من كبار الصوفية ، والقائلين بوحدة الوجود ، من مؤلفاته الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل في اصطلاح الصوفية، و الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم ، انظر الأعلام للزركلي ٤/ ٥٠ .

[2] أخرجه البخاري من حديث عمران ﷺ ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴿٢٢﴾﴾ [القمر: ٢٢] ، ص٦٣٠ ،ح٧٥٥١ ، عن عمران قال قلت يا رسول الله فيما يعمل العاملون قال ((كل ميسر لما خلق له)).

أن يعبده من جهة جميع المظاهر فقال ﴿... لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ... ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١٤] أي ما ثم إلا أنا ، وكل ما أطلقتموه عليه إسم الإله فهو أنا " [١]

ويقول الشعراني[٢]:" اعلم أن الموحد سعيه بأي وجه كان توحيده ، وإن لم يكن مؤمناً بكتاب ولا رسول يدخل الجنة."[٣]

وأما ابن عربي فأمره مشهور ، وقد ذكر في كتبه نصوصاً عديدة ، وأنشد أبياتاً كثيرة تدلّ على أنه يؤمن بوحدة الأديان ، فعبادة الأصنام والأوثان عنده هي عبادة الله تعالى ، والدير لديه كالكعبة ، الكنيسة كالمسجد ، لتنوع التجليات الإلهية ، فهو الظاهر المتجلي في كل شيء ، فيقول:

" لقد صار قلبي قابلاً كل صورة ... فمرعى الغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنى توجهت ... ركائبه فالدين ديني وإيماني "[٤].

وهذا القول بلا شك من أعظم الكفر بالله تعالى ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

---

[١] الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي ج ١ ص ٩٩- نقلاً بواسطة دراسات في التصوف ص٣٢٧ - .

[٢] الشعراني (٨٩٨ - ٩٧٣ هـ)عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحَنَفي، نسبه إلى محمد ابن الحنفية، الشعراني، أبو محمد: من علماء المتصوفين ، ولد في قلقشندة (بمصر) ونشأ بساقية أبي شعرة (من قرى المنوفية) وإليها نسبته: (الشعراني، ويقال الشعراوي) وتوفي في القاهرة ، له تصانيف ، منها : البحر المورود في المواثيق والعهود و البدر المنير (في الحديث) ، انظر الأعلام للزركلي ٤/١٨٠ .

[٣] اليواقيت والجواهر للشعراني ٢/ ٥٨ - نقلاً بواسطة دراسات التصوف ص٣٢٧ -.

[٤] ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق لابن عربي ص ٤٩ وما بعدها - نقلاً عن المصدر السابق - .

أما التجلي في عرف أهل السنة والجماعة فهو من صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة .

فالتجلي : صفةٌ فعليةٌ خبريَّةٌ ثابتةٌ لله عَزَّ وجَلَّ بالكتاب والسنة ، ومعناه الظهور للعيان، لا كما تقول الصوفية: التَّجَلِّي: ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب ، وغيره مما ذكر عنهم .

قال الإمام أحمد كما في مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: " وهو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش، وهو الذي كَلَّم موسى تكليماً، وتَجَلَّى للجبل فجعله دكاً، ولا يماثله شيءٌ من الأشياء في شيءٍ من صفاته ، فليس كَعِلمه علمُ أحدٍ، ولا كقدرته قدرةُ أحدٍ ، ولا كرحمته رحمةُ أحدٍ ، ولا كاستوائه استواء أحدٍ ، ولا كسمعه وبصره سمع أحدٍ ولا بصره ، ولا كتكليمه تكليم أحدٍ، ولا كَتَجَلِّيهِ تَجَلِّي أحدٍ "

والأصل دائماً حمل كلام الله وكلام رسوله ﷺ على الحقيقة وبلا كيف .

قال الإمام ابن عبد البر: " وقول رسول الله ﷺ : ((يَنْزِل ربُّنَا إلى السماء الدنيا))[1] عندهم مثل قول الله عزَّ وجلَّ ﴿... فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ ...﴾ [الأعراف: ١٤٣] ، ومثل قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] ، كلهم يقول يَنْزِل ويَتَجَلَّى ويجيء، بلا كيف، لا يقولون: كيف يجيء وكيف يَتَجَلَّى وكيف يَنْزِل، ولا من أين جاء ولا من أين تَجَلَّى ولا من أين يَنْزِل، لأنه ليس كشيءٍ من خلقه، وتعالى عن الأشياء، ولا شريك له، وفي قول الله عزَّ وجلَّ ﴿...فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا...﴾ [الأعراف: ١٤٣] دلالةٌ واضحةٌ أنه لم يكن قبل ذلك متجلّيَاً للجبل ، وفي ذلك ما يفسر معنى حديث التَنْزيل .

---

[1] سبق تخريجه.

ومن أراد أن يقف على أقاويل العلماء في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿...فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ...﴿١٤٣﴾﴾ فلينظر في تفسير بقيٍّ بن مخلد[1] ومحمد بن جرير وليقف على ما ذكرا من ذاك ، ففيما ذكرا منه كفاية،وبالله العصمة والتوفيق"[2]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وطريقة الرسل هي ما جاء بها القرآن والله تعالى في القرآن يثبت الصفات على وجه التفصيل وينفي عنه – على طريق الإجمال – التشبيه والتمثيل ، فهو في القرآن يخبر أنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وأنه عزيز حكيم غفور رحيم ، وأنه سميع بصير ، وأنه غفور ودود وأنه تعالى – على عظم ذاته – يحب المؤمنين ويرضى عنهم ، ويغضب على الكفار ويسخط عليهم ، وأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ، وأنه كلم موسى تكليما ، وأنه تَجَلَّى للجبل فجعله دكاً ،وأمثال ذلك"[3].

فأهل السنة يثبتون تجلي الله ﷻ بصفة الواردة فقط دون زيادة ودون تحريف وتعطيل وتمثيل وتكييف.

---

[1] (٢٠١– ٢٧٣ وقيل ٢٧٦) بقي بن مخلد بن يزيد ، أبو عبد الرحمن الأندلسي الحافظ أحد علماء الأندلس، ذو رحلةٍ واسعة ،كان ورعاً فاضلاً زاهداً ، روي أن عدد شيوخه الذين روى عنهم مئتان وأربعة وثمانون رجلاً ، انظر تاريخ دمشق ، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر ، ٣٥٤/١٠–٣٥٩، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمَّان ، ١٤١٥ هـ.

[2] التمهيد ١٥٣/٧ .

[3] مجموع الفتاوى ٣٧/٦.

المطلب الثالث :– الكشف :

- **يقول الدهلوي** :" قوله ﷺ : ((إن هذه الصدقات إنما هي من أوساخ الناس ، وأنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد)) .[1]

أقول: إنما كانت أوساخاً لأنها تكفر الخطايا، وتدفع البلاء ، وتقع فداء عن العبد في ذلك ، فيتمثل في مدارك الملأ الأعلى أنها هي كما يتمثل في الصورة الذهنية واللفظية والخطية أنها وجودات للشيء الخارجي الذي جعلت بإزائه ، وهذا يسمى عندنا بالوجود التشبيهي ، **فتدرك بعض النفوس العالية أن فيها ظلمة ، وينزل الأمر إلى بعض الأحياز النازلة ، وقد يشاهد أهل المكاشفة تلك الظلمة أيضاً، وكان سيدي الوالد قدس سره يحكي ذلك** من نفسه كما قد يكره أهل الصلاح ذكر الزنا وذكر الأعضاء الخبيثة، ويحبون ذكر الأشياء الجميلة، ويعظمون اسم الله..."[2]

ذكر الدهلوي في كلامه تأويلاً مخالفاً[3] ، وذكر مصطلح الكشف وحكى كشفاً لأبيه ، وفي هذا المبحث سأتكلم عن مصطلح الكشف .

معنى الكشف في اللغة:

الكشف رفعك شيئاً عما يواريه ويغطيه، كرفع الغطاء على الشيء[4].
وفي الصحاح: "وكاشفه بالعداوة، أي باداه بها"[5].
"وكشف الأمر يكشف كشفاً أظهره"[6]. والأكشف الذي لا ترس معه في الحرب[1].

---

[1] أخرجه مسلم بنحوه من حديث عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث ﷺ ،ص٨٤٨-٨٤٩ ،ح٢٤٨١.
[2] حجة الله البالغة ٨٢/٢ .
[3] انظر مطلب التأويل .
[4] انظر: تهذيب اللغة ١٨/١٠، لسان العرب ٣٠٠/٩.
[5] الصحاح ١٤٢٢/٤.
[6] لسان العرب ٣٠٠/٩.

معنى الكشف في اصطلاح الصوفية:

ظهر مصطلح الكشف ليدل على ما يحدثه الله تعالى في قلب العبد من العلوم التي تخفى على غيره من الناس عند قربه من الله ﷻ .

ثم تطور في القرن الخامس الهجري ليدل على مدلولات متباينة كشهود صفات الله شهوداً قلبياً ، والتحير في هذه الصفات والكشف عن ذات الله ﷻ والنبوات وأمور الدنيا والآخرة.

وأخيراً عند غلاة الصوفية أصبح مدلول الكشف : انكشاف الحقائق العلمية ، والصفات الإلهية والأمور الكونية ، وكل ما يختص به الله تعالى عند تجلي الحق في العبد ، وحلوله فيه تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً.[٢]

قال الجرجاني: "الكشف في اللغة رفع الحجاب ، وفي الاصطلاح هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً "[٣].

والكشف طريق للمعرفة عند الصوفية ، وحاكم على الوحي عندهم ، بل قال الغزالي إنه لا يستدل بالسمع على شيء من العلم الخبري، وإنما الإنسان يعرف الحق بنور إلهي، يقذف في قلبه، ثم يعرض الوارد في السمع عليه، فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه، وما خالف أولوه [٤]، بل زادت طائفة أخرى على ذلك فادعوا أنهم يعلمون إما بالكشف وإما بالعقل الحقائق التي أخبر بها الرسول أكمل من علمه بها[٥]، وهو ما يصرح به مشايخ الاتحادية ، وكثير منهم يدعي الكشف

---

[١] تهذيب اللغة ١٠/١٨– ١٩ .

[٢] انظر مدلولات مصطلحات الصوفية ص ١٢٤٤– ١٢٥٥.

[٣] التعريفات للجرجاني ص٢٣٧ .

[٤] انظر: إحياء علوم الدين ١/١٠٤.

[٥] انظر: درء التعارض ٥/٣٣٩ – ٣٤٠.

والشهود لما يخبرون عنه ، وأن تحققهم لا يوجد بالنظر والقياس والبحث ، وإنما هو شهود الحقائق وكشفها، ويقولون: ثبت عندنا بالكشف ما يناقض صريح العقل.[١]

والكشف يقابله الإشراق عند السهروردي[٢]، والإشراق عنده هو ظهور الأنوار العقلية، ولمعانها وفيضانها على الأنفس الكاملة، عند التجرد عن المواد الجسمية.[٣]

وعرفه أيضاً بأنه" شروق الأنوار على النفس بحيث تنقطع عن منازعة الوهم"[٤].

ومما يدخل في معنى الكشف عند الصوفية، وهو من أنواعه وحالاته ووسائله:

١ – **الوارد**: وهو كل ما يرد على القلب من المعاني الغيبية من غير تعمد من العبد[٥].
٢ – **الخاطر**: وهو ما يرد على القلب والضمير من الخطاب، ربانياً كان أو ملكياً، أو نفسياً، أو شيطانياً، من غير إقامة ، وقد يكون كل وارد لا تعمّل لك فيه[٦].
٣ – **التجلي**: وهو ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب.[٧]
٤ – **المحادثة**: وهي خطاب الحق للعارفين من عالم الملك والشهادة.[١]

---

[١] انظر بيان تلبيس الجهمية ٢/٤١-٤٢.

[٢] الفيلسوف شهاب الدين يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي، قال عنه الذهبي :" كان قليل الدين، وقال ابن أبي أصيبعة اسمه عمر، له كتاب التلويحات اللوحية والعرشية، وكتاب المعارج والمطارحات، وكتاب حكمة الإشراق، وسائرها ليست من علوم الإسلام ، وكان يتهم بالانحلال والتعطيل، ويعتقد مذهب الأوائل، اشتهر ذلك عنه وأفتى علماء حلب بقتله، وقتل في أوائل سنة ٥٨٧ هـ " انظر سير أعلام النبلاء ١٥/٣٧٥.

[٣] انظر: حكمة الإشراق للسهروردي ص٢٩٨، المعجم الفلسفي للأستاذ مراد وهبة ص٦٨- نقلاً بواسطة المصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية ص٤٦٢.

[٤] رسالة كلمات الصوفية للسهروردي، مجلة معهد المخطوطات العربية رقم ٢٨، ص ١٨٣، المعجم الفلسفي للأستاذ مراد وهبة ص٦٨ –نقلاً عن المصدر السابق – .

[٥] انظر: المعجم الصوفي للدكتور الحفني ص٢٥٥.

[٦] انظر: معجم الكلمات الصوفية للنقشبندي ص٣٠، المعجم الصوفي ص٨٥.

[٧] انظر معجم الكلمات الصوفية ص٢١، المعجم الصوفي ص٤٨.

٥ – **الذوق**: وهو نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه، يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غير.[٢]

٦ – **البصيرة**: وهي قوة للقلب منورة بنور القدس، منكشف حجابها بهداية الحق، تُرى بها حقائق الأشياء وبواطنها، وتسمى القوة القدسية.[٣]

وكأن الذوق والبصيرة وسائل وأدوات للكشف، وأما الوارد ، والخاطر ، والتجلي ، والمحادثة ، والمسامرة ، فهي أضرب وأنواع للكشف.[٤]

موقف أهل السنة من الكشف:

لقد ورد لفظ الكشف في القرآن، ومنه قوله تبارك وتعالى : ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] ، وقال ﷻ : ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦] ، وورد في السنة الفعل كشف ، ومن ذلك ما رواه أنس رضي الله عنه قال: ((بينما المسلمون في صلاة الفجر، لم يفجأهم إلا رسول الله – ﷺ – كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم وهم صفوف، فتبسم يضحك...)) [٥]، وهو على معناه في اللغة.

والكشف في الاصطلاح عند أهل السنة نوع من الخوارق ، وذلك بأن يسمع الشخص مالا يسمعه غيره ، أو يرى ما لا يراه غيره، أو أن يعلم ما لا يعلمه غيره، إما من طريق الوحي والإلهام

---

[١] انظر لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام ، لعبد الرزاق الكاشاني ، ص٦٢٥ ، تحقيق: أ.د أحمد السايح ، المستشار توفيق وهبه ، أ.د عامر النجار ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٤٢٦هـ ،٢٠٠٥م .

[٢] انظر معجم ألفاظ الصوفية للدكتور الشرقاوي ص١٤٥ – ١٤٦.

[٣] انظر المعجم الصوفي ص٤٤.

[٤] انظر الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية لآمال العمرو ص٤٦٣ .

[٥] أخرجه البخاري عن أنس ﷺ ، كتاب الأذان ، باب هل يلتفت لأمر ينزل به ؟ أو يرى شيئاً أو بصاقاً في القبلة ؟ ، ص٦٠ ، ح ٧٥٤ .

وهذا للمؤمن ، وقد يكون كرامة من الله لعبده ، وقد يحصل للنفس نوع من الكشف ، إما يقظة وإما مناماً ؛ بسبب قلة علاقتها مع البدن، إما برياضة أو بغيرها ، وهذا هو الكشف النفساني ، وهو مشترك بين المؤمن والكافر.[1]

يقول شيخ الإسلام موضحاً معنى الكشف وأنواعه: "فما كان من الخوارق من باب العلم، فتارة بأن يسمع العبد مالا يسمعه غيره ، وتارة بأن يرى مالا يراه غيره يقظة ومناماً ، وتارة بأن يعلم مالا يعلم غيره وحياً وإلهاماً ، أو إنزال علم ضروري ، أو فراسة صادقة.

ويسمى كشفاً ومشاهدات، ومكاشفات ومخاطبات، فالسماع مخاطبات، والرؤية مشاهدات، والعلم مكاشفة ، ويسمى ذلك كله كشفاً ومكاشفة أي كشف له عنه"[2].

والكشف الصحيح أن يعرف الحق الذي بعث الله به رسله ، وأنزل به كتبه ، معاينة لقلبه [3]، فينكشف له من غوامض علوم الدين ما لا ينكشف لغيره ، ويكون مع علمه عاملاً ، فهذا من كشف الأولياء ، وهو كشف ظاهر المنفعة.

ومن الكشف مالا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة، كالاطلاع على سيئات العباد ، وركوب السباع لغير حاجة ، والاجتماع بالجن لغير فائدة ، والمشي على الماء مع إمكان العبور على الجسر ، فهذا لا منفعة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة وهو بمنزلة العبث واللعب وإنما يستعظم هذا من لم ينله "[4].

---

[1] انظر الصفدية ، لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم (شيخ الإسلام ابن تيمية) ١٨٧/١، تحقيق : محمد رشاد سالم ، مكتبة ابن تيمية، مصر ، ط:٢، ١٤٠٦هـ ، شرح الطحاوية ٧٥٣/٢ -٧٥٤ .

[2] مجموع الفتاوى ٣١٣/١١.

[3] انظر مدارج السالكين ٢٢٦/٣.

[4] انظر مجموع الفتاوى ٣٢٨/١١.

ولابد أن يقترن الدين بالكشف، وإلا هلك صاحبه في الدنيا والآخرة، أما في الآخرة فلعدم الدين الذي هو أداء الواجبات وترك المحرمات، وأما في الدنيا فإن الخوارق هي من الأمور الخطرة ، التي لا تنالها النفوس إلا بمخاطرات في القلب والجسم والأهل والمال.[1]

وأما قول بعض الصوفية والاتحادية، أنه ثبت عندهم بالكشف ما يخالف الكتاب والسنة، فإن مشايخ الصوفية العارفين، متفقون على أن ما يحصل بالزهد والعبادة والرياضة والتصفية والخلوة، وغير ذلك، من المعارف متى خالف الكتاب والسنة، أو خالف العقل الصريح، فهو باطل، ومن زعم من المنتسبين إليهم أنهم يجدون في الكشف ما يناقض صريح العقل، أو أن أحدهم يرد عليه أمر يخالف الكتاب والسنة بحيث يكون خارجاً عن طاعة الرسول ﷺ وأمره، أو أنه يحصل له علم مفصل بجميع ما أخبر به الرسول ﷺ وأمر به ، فهو عندهم ضال مبطل ، بل زنديق منافق ، لا يجوزون قط طريقاً يستغنى به عن اتباع الرسول ﷺ فيما يخبر به الرسول ، ويأمر به ، فضلاً عن أن يسوغ له مخالفة الرسول ﷺ في أمره وخبره.[2]

وما يُعلم بالكشف قد يكون صحيحاً وقد يكون خاطئاً، فأهل المكاشفات والمخاطبات يصيبون تارةً ، ويخطئون أخرى ، كأهل النظر والاستدلال في موارد الاجتهاد ، ولهذا وجب عليهم جميعهم أن يعتصموا بكتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، وأن يزنوا كشفهم ، ومشاهدتهم ، وآرائهم ، ومعقولاتهم بكتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، ولا يكتفوا بمجرد ذلك ، ومن المحدثين والمخاطبين الملهمين من هذه الأمة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد كانت تقع له وقائع ، فيردها عليه رسول الله ﷺ ، أو صديقه أبو بكر رضي الله عنه ، ولهذا وجب على جميع الخلق اتباع الرسول ﷺ .

---

[1] انظر المرجع السابق ١١/٣٣٠.

[2] انظر بيان تلبيس الجهمية ١/١٨٦- ١٨٧.

كما أن ما يدعيه كثير من الصوفية، من الكشف والمشاهدة ، عامته خيالات في أنفسهم ، ويسمونها حقيقة، وقد تنزل عليهم الشياطين، وتخبرهم بأشياء ، وتأمرهم بأشياء ، وهذا غاية كشفهم الذي يحكمون به على الكتاب والسنة ، لذا يجب ربط ما يحصل بالكشف بالكتاب والسنة، فنجعلهما حاكمين على الكشف، وَنرَدُّ ما خالفهما ، وخصوصاً البدع .[1]

[1] للاستزادة انظر الرد على المنطقيين ص٥٢٦ وما بعدها.

المطلب الرابع :– المنامات :

عادة ما يذكر الدهلوي منامات ويفسرها في كتبه ومن ذلك : سبب تأليف كتاب حجة الله البالغة يقول :" ثم رأيت الإمامين الحسن والحسين رضي الله عنهما في منام ، وأنا يؤمئذ بمكة ،كأنهما أعطياني قلماً ، وقالا هذا قلم جدنا رسول الله ﷺ ،ولطالما أحدث نفسي أن أدون رسالةً تكون تبصرةً للمبتدي وتذكرةً للمنتهي ، يستوي فيه الحاضر والباد..."[1].

تعريف الرؤى لغة : جمع رؤيا وهي ما يراه الإنسان في منامه ورؤيا على وزن فعلى .[2]

تعريفها اصطلاحاً : وهي جمع رؤيا: وهي إدراكات علقها الله تعالى في قلب العبد على يد ملك أو شيطان ، إما بأسمائها أي حقيقتها ، وإما بكناها أي بعبارتها ، وإما تخليط ، ونظيرها في اليقظة الخواطر. [3]

---

[1] حجة الله البالغة ١١/١.

[2] انظر لسان العرب ١٤٥/١٢.

[3] فتح الباري ٣٥٢/١٢.

مكانة الرؤى عند الصوفية :

الرؤى والمنامات مصدر مهم عند الصوفية للمعرفة والتلقي بل هي مصدر يقيني لا يتطرق إليه الشك أو الغلط، فهم يبنون عليها كثيراً من عقائدهم الباطلة ، ويستندون عليها في ترويج ضلالاتهم ، ومعرفة الحلال والحرام عندهم ، وتفسير آيات القرآن الكريم ، وتصحيح وتضعيف الأحاديث، ونسج الفضائل والمناقب لشيوخهم وغير ذلك.

وأكثر ما يصرحون بالتلقي عنه مناماً الله سبحانه وتعالى ، أو النبي ﷺ ، أو من شيوخهم ومريديهم ، أو من الصحابة الكرام ﷺ ، أو غيرهم.

ومن قرأ كتبهم المعتمدة عندهم تبين له ما نسجوه من قصص وحكايات في شأن المنامات ، وأهميتها عندهم كمصدر مهم للمعرفة والتلقي.[١]

ومن دلائل عنايتهم بالمنامات: أنهم عقدوا لها أبواباً في مصنفاتهم، كالقشيري[٢] في رسالته ، والكلاباذي في كتابه التعرف لمذهب أهل التصوف ...وغيرها .

ويأخذ غلاة المتصوفة من هذه المنامات:

١- تصحيح عقائد .
٢- تصحيحاً لأقوال المتصوفة أنفسهم .
٣- تفسير بعض آي الكتاب العزيز.
٤- تمييزاً بين صحيح الأحاديث وضعيفها.
٥- ذكراً لبعض الأدعية والأذكار.

---

[١] انظر رسالة الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين ص ٢٩٧ وما بعدها .

[٢] القشيري (٠٠٠ - ٥١٤ هـ)عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، أبو نصر: من كبار الصوفية ، من علماء نيسابور، من بني قشير، له :الرسالة القشيرية ، انظر شذرات الذهب.٣٢٠/٣ ، وانظر الأعلام للزركلي ٣٤٦

٦- تعظيماً لمشايخهم وذكر الفضائل والمناقب لهم.

٧- ومن الأشياء المستمدة من الرؤى عند الصوفية الأحكام الشرعية ومعرفة الراجح من مسائل الخلاف.[١]

شبهاتهم في جعل الرؤى مصدراً للتلقي والمعرفة:

يستدل بعض الصوفية في احتجاجهم بالرؤى ببعض الأدلة التي يوجهونها ويلوون أعناقها لتصحيح ما هم عليه من باطل ، فمن ذلك :[٢]

أولاً: قالوا: إن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة، فلا ينبغي أن تهمل.[٣].

ثانياً: أن النبي ﷺ قال :((من رآني في المنام فقد رآني حقاً ؛ فإن الشيطان لا يتمثل بي)) وإذا كان كذلك فإخباره في النوم كإخباره في اليقظة ؛ لأن الشيطان لا يتمثل بالنبي ﷺ .

والرد على مذهبهم وشبهاتهم يكون من وجوه عامة وخاصة:

أما الوجوه العامة فكما يلي:

أولاً: أن الحق الذي لا يشوبه باطل هو الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وما عدا ذلك من المنامات والحكايات ونحوها ففيها الحق والباطل، ويعرف ذلك بعد عرضها على الكتاب والسنة ؛ فما زكَّيَاه منها قبل ، وإلا رد على صاحبه مهما كان القائل به .[٤]

فالله تعالى يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]

---

[١] المصدر السابق .

[٢] انظر الاعتصام ١/٣٣٠-٣٣٦ ، المدخل ، لمحمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي (ابن الحاج) ، ٤/ ٢٨٩ – ٢٩٤ ، دار الفكر، بيروت ، ١٤٠١هـ.

[٣] أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ ،كتاب : التعبير ، باب : من رأى النبي ﷺ في المنام ، ص ٥٨٤ ، ح٦٩٩٣ .

[٤] انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٩/ ٥، ٧.

وقال ﷻ : ﴿... فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩] .

وهل يسوغ العمل وفق الرؤيا الصالحة؟ وأن ذلك بشرط موافقتها للشرع ، فالعبرة حينئذ بالشرع لا بها ، ولهذا كان الصحابة ﵃ لا يعملون بالرؤيا حتى يعرضوها على النبي ﷺ كما في قصة الأذان ، فإن أقرها وإلا فلا ، وكذلك المؤمن لا بد أن يعرض رؤياه على الشريعة فإن وافقتها وإلا تركها.[١] وإنما فائدتها البشارة أو النذارة خاصة، وأما استفادة الأحكام فلا.

قال ابن القيم: "وأما رؤيا غيرهم – أي غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام– فتعرض على الوحي الصريح، فإن وافقت وإلا لم يعمل بها.

فإن قيل: فما تقولون إذا كانت رؤيا صادقة، أو توطأت؟

قلنا: متى كانت استحال مخالفتها للوحي ، بل لا تكون إلا مطابقة له ، منبهة عليه ، أو منبهة على اندراج قضية خاصة في حكمة ، لم يعرف الرائي اندراجها فيه فتنبه الرؤيا على ذلك [٢]. فالشريعة حاكم ، لا محكوم عليها ، ولو كان ما يقع من المنامات ونحوها حاكماً على الشريعة بتخصيص عام ، أو تقييد مطلق ، أو تأويل ظاهر ، أو نحو ذلك لكان غيرها حاكماً عليها ، وصارت محكوماً عليها بغيرها ، وذلك باطل باتفاق .[٣]

ثانياً: أن الرؤى منقسمة إلى ثلاثة أقسام:

١ – رؤيا من الله.

٢– حلم من الشيطان.

---

[١] وانظر المدخل لابن الحاج ٤/ ٢٩٣.

[٢] مدارج السالكين ١/٥١–٥٢ .

[٣] انظر مشتهى الخارف ص٨١.

٣- حديث نفس.

والتميز بينها مشكل، فمن أين يأتي اليقين بأن رؤيا فلان هذه من الله ، لا من النفس ، ولا من الشيطان ، ولهذا لا عصمة فيها بخلاف رؤيا الأنبياء .[١]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وكثير من المتصوفة يبني على منامات وأذواق وخيالات يعتقدها كشفاً وهي خيالات غير مطابقة، وأوهام غير صادقة ﴿... إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴿٢٨﴾﴾ [النجم: ٢٨] "[٢]

ويقول :" وغالب ما يستند إليه الواحد من هؤلاء أن يدعي أنه رأى مناماً ، فأما المنامات فكثير منها بل أكثرها كذب ، وقد عرفنا في زماننا بمصر ، والشام ، والعراق ، من يدعي أنه رأى منامات تتعلق ببعض البقاع أنه قبر نبي ، أو أن فيه أثر نبي ، ونحو ذلك ، ويكون كاذباً ، وهذا شيء منتشر فرآئي المنام غالباً ما يكون كاذباً ، وبتقدير صدقة فقد يكون الذي أخبره بذلك شيطان.

والرؤيا المحضة التي لا دليل يدل على صحتها لا يجوز أن يثبت بها شيء بالاتفاق ؛ فإنه ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ قال: ((الرؤيا ثلاث حديث النفس وتخويف الشيطان وبشرى من الله...)).[٣]

فإذا كان جنس الرؤيا تحته أنواع ثلاثة، فلا بد من تمييز كل نوع منها عن نوع "[٤]. وقال الشاطبي [٥]:"اعلم أن النبي – ﷺ – مؤيد بالعصمة معضود بالمعجزة الدالة على صدق ما

---

[١] انظر مدارج السالكين ١/ ٥١ ، والاعتصام ٣٣٢/١.

[٢] مجموع الفتاوى ٣٣٩/١١.

[٣] أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ ،كتاب التعبير ، باب القيد في المنام .

[٤] رسالة لشيخ الإسلام في جواب لسؤال عن رأس الحسين ، مطبوع ضمن مجموع الفتاوى له ٢٧/ ٤٥٧، ٤٥٨.

[٥] الشاطبي(٥٣٨ – ٥٩٠ هـ) القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي: إمام القراء ،كان ضريراً ، ولد بشاطبة (في الاندلس) وتوفي بمصر ،كان عالماً بالحديث والتفسير واللغة ، قال ابن خلكان: "كان إذا قرئ عليه صحيح

قال وصحة ما بين ، وأنت ترى الاجتهاد الصادر منه معصوماً بلا خلاف ؛ إما لأنه لا يخطئ البتة، وإما أنه لا يقر على خطأ إن فرض فما ظنك بغير ذلك؟

فكل ما حكم به أو أخبر عنه من جهة رؤيا نوم، أو رؤية كشف مثل ما حكم به مما ألقى إليه الملك عن الله ﷻ .

وأما أمته فكل واحد منهم غير معصوم ، بل يجوز عليه الغلط ، والخطأ ، والنسيان ، ويجوز أن يكون رؤياه حلماً وكشفه غير حقيقي ، وإن تبين في الوجود صدقه ، واعتيد ذلك فيه ، واطرد فإمكان الخطأ ، والوهم باق، وما كان هذا شأنه لم يصح أن يقطع به حكم ."[1] وقال الشاطبي : "وأما الرؤيا التي يخبر فيها رسول الله ﷺ بحكم فلا بد من النظر فيها أيضاً، لأنه إذا أخبر بحكم موافق لشريعته، فالحكم استقر وإن أخبر بمخالف ، فمحال ؛لأنه ﷺ لا ينسخ بعد موته شريعته المستقرة في حياته ، لأن الدين لا يتوقف استقراره بعد موته على حصول المرائي النومية، لأن ذلك باطل بالإجماع ، فمن رأى شيئاً من ذلك ، فلا عمل عليه ، وعن ذلك نقول: إن رؤياه غير صحيحة ، إذ لو رآه حقاً لم يخبره بما يخالف الشرع".[2]

ثالثاً: أن النائم ليس من أهل التحمل للرواية، لعدم حفظه.

وقال الإمام النووي: "إن الرائي وإن كانت رؤياه حقاً ولكن لا يجوز إثبات حكم شرعي بما جاء فيها، لأن حالة النوم ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي، وقد اتفقوا على أن من شرط

البخاري ومسلم والموطأ، تصحح النسخ من حفظه "، وهو صاحب كتاب حرز الاماني المعروف بالشاطبية ، انظر سير أعلام النبلاء ١٨٠/٥ ، الأعلام للزركلي ١٨٠/٥ .

[1] الموافقات ، لإبراهيم اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ، ٤٧٠/٤ ، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان ، الجيزة ، ط:١ ، ١٤١٧هـ.

[2] الاعتصام ٣٣٤/١.

من تقبل روايته وشهادته أن يكون متيقظاً لا مغفلا ولا سيئ الحفظ، ولا كثير الخطأ ولا مختل الضبط، والنائم ليس بهذه الصفة ، فلم تقبل روايته لاختلال ضبطه.

هذا كله في منام يتعلق بإثبات حكم على خلاف ما يحكم به الولاة، أما إذا رأى النبي ﷺ يأمره بفعل ما هو مندوب إليه ، أو ينهاه عن منهي عنه ، أو يرشده إلى فعل مصلحة ، فلا خلاف في استحباب العمل على وفقه ، لأن ذلك ليس حكماً بمجرد المنام بل ما تقرر من أصل ذلك الشيء ، والله أعلم" .[1]

[1] شرح النووي لصحيح مسلم ١/ ١١٥.

وقال ابن الحاج[1] : " لكن لم يكلف الله تعالى عباده بشيء مما يقع لهم في منامهم لقوله ﷺ : ((رفع القلم عن ثلاثة)) ، وذكر منهم ((النائم حتى يستيقظ))[2] ؛لأنه إذا كان نائماً فليس من **أهل التكليف فلا يعمل بشيء يراه في منامه"** [3]

أما الوجوه الخاصة في الرد على ما أوردوه من أدلة فكما يلي:

أولاً: قولهم إن الرؤيا من أجزاء النبوة، فلا ينبغي أن تهمل ، يجاب عنه من وجوه:

الوجه الأول: إن كانت الرؤيا من أجزاء النبوة ، فليست تعدل كمال الوحي ، بل جزء من أجزائه ، والجزء لا يقوم مقام الكل في جميع الوجوه ، بل إنما يقوم في مقامه في بعض الوجوه ، فقد صرف هذا الجزء إلى جهة البشارة والنذارة ، وقد تقدم بيان كون الرؤيا جزءا من أجزاء النبوة ، وأن ذلك لا يعني أنها نبوة.

الوجه الثاني: من شرط الرؤيا التي هي جزء من أجزاء النبوة ، أن تكون صالحة من الرجل الصالح، وحصول هذه الشروط مما ينظر فيه، فقد تتوافر وقد لا تتوافر .[4]

ثانياً: قولهم إن المخبر في المنام قد يكون النبي ﷺ وهو قد قال: ((من رآني في المنام فقد رآني حقاً، فإن الشيطان لا يتمثل بي))[5]، وعلى هذا فإخباره في النوم ﷺ كإخباره في اليقظة.

---

[1] ابن الحاج (٠٠٠ - ٧٣٧ هـ) محمد بن محمد بن محمد ابن الحاج، أبو عبد الله العبدري المالكي الفاسي، نزيل مصر: فاضل ، تفقه في بلاده، وقدم مصر، وحج ، وكف بصره في آخر عمره وأقعد ، وتوفي بالقاهرة، عن نحو ٨٠ عاما ، له مدخل الشرع الشريف ، قال فيه ابن حجر: كثير الفوائد، كشف فيه عن معايب وبدع يفعلها الناس ويتساهلون فيها، وأكثرها مما ينكر، وبعضها مما يحتمل ، وله شموس الأنوار وكنوز الأسرار ، انظر الأعلام للزركلي ٣٥/٧ .

[2] أخرجه أحمد عن أم المؤمنين عائشة ﵂ ، ٤١/ ٢٢٤ ، ح ٢٤٦٩٤ ، قال محققوه إسناده جيد .

[3] المدخل ٢٨٦/٤.

[4] / انظر الاعتصام ٣٣٣/١ .

[5] سبق تخريجه.

والجواب أن معنى هذا الحديث أن رؤيته ﷺ في المنام صحيحة وليست من أضغاث الأحلام إذا رآه على صورته التي وصفت لنا .[1]

قال النووي : "...ومنه ان من رآه في المنام – ﷺ- فقد رآه حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بصورته ، ولكن لا يعمل بما يسمعه الرائي منه في المنام فيما يتعلق بالأحكام إن خالف ما استقر في الشرع ؛ لعدم ضبط الرائي، لا للشك في الرؤية ؛ لأن الخبر لا يُقبل إلا من ضابط مكلف، والنائم بخلافه." [2]

ومن المقرر عند العلماء أن الرؤيا لا يثبت بها حكم شرعي فبالأولى ألا يثبت بها حديث نبوي، والحديث أصل الأحكام بعد القرآن. [3]

وكما سبق إن خالفت الرؤيا النص الشرعي فلا تقبل ، والدين قد أكمله الله تعالى قبل موت نبيه ﷺ قال الله عز وجل ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣﴾ [المائدة: ٣]

وخلاصة الأمر كما قال الشاطبي : "وعلى الجملة فلا يستدل بالرؤيا في الأحكام إلا ضعيف المنة، نعم يأتي المرئي تأنيساً، وبشارة، ونذارة خاصة، بحيث لا يقطعون بمقتضاها حكماً، ولا يبنون عليها أصلاً وهو الاعتدال في أخذها حسبما فهم من الشرع فيها والله أعلم"[4] .

---

[1] انظر شرح النووي لصحيح مسلم ١/ ١١٥.

[2] انظر تهذيب الأسماء واللغات ، لمحي الدين بن شرف النووي ، ١/٦٥ ، تحقيق مكتب البحوث والدراسات ، الناشر دار الفكر، بيروت ، ١٩٩٦م.

[3] سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني ، ١/٦٥٠ ، دار المعارف، الرياض ، ط: ١ ، ١٤١٢ هـ .

[4] الاعتصام ١/٣٣٦.

المبحث الثاني : الحدس والوهب والوجدان والاستغراق .

المطلب الأول :– الحدس :

يقول الدهلوي :" وليس فرد من أفراد الإنسان إلا له قوة للتخلص إلى الغيب برؤيا يراها، أو برأي يبصره ، أو هتيف يسمعه ، أو حدس يتفطن له ، إلا أن منهم الكامل، ومنهم الناقص، والناقص يحتاج إلى الكامل، وله صفات يجل طورها عن طور صفات البهائم ،كالخشوع ، والنظافة ، والعدالة ، والسماحة ، وكظهور بوارق الجبروت والملكوت من استجابة الدعاء ، وسائر الكرامات ، والأحوال ، والمقامات."[1]

ويقول:"**اعلم أنه لا سبيل لنا إلى معرفة الشرائع والأحكام إلا خبر النبي ﷺ بخلاف المصالح، فإنها قد تدرك بالتجربة والنظر الصادق والحدس ونحو ذلك**، ولا سبيل لنا إلى معرفة أخباره ﷺ إلا بتلقي الروايات المنتهية إليه بالاتصال والعنعنة ، سواءً كانت من لفظه ﷺ ، أو كانت أحاديث موقوفة قد صحت الرواية بها عن جماعة من الصحابة والتابعين بحيث يبعد إقدامهم على الجزم بمثله لولا النص أو الاشارة من الشارع، فمثل ذلك رواية عنه ﷺ دلالة، وتلقي تلك الروايات لا سبيل إليه في يومنا هذا إلا بتتبع الكتب المدونة في علم الحديث ، فإنه لا يوجد اليوم رواية يعتمد عليها غير مدونة ، وكتب الحديث على طبقات مختلفة ، ومنازل متباينة ، فوجب الاعتناء بمعرفة طبقات كتب الحديث."[2]

يذكر الدهلوي الحدس ويجعله سبباً لمعرفة المقاصد الشرعية إجمالاً ولكن لا يجعل الحدس حاكماً على النص ولا مشرعاً كما يقول بعض الصوفية ، ولكنه يجعله موضحاً للمقصد الشرعي وهذا الحدس ليس بمعصوم ، وفي هذا المطلب سأبين الحدس ومعناه وقول الصوفية فيه .

---

[1] حجة الله البالغة ٥٦/١ .

[2] حجة الله البالغة ٣٠٣-٣٠٤ .

تعريف الحدس :

الحدس لغة : الحاء والدال والسين أصلٌ واحدٌ يُشْبه الرّمْي والسُّرعة وما أشبه ذلك ، فالحَدْس الظنّ...لأنّا نقول: رَجَم بالظّنّ، كأنّه رَمَى به ، والحَدْس: سُرعة السَّير. ويقال حَدَس به الأرضَ حَدْساً، إذا صَرَعَهُ...ومنه أيضاً حَدَسْتُ في لَبَّةِ البعير، إذا وجَأْتَ في لَبَّتِه ، وحدَسْتُ الشَّيءَ برِجْلي: وطئتُه ، وحَدَسْت النّاقَة إذا أَنَخْتَهَا ، وحَدَسْتُ بسهمي: رمَيت[1].

ويدخل في جانب الحدس لغةً الفراسة [2] ، قال ذلك بالحدس أي بالفراسة، وحدس في نفسه وحدس الشيء: حزره.[3]

الفراسة في عرف المتصوفة :

الفراسة عند الصوفية عرفت بأنها :" مكاشفة اليقين ، ومعاينة الغيب ، وهي من مقامات الإيمان"[4]

ويرى أئمة الصوفية أن الفراسة موهبةٌ دائمةٌ في جميع الأوقات ، يحظى بها الولي كمنةٍ إلهيةٍ ، ونفحةٍ ربانيةٍ ، ويستخدمها متى شاء ، فهي في أخلاق الصوفي وسلوكه ، وطبيعته لأنه ينظر بنور الله ، ولأن قلبه قد تطهر من الحظوظ والهوى فلم ينظر ببصره وإنما ببصيرته، ويلهم بالحق إلهاماً .[1]

---

[1] انظر معجم مقاييس اللغة ٣٣/٢.

[2] لسان العرب لابن المنظور ٣٣٧٩/٥ .

[3] أساس البلاغة ، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (الزمخشري) ، ١٧٤/١، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩هـ.

[4] معجم مصطلحات الصوفية، عبد المنعم حنفي ص٢٠٤.

وعرفت بأنها: الإطلاع على ما في ضمائر الناس كما جاء في قصص الرسالة القشيرية في مبحث الفراسة [2] .

فالفراسة كما تدل عليه هذه التعريفات لون من ألوان المكاشفة والاطلاع على الغيوب ، ولعل الأشهر عندهم كما يقول الدكتور صادق سليم ، إطلاقها على معرفة كوامن النفوس ، والإشراف على الضمائر ، وما يرد على الخواطر ، وقد يتأيد هذا بالآتي :

أ- الحكايات التي جاءت تحت هذا الباب (الفراسة) غالبها يدور على معرفة الخواطر والضمائر وأحاديث النفس ، فقد ساق القشيري تحت هذا الباب سبعاً وعشرين حكاية ، خمسة عشر منها ، تختص بمكاشفات الضمائر والخواطر ، وأما الكلاباذي فقد ساق تحت هذا الباب ثلاث حكايات ، جميعها بلا استثناء تختص بمعرفة الضمائر والخواطر .

وما ورد في بعض التعريفات الآنفة الذكر ، كقول من قال : " فيتكلم على ضمير الخلق " ، أو :" ...فتنطق عن أسرار الخلق " ، أو " الاطلاع على ما في ضمائر الخلق " ، بل وقال الغزالي : "...وما حكي من تفرس المشايخ وإخبارهم عن اعتقادات الناس ، وضمائرهم ، يخرج عن الحصر ..."[3]

وسئل الجنيد عن العارف ؟ فقال : " من نطق عن سرك وأنت ساكت " . [4]

---

[1] معجم ألفاظ الصوفية للشرقاوي، ص ٢٢٦.

[2] الرسالة القشيرية ، لأبي القاسم القشيري ، ص٤٠٠ وما بعدها ، تحقيق: عبد الحليم محمود والدكتور محمود الشريف، مطابع مؤسسة الشعب القاهرة ، ١٤٠٩هـ.

[3] إحياء علوم الدين للغزالي ٢٥/٣ .

[4] طبقات الصوفية ، لأبي عبد الرحمن السلمي ، ص١٣٠ ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط:١ ، ١٤١٩هـ.

ولا شك بأن هذا كلام باطل ومخالف فعلم ذات الصدور هو من علم الغيب الذي اختص الله ﷻ به قال تعالى : ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥] ، **فلا يعلم غيب السموات والأرض إلا الله ﷻ كما هو مقرر معلوم .**

وهكذا فقد تنوع مدلول مصطلح الفراسة في بداية ظهوره بين معان منها : ما هو حق ومنها ما هو بدعي ، ومنها ما هو كفر ، ثم استقر على معنى الاطلاع على ضمائر الخلق وأسرارهم عند الحلولية ، ثم أصبح معناه عند غلاة الصوفية شهود الصوفي عالم الغيب ببصر الله وسمعه بعد فناء وجوده في وجود الحق ، تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً .[1]

موقف أهل السنة والجماعة من الحدس أو الفراسة :

الفراسة الإيمانية نوع كشف ولكن لا تستقل بالدليل وليست بذات عصمة.

يقول الإمام ابن تيمية :" فما كان من الخوارق من باب العلم، فتارة بأن يسمع العبد مالا يسمعه غيره ، وتارة بأن يرى مالا يراه غيره يقظة ومناماً ، وتارة بأن يعلم مالا يعلم غيره وحياً وإلهاماً، أو إنزال علم ضروري ، أو فراسة صادقة ، ويسمى كشفاً ومشاهدات ، ومكاشفات ومخاطبات ، فالسماع مخاطبات ، والرؤية مشاهدات ، والعلم مكاشفة ، ويسمى ذلك كله كشفاً ومكاشفة ، أي كُشِفَ له عنه"[2].

والكشف الصحيح أن يعرف الحق الذي بعث الله به رسله ، وأنزل به كتبه ، معاينة لقلبه ، فينكشف له من غوامض علوم الدين ما لا ينكشف لغيره ، ويكون مع علمه عاملاً ، فهذا من كشف الأولياء ، وهو كشفٌ ظاهر المنفعة.

ومن الكشف مالا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة، كالاطلاع على سيئات العباد. ولابد أن يقترن الدين بالكشف، وإلا هلك صاحبه في الدنيا والآخرة ، أما في الآخرة فلعدم الدين

---

[1] انظر مدلولات مصطلحات الصوفية ص١١٨١-١١٨٨.

[2] مجموع الفتاوى ١١/٣١٣-٣١٢ .

الذي هو أداء الواجبات وترك المحرمات ، وأما في الدنيا فإن الخوارق هي من الأمور الخطرة ، التي لا تنالها النفوس إلا بمخاطرات في القلب والجسم والأهل والمال "[1].

وأما قول بعض الصوفية والاتحادية ، "أنَّه ثبت عندهم بالكشف ما يخالف الكتاب والسنة ، "فإن مشايخ الصوفية العارفين، متفقون على أن ما يحصل بالزهد والعبادة والرياضة والتصفية والخلوة وغير ذلك من المعارف، متى خالف الكتاب والسنة ، أو خالف العقل الصريح ، فهو باطل، ومن زعم من المنتسبين إليهم أنهم يجدون في الكشف ما يناقض صريح العقل ، أو أن أحدهم يرد عليه أمر يخالف الكتاب والسنة بحيث يكون خارجاً عن طاعة الرسول ﷺ وأمره ، أو أنه يحصل له علم مفصل بجميع ما أخبر به الرسول ﷺ وأمر به ، فهو عندهم ضال مبطل، بل زنديق منافق"[2].

وهذه قاعدة عامة تنزل على نصوص المتصوفة ومصطلحاتهم ، بأن كل ما خالف الكتاب والسنة فهو قول باطل .

---

[1] انظر مجموع الفتاوى ٣٢٨/١١ وما بعدها .

[2] بيان تلبيس الجهمية ١٨٦/٢ .

المطلب الثاني :- الوهب :

بقول الدهلوي :"والأمور التي يمتاز بها الإنسان من سائر أفراد الحيوان كثيرةٌ جداً ، لكن جماع الأمر وملاكه خصلتان:

أحدهما زيادة القوة العقلية ، ولها شعبتان: شعبةٌ غائصة في الارتفاقات لمصلحة نظام البشر ،واستنباط دقائقها، **وشعبةٌ مستعدةٌ للعلوم الغيبية الفائضة بطريق الوهب.**"[1]

جعل الدهلوي جماع ما يختص به الإنسان عن سائر الحيوان خصلتان الأولى :

شعبة غائصة في الارتفاقات لمصلحة نظام البشر .

وشعبة مستعدة للعلوم الغيبية الفائضة بطريق الوهب ويعني هنا الكشف والوحي والإلهام ..

تعريف الوهب :

الوهب لغة : يقول ابن فارس :" (وهب) الواو والهاء والباء كلماتٌ لا ينقاس بعضُها على بعض ، تقول: وهَبْتُ الشَّيءَ أهَبُهُ هِبَةً ومَوْهِباً ، واتَّهَبْتُ الهبة: قَبِلتُها ، والمَوْهِبَة: قَلْتٌ يَسْتنقِعُ فيه الماء ، والجمع مَواهب. ويقال أوْهَبَ إليَّ من المال كذا ، أي ارتفع ، وأصبح فلانٌ مُوهَباً لكذا، أي مُعَدًّا له.[2]

[1] حجة الله البالغة ٥٦/١.

[2] معجم مقاييس اللغة ١٤٧/٦.

الوهب عند الصوفية :

العلوم الوهبية عند المتصوفة الكشف والإلهام والمنامات ...، مما يدخل فيه الأخبار عن بعض العلوم المغيبة كما سبق.

وقد غلا كثير من المتصوفة في جانب الوهب وزادوا في مسائل الكشف والمنامات والذوق والوجدان والاستغراق ، فقبلوا ما جاء به الوهب ولو عن الشياطين ، فقالوا بالعلوم الوهبية ولو خالفت نصاً شرعياً ، أو جاءت ببدعةٍ جديدةٍ في الدين ، ولابن عربي الصوفي كتاب أسماه مراتب علوم الوهب ، قال فيه بوحدة الوجود وحمل فيه على علماء المسلمين

يقول ابن عربي : " ولو كان علماء الرسوم ينصفون لاعتبروا بما في نفوسهم إذا نظروا في الآية بالعين الظاهرة التي يسلمون بها فيما بينهم فيرون أنهم يتفاضلون في ذلك ويعلو بعضهم في كلام على معنى تلك الآية ، ويقر القاصر بفضل غير القاصر ، وكلهم في مجرى واحد ، ومع هذا الفضل المشهود لهم فيما بينهم في ذلك ، ينكرون على أهل الله إذا جاءوا بشيء مما يغمض عن إدراكه ، وذلك لأنهم يعتقدون فيهم أنهم ليسوا بعلماء ، وأن العلم لا يحصل إلا بالتعلم المعتاد في العرف ، وصدقوا فإن أصحابنا ما حصل لهم العلم إلا بالتعلم وهو الإعلام الرحماني الرباني" [١]

وحمل على أئمة الإسلام حيث شبههم بأوصاف قبيحة للتقليل من شأنهم ، فمرةً شبههم بفراعنة الرسل ، ومرةً وصفهم بأنهم فاقدو الإدراك ، ومرةً وصفهم بعدم الإنصاف حيث يقول : " وما خلق الله أشق ولا أشد من علماء الرسوم على أهل الله المختصين بخدمته ، العارفين به من

---

[١] الفتوحات المكية لابن عربي ٢/ ١٧٦- نقلاً بواسطة رسالة مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية ، لأدريس محمد إدريس ، ص١٠٣ ، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، مكتبة الرشد الرياض ،ط:٢ ، ١٤٢٦ هـ -.

طريق الوهب الإلهي الذي منحهم أسراره في خلقه ، وفهمهم معاني كتابه وإشارات خطابه فهم لهذه الطائفة مثل الفراعنة للرسل" [1]

وزعم بعض المتصوفة بأنهم يتلقون علوماً خاصة من الله مبتدعة في الدين أو مخالفةً لما عليه الشرع القويم باطل غير صحيح ، والواجب التسليم للكتاب والسنة ، واجتناب البدع ، وطرق الأديان المخالفة . [2]

[1] المصدر السابق .

[2] انظر مبحث الكشف .

المطلب الثالث :– الوجدان :

يقول الدهلوي عن نزول الله عز وجل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل :" والأحاديث في هذا الباب كثيرةٌ معلومةٌ ، وبالجملة فمن ضروريات الدين أن هنالك أوقاتاً يحدث فيها شيء من انتشار الروحانية في الأرض ، وسريان قوةٍ مثاليةٍ فيها، وليس وقت أقرب لقبول الطاعات واستجابة الدعوات من تلك الأوقات ، ففي أدنى سعي حينئذ يتفتح باب عظيم من انقياد البهيمية للملكية ، والملأ الأعلى لا يعرفون انتشار تلك الروحانية وسريان تلك القوة بحساب الدورات الفلكية ، بل بالذوق والوجدان ، وبأن ينطبع شيء في قلوبهم ، فيعلموا أن هنالك قضاء نازلاً وانتشاراً للروحانية ونحو ذلك...

والأنبياء عليهم الصلاة السلام تنطبع تلك العلوم في قلوبهم من الملأ الأعلى[1] ، فيدركونها بالوجدان دون حساب الدورات الفلكية ، ثم يجتهدون في نصب مظنة لتلك الساعة ، فيأمرون القوم بالمحافظة عليها ، فمن تلك الساعات ما يدور بدوران السنين، وذلك بقوله تبارك وتعالى:﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ۝٤﴾ [الدخان: ٣-٤]

وفيها تعينت روحانية القرآن في السماء الدنيا، واتفق أنها كانت في رمضان."[2]

وهنا يتوهم أوهاماً ويبني عليها ، يقول:" وأما الإحصاء عليها فسره على ما وجدته بالذوق أن في الحيز الشاهق تظهر صورة لكل إنسان بما يعطيه النظام الفوقاني والتي ظهرت في قصة الميثاق شعبة منها ، فإذا وجد هذا الشخص انطبقت الصورة عليه ، واتحدت معه ، فإذا عمل عملاً انشرحت هذه الصورة بذلك العمل انشراحاً طبيعياً بلا اختيار منه ، فربما تظهر في المعاد أن

[1] كلام الدهلوي هنا يشبه كلام ضلال الفلاسفة المتنسبين للإسلام .

[2] حجة الله البالغة ١/٢٢٥.

أعمالها محصاة عليها من فوقها ، ومنه قراءة الصحف ، وربما تظهر أن أعمالها فيها متشبثة بأعضائها، ومنها نطق الأيدي والأرجل." [1]

ذكر الدهلوي أن هناك أوقاتاً تمتاز فيها العبادة عن غيرها من الأوقات ، وأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عرفوا ذلك بذوقهم ووجدانهم ، وهذا قولٌ غير صحيح كما قال الله ﷻ عن نبيه عليه الصلاة والسلام : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤] ، ثم ذكر بعد ذلك أموراً استنتجها بوجدانه لا يستنتجها ويجزم بها إلا صاحب وحي وهذا يكفي في بطلانها ، وسأشرع في هذا المبحث ببيان ما يسمى عند الصوفية بالذوق أو الوجدان :

الوجدان لغة :- وجد الواو والجيم والدال ، يدلُّ على أصلٍ واحد ، وهو الشي يُلفيه ، ووَجَدْتُ الضَّالَّة وِجْداناً ، وحكى بعضُهم: وجَدتُ في الغضَب وِجداناً.[2]

والذوق لغة :- الذال والواو والقاف أصلٌ واحد، وهو اختبار الشيء من جِهَةِ تَطَعُّمٍ ، ثم يشتق منه مجازاً فيقال: ذُقْت المأكولَ أذُوقه ذَوْقاً ، وذُقْت ما عند فلانٍ: اختبرتُه ، وفي كتاب الخليل: كلُّ ما نزَلَ بإِنسانٍ مِن مكروه فقد ذَاقَه ، ويقال **ذاقَ**القوسَ ، إذا نظَرَ ما مقدارُ إعطائها وكيف قُوّتُها.[3]

وقد جاء الذوق والوجد في السنة النبوية مقصوداً به ما يحصل في القلب من لذة إيمانية ، وحلاوة يقينية ، في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: ((ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد رسولاً)) [4]

---

[1] المصدر السابق ٦٩/١-٧٠.

[2] معجم مقاييس اللغة ٨٦/٦-٨٧ .

[3] معجم مقاييس اللغة ٣٤٦/٢.

[4] أخرجه مسلم عن العباس بن عبد المطلب ﷺ ،كتاب الإيمان ، باب باب الدليل على أن من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولاً فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصي الكبائر ، ص ٦٨٧ ،ح١٥١ .

ويرى صاحب منازل السائرين أن الذوق أثبت من الوجد فيبقى أثره في القلب ويطول بقاؤه وأما الوجد فهو عارض يلهب القلب ويقلقه ثم يذهب.[1]

ويرى ابن القيم أن الوجد أعلى من الذوق ، ويدل على ذلك بأن النبي ﷺ جعل الوجد فوق الذوق وأعلى منزلة منه فإنه قال: ((ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار)).[2]

وقال في الذوق: ((ذاق طعم الإيمان)) فوجد حلاوة الشيء المذوق أخص من مجرد ذوقه ولما كانت الحلاوة أخص من الطعم قرن بها الوجد الذي هو أخص من مجرد الذوق فقرن الأخص بالأخص والأعم بالأعم .[3]

ثم توج ذلك ببيان أن ما يدعى من أن الوجد هو مجرد لهيب القلب فيه ؛ نظراً لأن مادة الوجد في اللغة تدل على الثبوت ، يقال :وجد الشيء وجداً من الوجود الذي هو الثبوت فوجد الشيء يجده وجداناً ، إذا حصل له وتثبت ويدل على أن مادة الوجد تدل على الثبوت والدوام ، قوله سبحانه: ﴿... وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ ...﴿٣٩﴾﴾ [النور: ٣٩] ، وقوله: ﴿... ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠] وقوله: ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ﴿٦﴾﴾ [الضحى: ٦] ...كما قال أن الذوق يعتمد في حصوله على الوجدان [4] .

وبذا يثبت ابن القيم أن الوجد أخص من الذوق وحال الوجد تحصل من حال الذوق لاستلزام الوجد الدوام والثبوت وهذا ما لا يوجد في الذائق.

---

[1] منازل السائرين ، لعبد الله الأنصاري الهروي ، ص٩٩ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة: ١٤٠٨هـ.

[2] أخرجه مسلم عن أنس ﷺ ، كتاب الإيمان ، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ، ص ٦٨٧-٣٨٨ ، ح ١٦٥ .

[3] انظر مدارج السالكين ٩٠/٢.

[4] انظر مدارج السالكين ٩٠/٣.

الذوق والوجد عند الصوفية :

تنوع مدلول مصطلح الذوق منذ ظهوره ما بين معانٍ غامضة ، ومعنى ذوق طعم الإيمان ، وحلاوة القرب من الله ، ثم تطور عند أهل الفناء ، ليصبح ذوق طعم شهود ربوبية الله ، وأخيراً عند غلاة الصوفية ليصبح ذوق طعم وحدة الوجود . [1]

واضطربوا كذلك وتناقضوا في معنى الوجد ، فمنهم من جعله سراً لا تحيط به العبارة ، ومنهم من جعله حالاً من الأحوال التي ترد على القلب ، ومنهم من جعله مكاشفات ومشاهدات ومخاطبات ، ثم تطور عند أهل الفناء فأصبح فناء عن شهود النفس وزوال العقل وسماع خطاب ، ثم تطور عند غلاة الصوفية فأصبح الوجد وجود الحق في أهل الوجد وفناء ذاته في ذواتهم ، فتعالى الله عما يقولون علواً عظيماً . [2]

يقول ابن القيم معلقاً على صاحب المنازل وموضحاً معنى الوجد عنده:" والشيخ جعل مقام الوجد غير مقام الوجود كما سيأتي إن شاء الله تعالى فإن الوجود عند القوم هو الظفر بحقيقة الشيء ، والوجد هو ما يصادف القلب ويرد عليه من واردات المحبة والشوق والإجلال والتعظيم وتوابع ذلك والمواجيد عندهم فوق الوجد فإن الوجد مصادفة والمواجيد ثمرات الأوراد وكلما كثرت الأوراد قويت المواجيد .

والوجود عندهم فوق ذلك وهو الظفر بحقيقة المطلوب ولا يكون إلا بعد خمود البشرية وانسلاخ أحكام النفس انسلاخاً كلياً. "[3].

وعرفه القشيري بقوله :" الذوق والشرب : ويعبرون بذلك عما يجدونه من ثمرات التجلي ، ونتائج الكشوفات ...وصاحب الذوق متساكر. "[1]

---

[1] مدلولات مصطلحات الصوفية ص ٨٩٨ .

[2] انظر مدلولات مصطلحات الصوفية ص١٣٩٣-١٤٠٢ .

[3] مدارج السالكين ٦٨/٣.

وجاء في معجم مصطلحات الصوفية تعريف الوجد بأنه :"نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه ، يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره ، وأول التجليات الذوق ثم الشرب."[2]

الذوق والوجد عند أهل السنة والجماعة :

الذوق والوجد شرعاً عند أهل السنة ينقسمان إلى قسمين:

الأول: ذوق ووجدان شرعي فهو ما دل عليه الدليل من الكتاب والسنة ، وهذا الذوق الشرعي لا يستقل بالدلالة على شيء.

الثاني: ذوق ووجدان غير شرعي: وهو ما دل الدليل الشرعي من الكتاب والسنة على بطلانه أو لم يدل الدليل على بطلانه أو صحته ؛ لأنه في الحالة هذه لا يعرف هل هو وسواس شيطاني أو ذوق إيماني ؛ ولأن لكل إنسان ذوق ؛ فالوجودي يدعي أن ذوقه يدل على اعتقاده وهكذا الأمر بالنسبة لليهودي والنصراني.

ثم بما عرف مدعي الذوق أن ذوقه ذلك صحيح حتى يعتمد عليه ويترك دلالة الكتاب والسنة ، ووجود الذوق ليس دليل صحته بل لا يدل على أنه نافع ؛ فقد يكون ذوقاً ضاراً بصاحبه.

هذا ونصوص القرآن والسنة تدل على وجوب اتباع الكتاب والسنة ، فالمرجع في صحته وفساده إلى دلالة الشرع لأنه بالذوق لا يدري ما يوجد في القلب هل هو حق أو باطل ؛ لأن فرضهما في الوجود متساويان فلا بد من مرجح وهو الشرع.

---

[1] الرسالة القشيرية ص١٥٥ .

[2] معجم مصطلحات التصوف ، للدكتور عبد المنعم الحفني ، ص١٠٤ ، دار المسيرة ، بيروت ، ط:٢ ، ١٤٠٧هـ.

كما أن الوجد قد يبلغ ببعض الناس إلى درجة يغيب فيها عن شعوره ، وفي هذه الحالة لا يدري من يخاطبه فيظن أن ذلك ملك أو أنه ربه ، والأمر ليس كذلك ؛ لأن من فقد التمييز والعقل لم يكن له حكم صحيح على الأشياء فكيف يمكن الاعتماد عليه كما قال ﷺ : ((رفع القلم عن ثلاثة))وذكر منها ((والنائم حتى يستيقظ))[1] وهذا الواجد في حالة غيبوبته بوجده هو كالنائم من جهة أنه لا عبرة بما يقوله أو يتكلم به حال نومه أو يراه حال نومه أضف إلى ذلك ضعف العلم والمعرفة فإنه عندئذ لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فتملي عليه الشياطين ما تشاء وهو لا يعلم أن ذلك المخاطب له ما هو إلا شيطان أو فاسق من الجن فيقع عندئذ السهو والخطأ [2]

ويقول الإمام ابن تيمية : " فكل من اتبع ذوقاً أو وجداً بغير هدى من الله سواءً كان ذلك عن حب أو بغض ، فليس لأحد أن يتبع ما يحبه فيأمر به ، ويتخذه ديناً وينهى عما يبغضه ويذمه ويتخذ ذلك ديناً إلا بهدى من الله ، وهو شريعة الله التي جعل عليها رسوله ﷺ ، ومن اتبع ما يهواه حباً وبغضاً بغير الشريعة فقد اتبع هواه بغير هدى من الله ، ولهذا كان السلف يعدون كل من خرج عن الشريعة في شيء من الدين من أهل الأهواء ، ويجعلون أهل البدع هم أهل الأهواء ، ويذمونهم بذلك ، ويأمرون بألا يغتر بهم ،ولو أظهروا ما أظهروه من العلم والكلام والحجاج ،أو العبادة والأحوال ، مثل : المكاشفات وخرق العادات كقول يونس بن عبد الأعلى[3] قلت للشافعي تدري يا أبا عبد الله ما كان يقول فيه صاحبنا أريد الليث بن سعد[4] وغيره كان يقول لو رأيته يمشي على الماء لا تثق به ولا تعبأ به ولا تكلمه قال الشافعي فإنه والله ما قصر ."[1]

---

[1] سبق تخريجه .

[2] انظر مجلة البحوث الإسلامية بحث لدكتور: إبراهيم بن محمد البريكان ١٨٢/٤٠ .

[3] يونس بن عبد الأعلى (١٧٠ - ٢٦٤ هـ) يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة بن حفص بن حيان الإمام ، شيخ الإسلام المقرئ الحافظ ومن كبار الفقهاء ، وكان كبير المعدلين والعلماء في زمانه بمصر ، انظر سير أعلام النبلاء ٥٤/١٠ ، الأعلام للزركلي ٢٦١/٨ .

[4] الليث بن سعد (٩٤ — ١٧٥هـ) الليث بن سعد بن عبد الرحمن، الإمام، الحافظ، شيخ الإسلام، وعالم الديار المصرية، أبو الحارث الفهمي، مولى خالد بن ثابت بن ظاعن ،أصله من أصبهان ، سمع من خلق كثير وروى عنه خلق كثير ، قال الأمام

ويقول :" أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه ، ولا ذوقه ،ولا معقوله ، ولا قياسه ، ولا وجده ، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول – ﷺ – جاء بالهدى ودين الحق وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم ، فيه نبأ من قبلهم وخبر ما بعدهم وحكم ما بينهم ، هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسن فلا يستطيع أن يزيغه إلى هواه ، ولا يحرف به لسانه ، ولا يخلق عن كثرة الترداد ، فإذا ردد مرة بعد مرة ، لم يخلق ولم يمل كغيره من الكلام ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا تشبع منه العلماء ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعي إليه هدي إلى صراط مستقيم."[2]

أحمد :"ليس في المصريين أصح حديثاً من الليث بن سعد ، وعمرو بن الحارث يقاربه ، " ولابن حجر العسقلاني، كتاب (الرحمة الغيثية في الترجمة الليثية في سيرته) ، انظر سير أعلام النبلاء ٢٠٤/٧-٢١٩ ، الأعلام للزركلي ٢٤٨/٥.

[1] ١٢- الاستقامة ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ابن تيمية الحراني) ، ٢٥٣/١-٢٥٤ ، تحقيق: د. محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، ط: ١، ١٤٠٣هـ.

[2] مجموع الفتاوى ٢٨/١٣-٢٩ .

المطلب الرابع :– الاستغراق :

في باب الإحسان يقول الدهلوي :"...وروح الذكر الحضور والاستغراق في الالتفات إلى الجبروت ، وتمرينه أن يقول: لا إله إلا الله والله أكبر، ثم يسمع من الله أنه قال: لا إله إلا أنا وأنا أكبر، ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ثم يسمع من الله: لا إله إلا أنا وحدى لا شريك لي ، وهكذا حتى يرتفع الحجاب ، ويتحقق الاستغراق ، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك"[١].

قال الدهلوي وروح الذكر الحضور والاستغراق في الالتفات إلى الجبروت ، وذكر تمريناً لذلك ، وبهذا التمرين عنده يرتفع الحجاب ويحصل الاستغراق ، وهذا قولٌ باطل غير صحيح.

تعريف الاستغراق :

لغة :– غرق (الغين والراء والقاف أصلٌ واحد صحيح يدلُّ على انتهاءٍ في شيء يبلغ أقصاه ، من ذلك الغَرَق في الماء ، والغَرِقة: أرضٌ تكون في غاية الرِّيّ ، واغْرَوْرَقت العينُ والأرض من ذلك أيضاً، كأنها قد غَرِقت في دمعها .

---

[١] حجة الله البالغة ١١٩/٢، ويقصد الدهلوي هنا ما جاء عند الترمذي من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما في كتاب: الدعوات ، باب:ما يقول العبد إذا مرض ، ص٢٠٠٥ ، ح٣٤٣٠ ، قال النبي ﷺ : ((من قال لا إله إلا اللهُ واللهُ أكبرُ صدّقهُ ربُّهُ وقال لا إله إلا أنا وأنا أكبرُ وإذا قال لا إله إلا اللهُ وحدهُ قال يقول الله لا إله إلا أنا وحْدِي وإذا قال لا إله إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ قال الله لا إله إلا أنا وحْدِي لا شريكَ لِيْ وإذا قال لا إله إلا اللهُ لهُ الملكُ ولهُ الحمدُ قال الله لا إله إلا أنا لِيَ الملك ولِيَ الحمدُ وإذا قال لا إله إلا اللهُ ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ قال اللهُ لا إله إلا أنا ولا حولَ ولا قوةَ إلا بِي وكان يقولُ من قالها في مرضهِ ثم ماتَ لم تطعمهُ النارُ)) قال الترمذي حديث حسن غريب .

ومن الباب: أغرَقْتُ في القَوس: [مدَدتُها] غايةَ المدّ ، واغْتَرَق الفرسُ في الخيل، إذا خالَطَها ثم سَبَقَها.[1]

الاستغراق في اصطلاح الصوفية:

يدخل الاستغراق في الفناء ؛ بحيث يستغرق القلب بتفكر بالله ﷻ حتى لا يشعر بغيره ، يقول شيخ الإسلام ابن تيميه مبيناً المعنى العام للفناء عند الصوفية: "ما يسميه بعض الصوفية الفناء، وهو استغراق القلب في الحق حتى لا يشعر بغيره"[2].

وجاء في معجم اصطلاحات المتصوفة : " استغراق : أن لا يلتفت قلب الذاكر إلى الذكر في أثناء الذكر ، ولا إلى القلب ، ويعبر العارفون عن هذه الحالة بالفناء "[3].

وذكر الدهلوي لهذا الاستغراق المراد تمريناً ، ثم ذكر له دليل ، لكني لم أجد من خلال بحثي دليلاً يدل عليه لا من كتاب الله ﷻ ولا من سنة رسوله ﷺ .

ومما ذكر عن المتصوفة فيه ، ما جاء عن أحدهم كما في كتاب "الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام " يقول مؤلفه :"...الشيخ العالم الفقيه نور محمد الحسيني النقشبندي البدايوني أحد العلماء الربانيين ...غلب عليه الاستغراق وامتد إلى خمس عشرة سنة فكان لا يصحو إلا في أوقات الصلوات ثم أفاق."[4]

---

[1] انظر معجم مقاييس اللغة ٤١٨/٤.

[2] بغية المرتاد ص٢٢٦.

[3] معجم مصطلحات الصوفية ، د. عبالمنعم حفني ص١٦ .

[4] الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) ، لعبد الحي الحسني الطالبي ، ٨٥٥/٦ ، دار ابن حزم بيروت ، ط:١ ، ١٤٢٠ هـ.

وهذا بلا شك بدعة وغلو في الدين ما أنزل الله ﷻ به من سلطان ، وقد سبق بيان مصطلح الفناء عند المتصوفة والرد عليه .

المبحث الثالث : السُكْر والأنس والتوكل والتفريد .

المطلب الأول :– السُكر :

يقول الدهلوي :" **ومن أحوال القلب السكر**، وهو أن يتشبح نور الإيمان في العقل، ثم في القلب حتى تفوته مصالح الدنيا ، وحتى يحب ما لا يحبه الإنسان في مجرى طبيعته ، فيكون شبيهاً بالسكران المتغير عن سنن عقله وعاداته ، كما قال أبو الدرداء:(أحب الموت اشتياقاً إلى ربي، وأحب المرض مكفراً لخطيئتي ، وأحب الفقر تواضعاً لربي)[١]، وكما يؤثر عن أبي ذر – ﷺ – كراهيته للمال بطبعه وشنآنه الغنى والثروة مثل كراهية الأمور المستقذرة ، وليس في مجرى العادة البشرية حب هذا القبيل ، وكراهيته ذلك القبيل ولكنهما غلب عليهما اليقين حتى خرجا من مجرى العادة مقصود الشرع أو لا ؛ وذلك لأن الشرع يحيط بمقاصد كثيرة لا يحيط بها قلب هذا المؤمن ، فربما ينقاد قلبه إلى الرحمة مثلاً، وقد نهى الشرع عنها في بعض المواضع، قال تعالى:﴿...وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ ... ﴾ [النور: ٢] ..."[٢]

تعريف السكر :

السكر لغةً :يقول ابن فارس : سكر :السين والكاف والراء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على حَيرة ، من ذلك السُّكْر من الشراب ، يقال سَكِر سُكْراً ، ورجلٌ سِكِّير ، أي كثير السُّكْر ."[٣]

---

[١] أخرجه ابن سعاد في الطبقات ٣٩٢/٧ ، قال محققو سير أعلام النبلاء (مؤسسة الرسالة) : "إسناده ضعيف لجهالة الواسطة...، وهدي الرسول ﷺ هو الأكمل والأفضل والواجب الاتباع ، فقد كان يستعيذ من الفقر وينهى عن تمني الموت ويسأل الله العافية . " سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ٣٤٩/٢ ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وبشار معروف وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، ١٤٠٢ هـ.

[٢] حجة الله البالغة ١٧٣/١ –١٧٤ .

[٣] معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٨٩/٣–٩٠.

السكر في اصطلاح الصوفية :

تطور مصطلح السكر عند الصوفية من حالة تعرض للصوفي يزول فيها عقله وإحساسه عند ورود بعض الأحوال عليه ، إلى شهود القدر والاسترسال معه دون أن يفرق بين مأمور ومحظور ، ثم إلى حالة تعرض له عند حلول الذات الالهي فيه ، وزوال صفة الآدمية عنه عند الحلولية ، وأخيراً تضمن معانٍ مختلفة كلها تتضمن الوحدة ، وأبرزها لذة وطرب عند شهود الوحدة . [١]

يقول الجرجاني معرفاً السكر :"غيبة بوارد قوي ، وهو يعطي الطرب والالتذاذ[٢]، ودرجته في النهايات الاصطلام بين سطوة الفناء واستقراره، وبداية البقاء بعده واستهلاكه". [٣]

ويقول القشيري :" والسكر زيادة عن الغيبة من وجه ، وذلك أن صاحب السكر ، قد يكون مبسوطاً إذا لم يكن مستوفي في حال سكره ، وقد يسقط إخطار الأشياء عن قلبه في حال سكره ، وتلك حال المتساكر الذى لم يستوفه الوارد ، فيكون للإحساس فيه مساغ ، وقد يقوى سكره حتى يزيد على الغيبة ، فربما يكون صاحب السكر أشد غيبة من صاحب الغيبة إذ قوى سكره ، وربما يكون صاحب الغيبة أتم في الغيبة من صاحب السكر إذا كان متساكراً غير مستوف ، والغيبة قد تكون للعباد بما يغلب على قلوبهم من موجب الرغبة والرهبة ، ومقتضيات الخوف والرجاء ، والسكر عندهم لا يكون إلا لأصحاب المواجيد ، والسكر يكون بعد الذوق"[٤].

---

١ مدلولات مصطلحات الصوفية ٩٧٩- ٩٨٦.

٢ انظر: التعريفات للجرجاني ص١٥٩.

٣ اصطلاحات الصوفية ص٢٠٧.

٤ انظر الرسالة القشيرية ١/١٥٣ – ١٥٤.

وجميع ما ورد فى مصطلح السكر من أقوال ومعان صوفية لا أصل لها فى الكتاب والسنة ، وأما ما ذكر من أنه غيبة بوارد قوي ، من سماع آية مؤثرة أو حديث يذكر الإنسان بربه أو بجنته وناره فهذا لا يسمى هذا سكراً ، بل تفكر وتأمل ومحاسبة . [1]

يقول شيخ الإسلام عن مصطلح السكر: "وكذلك ما يرد على القلوب مما يسمونه السكر والفناء، ونحو ذلك من الأمور التي تغيب العقل بغير اختيار صاحبها، فإنه إذا لم يكن السبب محظوراً لم يكن السكران مذموماً بل معذوراً...وقد يحصل بسبب سماع الأصوات المطربة التي تورث مثل هذا السكر وهذا أيضاً مذمومٌ ؛ فإنه ليس للرجل أن يسمع من الأصوات التي لم يؤمر بسماعها ما يزيل عقله ، إذ إزالة العقل محرم ، ومتى أفضى إليه سبب غير شرعي كان محرماً ، وما يحصل في ضمن ذلك من لذة قلبية أو روحية ولو بأمور فيها نوع من الإيمان فهي مغمورة بما يحصل معها من زوال العقل ، ولم يأذن لنا الله أن نمتع قلوبنا ولا أرواحنا من لذات الإيمان ولا غيرها بما يوجب زوال عقولنا ، بخلاف من زال عقله بسبب مشروع ، أو بأمرٍ صادفه لا حيلة له في دفعه .

وقد يحصل السكر بسببٍ لا فعل للعبد فيه ، كسماع لم يقصده يهيج قاطنه ، ويحرك ساكنه ونحو ذلك ، وهذا لا ملام عليه فيه ، وما صدر عنه في حال زوال عقله ، فهو فيه معذور ؛ لأن القلم مرفوع عن كل من زال عقله بسببٍ غير محرمٍ، كالمغمى عليه والمجنون ونحوهما . "[2].

وهذا ردٌ ظاهرٌ من الشيخ بأن حال العذر الوارد عليه يسمى عذراً وليس سكراً ، إذا كان موافقاً للشرع ، لا كما يقول أصحاب السكر والغيبة .

---

[1] انظر المعجم الصوفي ص٧٨٩.

[2] مجموع الفتاوى ١١/١٠.

المطلب الثاني : الأُنس :

يقول الدهلوي :" **ومنها حسن الظن وهو معبر عنه في لسان الصوفية بالأنس** ، وينشأ من ملاحظة نعم الحق وألطافه ، كما أن الهيبة تنشأ من ملاحظة نقم الحق وسطواته ، والمؤمن وإن كان بنظره الاعتقادي يجمع الخوف والرجاء ، لكن بحالة ومقاومة ربما يغلب عليه الهيبة ، وربما يغلب عليه حسن الظن ، كمثل رجلٍ قائمٍ على شفا البئر العميقة ترتعد فرائصه ، وإن كان عقله لا يوجب خوفاً ، وكما أن حديث النفس بالنعم الهنيئة يفرح الإنسان ، وإن كان عقله لا يوجب فرحاً ، ولكن تَشَرَّبَ الوهم في هاتين الحالتين خوفاً وفرحاً – بين الخوف والرجاء – ، قال ﷺ : ((حسن الظن بالله من حسن العبادة))[1] ، وقال عن ربه تبارك وتعالى: ((أنا عند ظن عبدي بي...)) [2] ، أقول: وذلك لأن حسن الظن يهيئ نفسه لفيضان اللطف من بارئه."[3]

عرف الدهلوي الأنس بأنه : حسن الظن بالله ، وفي هذا المبحث سأتكلم عن الأنس عند المتصوفة .

الأنس لغة :- من **أنس يقول ابن فارس**:"الهمزة والنون والسين أصلٌ واحد ، وهو ظهورُ الشيء ، وكلُّ شيءٍ خالَفَ طريقة التوحُّش ، قالوا: الإنْس خلاف الجِنّ، وسُمُّوا لظهورهم ، يقال آنسْتُ الشيء إذا رأيتَه ، قال الله تعالى: ﴿ ...فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا... ﴾ [النساء: ٦] ، ويقال: آنَسْتُ الشيءَ إذا سمعتَه ، وهذا مستعارٌ من الأوّل"[4] .

---

[1] أخرجه الترمذي بنحوه عن أبي هريرة ﷺ ، كتاب المناقب ، باب إن حسن الظن بالله من حسن عبادة الله ، ص٢٠٢٣ ، ح ٥-٣٦٠٤ . وقال هذا حديث غريب من هذا الوجه . وضعفه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب وضعيفه ، ٣٥٩/٢ .

[2] أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ ، كتاب التوحيد ، باب ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي الله ﷻ ، ص ٦١٦ ، ح ٧٤٠٥ .

[3] حجة الله البالغة ١٦٣/٢-١٦٤ .

[4] معجم مقاييس اللغة ١٤٨/١.

الأنس عند الصوفية :

ظهر مصطلح الأنس في القرن الثالث بمعانٍ متعددة ، منها ما هو شرعي :كالأنس بذكر الله وطاعته والتقرب إليه ، ومنها ما هو بدعي : كارتفاع الحشمة والوحشة بين العبد وخالقه وكذلك الأنس بنور الكشف وفناء العبد في شهود ربه عن شهود ما سواه ، وأخيراً عند غلاة الصوفية أصبح الأنس أنس العبد بفناء وجوده في وجود الرب فيصبح وجودهما واحداً.[1]

يقول عبد الله الهروي[2] عن الأنس :" وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : الأنس بالشواهد و هو استحلاء الذكر والتغذي بالسماع ، والوقوف على الإشارات .

و الدرجة الثانية : الأنس بنور الكشف وهو : أنسٌ شاخصٌ عن الأنس الأول تشوبه صولة الهيمان و يضربه موج الفناء و هذا الذي غلب قوماً على عقولهم وسلب قوماً طاقة الاصطبار وخل عنهم قيود العلم.

والدرجة الثالثة : أنس اضمحلال في شهود الحضرة لا يعبَّر عن عينه ولا يشار إلى حده ولا يوقف على كنهه."[3]

---

[1] مدلولات مصطلحات الصوفية ٥٩٨ – ٦٠٤

[2] الهَرَوي (٣٩٦ – ٤٨١ هـ) عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي، أبو إسماعيل: شيخ خراسان في عصره ،من كبار الحنابلة. من ذرية أبي أيوب الأنصاري ﷺ كان بارعا في اللغة، حافظا للحديث، عارفاً بالتأريخ ، من كتبه : ذم الكلام وأهله و منازل السائرين ، وقد شرح المنازل ابن القيم في مدارج السالكين وحاول الاعتذار كثيراً لمؤلفه ، وحاول ابن القيم جاهداً توجيه عبارات أبي إسماعيل توجيهاً موافقاً لمذهب أهل السنة والجماعة ، واعتذر عن عبارات لا يمكن تفسيرها إلا على مذهب أهل الحلول والاتحاد ، انظر الأعلام للزركلي ١٢٢/٤ ، ورسالة موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الصوفية ، للدكتور محمد العريفي ، ص٣٨٦ حاشية ٣ ، دار المنهاج ، الرياض ، ط١ ،١٤٣٠هـ.

[3] منازل السائرين ص٦٩ .

والهروي هنا جعل الأنس من الفناء ، والأصل في الأنس الشرعي أنه أنس بالله وفرح بما عند الله وسعادة برضاه ، ولا مانع من مخالطة الناس ولكن دون تعدٍ أو تفريط ، وقد قال النبي ﷺ في الحديث : ((المؤمن الذي يخالط الناس، ومن يصبر على أذاهم ، أعظم أجراً من الذي لا يخالطهم ، ولا يصبر على أذاهم))[١] .

فهذا من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومخالطتهم لأجل ذلك ، وإسداء النصح لهم ، لا لمجرد المجالسة والمؤانسة فقط.

فمن خالط الناس ، ودعاهم إلى الله ، ووعظهم ، ونصحهم ، وذكرهم ، وصبر على أذاهم في سبيل ذلك ، فهو خير ممن لا يخالطهم ولا يدعوهم ، ولا يصبر على أذى يلقاه منهم في سبيل ذلك .

ومعلوم أن العزلة عن الناس مأخوذة من أديان سابقة [٢] ، والعبرة فيما قال الله وقال رسوله ﷺ لأنهما الدليلان المعصومان والمصدران القويمان للمسلمين .

وجاء تعريف الأنس أيضاً في معجم مصطلحات الصوفية بأنه : "التذاذ الروح بكمال الجمال ، وهو أثر مشاهدة جمال الحضرة الإلهية في القلب ، وهو جمال الجلال ، وقيل الأنس ضد الهيبة ، وقيل مع الهيبة . " [٣]

والكاشاني[٤] جعل الأنس على ثلاث مراتب للمتوسطين وللخاصة وخاصة الخاصة وعنى بأُنس خاصة الخاصة وحدة الوجود .

---

[١] أخرجه أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما ص ٦٤/٩ ، ح ٥٠٢٢، قال محققوه : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين .

[٢] مصادر التلقي عند الصوفية ، هارون رشيد ، إشراف الدكتور ناصر العقل . دار الراية الطبعة الأولى ١٤١٧ ،ص٢٩ وما بعدها .

[٣] معجم اصطلاحات الصوفية ، د . عبد المنعم الحفني ص٢٦ .

[٤] (... - ٧٣٠ هـ)عبد الرزاق (جمال الدين) بن أحمد (كمال الدين) ابن أبي الغنائم محمد الكاشي (أو الكاشاني أو القاشاني) : صوفي مفسر، من غلاة الصوفية له كتب، منها : (لطائف الإعلام في إشارات أهل الأفهام) ، شرح فصوص الحكم لابن عربي ، انظر الأعلام للزركلي ٣٥٠/٣ .

يقول :" الآنِسُ : هو الراضي بالحق فهو لا يتسخط شيء ولا يستوحش من شيء ، والأنس الصاحي ، والأنس المشاهد ، فحضرة الجمال ؛ لأنها منشأ كل أنس فلا يصح مع شهودها تسخط ولا استيحاش .

والأنس الواصل إلى مقام شهود أحكام الفعل فلا يصح بعد هذه المشاهدة استيحاش بشيء ."[1]

ويقول موضحاً لمصطلح مراتب شهود الفعل : "يعنى به اعتبار الفعل بحسب إسناده إلى الحق أو إلى الخلق بالكسب وإلى الحق بالخلق .

مرتبة شهود المتوسطين لكيفية صدور الأفعال : ، وهو أن مقتضى ذوقهم أنه لا تأثير للأسباب والوسائط في الفعل ، بل هي معدات لا مؤثرات ، لأن ذوقهم يقتضي أن الفعل في أصله واحد وأنه لا أثره فيه لسواه...

مرتبة شهود الخاصة لصدور الأفعال : يعنى به ذوق هو أعلى وأكشف مما مر ...

مرتبة شهود خاصة الخاصة لصدور الأفعال : يعنى به ذوقاً هو أعلى وأحق ، لأن شهودهم لحقائق الأسباب والشرائط هو أن كل سبب وشرط وواسطة ليس هو شيئاً غير تعين من تعينات الحق تعالى ، وأن فعله الوجداني يعود إليه من حيثية كل تعين ، بحسب الأمر المقتضي للتعين كان ما كان ، وأن المضاف إليه ذلك الفعل ظاهراً إنما يتصل إليه حكم ذلك الفعل على مقدار شهوده ومعرفته ، واعتباره لنسبته إلى الفعل الأصلي ، وأحدية التصرف والمتصرف ، وانصباغ أفعاله بحكم الوجوب".[2]

---

[1] لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام للكاشاني ص٢١٠

[2] المصدر السابق ص ٦٣٥-٦٣٦ .وانظر شرحه لمصطلح وحدة الوجود ص ٧١٠.

وهكذا تعددت الأقوال في مصطلح الأنس عند الصوفية وتطورت حتى وصلت إلى وحدة الوجود والعياذ بالله

المطلب الثالث :– التوكل:

يقول الدهلوي :" التوكل، وهو أن يغلب عليه اليقين حتى يفتر سعيه في جلب المنافع ودفع المضار من قبل الأسباب ، ولكن يمشي في ما سنه الله تعالى على عباده من الأكساب من غير اعتماد عليها، قال ﷺ : ((يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب ، هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون)) .[1]

أقول إنما وصفهم النبي ﷺ بهذا إعلاماً بأن أثر التوكل ترك الأسباب التي نهى الشرع عنها لا ترك الأسباب التي سنها الله تعالى بعباده ، وإنما دخلوا الجنة من غير حساب ؛ لأنه لما استقر في نفوسهم معنى التوكل ، أورث ذلك معنى ينفض عنها سببية الأعمال العاضة عليها من حيث إنهم أيقنوا بأن لا مؤثر في الوجود إلا القدرة الوجوبية. "[2]

ذكر الدهلوي مصطلح التوكل وعد فعل الأسباب من التوكل ، ولكنه خالف كما سبق في جعل الأسباب تنسب إلى مسبباتها مجازاً ، كما هو قول الأشاعرة .

تعريف التوكل :

التوكل لغة : أصله اوتكلت، قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، ثم أبدلت منها التاء فأدغمت في تاء الافتعال ، ثم بنيت على هذا الادغام يقال: وكلته بأمر كذا توكيلاً، والاسم الوكالة والوكالة ، والتوكل: إظهار العجز والاعتماد على غيرك ، والاسم التكلان .[3]

---

[1] سبق تخريجه .

[2] المصدر السابق (١٦٣/٢)

[3] انظر الصحاح للجوهري ١٨٤٤/٥-١٨٤٧.

تعريف التوكل في اصطلاح الصوفية :

تطور مصطلح التوكل عند الصوفية من معنى اعتماد القلب على الله وتفويض الأمور إليه مع فعل الأسباب ، إلى دعوى الاعتماد على الله بإسقاط الأسباب ، ثم ترك التوكل جملة ، وجعله مقاماً للعامة وليس للخاصة (الأولياء الواصلين) ، وأخيراً عند أهل الوحدة ترك التوكل وعدم صحته ؛ لأنه لا يوجد في الكون سوى الوكيل الذي هو الله ، تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً .[1]

قال ابن القيم حاكياً تعريفاتهم : " التوكل قطع علائق القلب بغير الله وسئل سهل عن التوكل فقال : قلب عاش مع الله بلا علاقة .

وقيل : التوكل هجر العلائق ومواصلة الحقائق ، وقيل : التوكل أن يستوي عندك الإكثار والإقلال وهذا من موجباته وآثاره لأنه حقيقته .

وقيل : هو ترك كل سبب يوصلك إلى مسبب حتى يكون الحق هو المتولي لذلك ،

وهذا صحيح من وجه باطل من وجه فترك الأسباب المأمور بها : قادح في التوكل وقد تولى الحق إيصال العبد بها وأما ترك الأسباب المباحة : فإن تركها لما هو أرجح منها مصلحة فممدوح وإلا فهو مذموم ..."

ثم ذكر ابن القيم الرد على هذا التعريف من جانب بعض المتصوفة .

" وحقيقة الأمر : أن التوكل حال مركبة من مجموع أمور لا تتم حقيقة التوكل إلا بها...

فأول ذلك : معرفة بالرب وصفاته : من قدرته وكفايته وقيوميته وانتهاء الأمور إلى علمه...

---

[1] انظر مدلولات مصطلحات الصوفية ٧٦٣-٧٧٥ .

الدرجة الثانية : إثبات في الأسباب والمسببات فإن من نفاها ، فتوكله مدخول ، وهذا عكس ما يظهر في بدوات الرأي : أن إثبات الأسباب يقدح في التوكل ، وأن نفيها تمام التوكل .

فاعلم أن نفاة الأسباب لا يستقيم لهم توكل ألبتة ؛لأن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المتوكل فيه ؛ فهو كالدعاء الذي جعله الله سبباً في حصول المدعو به ، فإذا اعتقد العبد أن توكله لم ينصبه الله سبباً ، ولا جعل دعاءه سبباً لنيل شيء...

وصرح هؤلاء : أن التوكل والدعاء عبودية محضة لا فائدة لهما إلا ذلك ولو ترك العبد التوكل والدعاء ما فاته شيء مما قدر له ومن غلاتهم من يجعل الدعاء بعدم المؤاخذة على الخطإ والنسيان عديم الفائدة إذ هو مضمون الحصول ... " .[١]

ويقول الدكتور محمود عبد الرزاق:"مفهوم التوكل في أقوال الصوفية الذى تشهد له الأصول القرآنية والنبوية يعد مفهوماً متواضعاً عند كثير منهم ، حيث يسمونه توكل العامة ، أما التوكل عندهم ، فقد أخذ بنظرة أخرى ، فقالوا:" التوكل ترك التوكل"[٢]، حيث يكون العبد في هذه الدرجة ، مضمحلاً لا وجود له ، ومن ثم يسقط التوكل.

يقول الكاشانى :" التوكل أن ملكة الحق للأشياء ملكة عزة ، لا يشاركه فيها مشارك ، ليكل شركته إليه"[٣].[٤]

---

[١] مدارج السالكين ٢/١١٦-١١٨ .

[٢] اللمع ص ٧٩ - نقلاً بواسطة المعجم الصوفي ص -٢٠٨ .

[٣] الرسالة القشيرية ٢/٤٤٢ - نقلاً من المعجم الصوفي ص٢٠٨-.

[٤] انظر المعجم الصوفي ص٢٠٨ .

والتوكل عند أهل السنة والجماعة اتباع السلف هو :

صدق اعتماد القلب على الله تعالى في استجلاب المصالح ، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة .[1] [2]

فهو صدق اعتماد على الله مع فعل السبب ، والتوكل لا ينافي فعل الأسباب ، أما عند المتصوفة فمنهم من غلا فيه وأحاله على الفناء كما سبق .

فكان من نتيجة ما رأينا من الأفكار الصوفية عن مسائل القدر والكرامات والاستغراق في توحيد الربوبية بجهل وابتداع دون النظر إلى ما يستلزمه من حق العبادة ، أن اضطرب لدى الصوفية مفهوم التوكل على الله ، واستحال إلى التواكل والبعد عن العمل واتخاذ السبب ، وكلما ترقى الصوفي في مدارج الطريق كلما ازداد بعداً عن الأخذ بالسبب مطلقاً ، بل إن النظر إلى الأسباب هو تلبيس من الشيطان على أهل التفرقة ، وقد سبق بيان مذهب أهل السنة في الأسباب ومذهب المتصوفة فيها ، والرد عليهم إجمالاً.

---

[1] جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ،زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط / إبراهيم باجس ، مؤسسة الرسالة- بيروت ، ١٤١٧هـ .ص٤٣٦ .

[2] انظر مطلب الأسباب .

المطلب الرابع :– التفريد :

يقول الدهلوي :" ومنها التفريد : وهو أن يستولي الذكر على قواه الإدراكية ، حتى يصير كأنه يرى الله تعالى عيانا، فتضمحل أحاديث نفسه وينطفئ كثير من لهبها، قال ﷺ : (**سيروا، سبق المفردون هم الذين وضع عنهم الذكر أثقالهم**)[1]، أقول: إذا خلص نور الذكر إلى عقولهم ، وتشبح التطلع إلى الجبروت في نفوسهم انزجرت البهيمية ، وانطفأ لهبها ، وذهبت أثقالها."[2]

عرف الدهلوي التفريد بأنه سيطرة للذكر على القوى الإداركية للإنسان حتى يدخل في الإحسان ، فكأنه يرى الله ﷻ **عياناً ، فيرتاح لذلك ، وسأبين في هذا المبحث (مصطلح التفريد .**

تعريف التفريد :

التفريد لغةً : (**فرد**) الفاء والراء والدال أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على وُحْدة ، من ذلك الفَرْد وهو الوَتْر ، والفارد والفَرْد: الثَّور المنفرِد ، وظبيةٌ فاردٌ : انقطعت عن القَطيع ، وكذلك السِّدرة الفاردةُ ، انفرَدَتْ عن سائر السِّدر، وأفراد النجوم: الدَّراريُّ في آفاق السَّماء ، والفريد: الدُّرُّ إذا نُظِم وفصِّل بَينَه بغَيرِه.[3]

---

[1] قال الهيثمي رواه الطبراني عن شيخه: عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم، وهو ضعيف ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لأبي الحسن نور الدين علي الهيثمي، ٧٥/١٠ ، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة ، ١٤١٤ هـ.

[2] حجة الله البالغة ١٦٢/٢ .

[3] معجم مقاييس اللغة ٥٠٠/٤.

التفريد شرعاً :

جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال : ((سيروا هذا جمدان سبق المفردون قالوا وما المفردون ؟ يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات))[1]

يقول الإمام النووي في بيان مصطلح المفردين :" وقد فسرهم رسول الله ﷺ بالذاكرين الله كثيراً والذاكرات ؛ تقديره والذاكراته ، فحذفت الهاء هنا ، كما حذفت فى القرآن لمناسبة رؤس الآي ؛ ولأنه مفعول يجوز حذفه وهذا التفسير هو مراد الحديث...وأصل المفردين الذين هلك أقرانهم وانفردوا عنهم ، فبقوا يذكرون الله تعالى ..."[2].

التفريد عند الصوفية :

ظهر مصطلح التفريد في القرن الرابع الهجري ليتضمن معنيين :

الأول : إفراد الله بالقدم.

والثاني : الفناء عن الخلق والنفس والأفعال .

ثم تطور في القرن الخامس الهجري ، ليتضمنَ معانٍ صحيحة بإفراد الله بالإيثار على غيره في جميع الأحوال والأعمال ، ومعانٍ باطلة تنفي الإثنينية لإثبات الحلول .

---

[1] أخرجه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب الحث على ذكر الله تعالى ، ص ١١٤٤ ، ح٢٦٧٦ .

[2] شرح النووي ٤/١٧ .

وأخيراً عند غلاة الصوفية أصبح التفريد إفراد الله تعالى بالوجود–تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً–.[1]

والواجب حمل المصطلح على ما اصطلح عليه في الشرع ، أما ما سوى ذلك من المعاني المرافقة لمصطلح التفرد عند الصوفية ، والتي تشعر القارئ بفناء المتفرد عن شهود السوى ، وغيبوبته المطلقة ، وانقطاعه عن مطالبة العوض في الطاعة ، وغير ذلك فلا أصل له ، وكذلك ما ذكره محي الدين بن عربي [2]، أن التفريد هو وقوفك بالحق معك ، ويعنى شهود الحق ولا شيء معه ، فيشهده منفرداً ، كحق بلا خلق ، على أن الكل تعيناته ، وليس ثم إلا هو .

وهذا هو عين قانون وحدة الوجود الكفري ، الذي يساوي الخالق بالمخلوق ويجعل الكل تعياناته وليس ثم إلاهو عياذاً بالله تعالى .[3]

ووحدة الوجود تجعل من كل مخلوق جزءاً من الله جل وعلا ، والله عز وجل يقول: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴾ [الزخرف: ١٥] ، فحكم سبحانه بكفر من هذا قوله وعبر عن كفره بكفور والتي هي صيغة فعول ، وهذا من باب المبالغة في تكفيره .

وقال سبحانه عن خلق الإنسان:﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ [مريم: ٩] .

وقال ﷻ: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات: ١٥٨] ، ووحدة الوجود تجعل الجن وغيرهم جزءاً من الله تعالى ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، والآيات في إبطال هذا القول الكفري كثيرة .[1]

---

[1] انظر مدلولات مصطلحات الصوفية ٦٧٠ –٦٧٧

[2] اصطلاحات الصوفية ابن عربي ص٨ – نقلاً عن المعجم الصوفي ٨٥/٩ – .

[3] انظر المعجم الصوفي ٨٥/٩.

المبحث الرابع : ارتفاع الحجب والغلبة وعالم المثال

المطلب الأول :– ارتفاع الحجب :

يقول الدهلوي : " في باب الإحسان يقول الدهلوي :"...وروح الذكر الحضور والاستغراق في الالتفات إلى الجبروت ، وتمرينه أن يقول: لا إله إلا الله والله أكبر، ثم يسمع من الله أنه قال: لا إله إلا أنا وأنا أكبر، ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ثم يسمع من الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي ، وهكذا حتى يرتفع الحجاب، ويتحقق الاستغراق، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك." [٢]

ومن الحجب عند الدهلوي أيضاً الحجب المانعة لظهور الفطرة ؛ لأن نفس العبد – كما يقول – لا تصل لحقيقة الإيمان وترتقي لحقيقة الإحسان إلا بصفاء الفطرة واستقامتها ، وهو يقسمه إلى ثلاثة :

الأول : حجاب الطبع ، وهو راجع إلى النفس .

الثاني : حجاب الرسم ، وهو يرجعه إلى الدنيا .

الثالث : حجاب سوء المعرفة ، ويرجعه إلى الجهل بمعرفة الله سبحانه وتعالى. [٣]

---

[١] الكشف عن حقيقة التصوف ص٧٠٣ وما بعدها ، لمحمود عبدالرؤوف قاسم ، دار الصحابة ، لبنان /بيروت ،ط: ١ ، ١٤٠٨هـ.

[٢] حجة الله البالغة ١١٩/٢، وسبق بيان الرد على استدلال الدهلوي في مطلب الاستغراق ، والدليل لم يذكر فيه ارتفاع الحجاب ولا الاستغراق .

[٣] انظر حجة الله البالغة ١٣٣/١ .

التعريف بالحجاب :

لغةً : يقول ابن فارس :" (حجب) الحاء والجيم والباء أصل واحد، وهو المنع ، يقال حجبته عن كذا، أي منَعتُه ، وحِجابُ الجَوْف: ما يَحْجُبُ بين الفُؤاد وسائر الجَوْف ، والحاجبان العظمان فوق العينين بالشّعَر واللّحم ، وهذا على التشبيه ، كأنهما تحجبان شيئاً يصل إلى العينين ، وكذلك حاجبُ الشّمس، إنما هو مشبَّهٌ بحاجب الإنسان ، وكذلك الحَجَبة: رأس الوَرِك، تشبيهٌ أيضاً لإشرافِهِ"[1] .

الحجاب شرعاً :

استعمالات كلمة الحجاب في القرآن والسنة تدور على معنى الستر والمنع ، سواء كان هذا الستر حسياً أو معنوياً . [2]

منها قوله تعالى: ﴿۞وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١] ، وقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥]

وما جاء في حديث أبي موسى رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بخمس كلمات فقال : ((إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل

---

[1] معجم مقاييس اللغة ١٤٣/٢ .

[2] المعجم الصوفي ٥٥٩.

عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور – وفي رواية أبي بكر[1] : النار – لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)) .[2]

وعن صهيب عن النبي ﷺ قال: ((إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ)) [3]

فقد احتجب الله تعالى عن خلقه بالنور، وبالكبرياء، وبما شاء من الحجب.

والنصوص في إثبات الحجب لله تعالى كثيرة، يؤمن بها أتباع رسول الله ﷺ ، ويعلمون بما ورثوه من الوحي الصادق ، بأن الله تعالى قد احتجب بالنور، وبالنار، وبما شاء من الحجب، وأنه لو كشف عن وجهه الكريم الحجاب لما قام لنوره شيء من الخلق، بل يحترق، ولكنه تعالى في الدار الآخرة ، يكمل خلق المؤمنين ، ويقويهم على النظر إليه تعالى فينعمون بذلك، بل هو أعلى نعيمهم يوم القيامة.

الحجاب في مفهوم الصوفية :

يقول الغزالي عن ارتفاع الحجاب :" وكما أن سنة الله تعالى جاريةٌ بأن تطبيق الأجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ، ويكون حجاباً بين البصر والمرئي ، ولا بد من ارتفاع الحجب لحصول الرؤية ، وما لم ترتفع كان الإدراك الحاصل مجرد التخيل ، فكذلك مقتضى سنة الله تعالى ، أن النفس ما

---

[1] ابن أبي شيبة (ت٢٣٥ هـ): عبد الله بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خواستي، الإمام، العلم، سيد الحفاظ، وصاحب الكتب الكبار: "المسند" و"المصنف" و"التفسير" انظر سير أعلام النبلاء ١٥٥/٩-١٥٨ ، شرح النووي ١٤/٣ .

[2] رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، بابٌ في قوله ﷺ ((إن الله لا ينام)) وفي قوله ((حجابه النور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)) ، ص ٧٠٩ ، ح٤٤٥ . واسم أبي بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم ، انظر شرح النووي ١٤/٣ .

[3] رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ، ص ٧٠٩ ، ح٤٤٩.

دامت محجوبةً بعوارض البدن ومقتضى الشهوات ، وما غلب عليها من الصفات البشرية ، فإنها لا تنتهي إلى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال ، بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الأجفان عن روية الأبصار ، والقول في سبب كونها حجاباً يطول ولا يليق بهذا العلم ؛ ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلام ﴿... لَن تَرَىٰنِي ...﴾ [الأعراف: ١٤٣] ، وقال تعالى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ...﴾ [الأنعام: ١٠٣] : أي في الدنيا والصحيح أن رسول الله ﷺ ما رأى الله تعالى ليلة المعراج ، فإذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثةً بكدورات الدنيا غير منفكةً عنها بالكلية ، وإن كانت متفاوتةً ، فمنها ما تراكم عليه الخبث والصدأ فصار كالمرآة التي فسد بطول تراكم الخبث جوهرها ، فلا تقبل الإصلاح والتصقيل ، وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم أبد الآباد نعوذ بالله من ذلك ، ومنها ما لم ينته إلى حد الرين والطبع و، لم يخرج عن قبول التزكية والتصقيل فيعرض على النار عرضاً يقمع منه الخبث الذي هو متدنس به " [1]

ويقال الجرجاني: "الكشف في اللغة رفع الحجاب ، وفي الاصطلاح هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً "[2].

والصوفية يستخدمون كلمة الحجاب أيضاً بمعان متعددة حسب الحال الذي يتكلمون فيه فيقال مثلاً : إن هذا السالك أو هذا المريد الصادق قد كشف عنه الحجاب ، أي رفع عنه حجاب الدنيا ، وبدت التجليات ، والمنن ، والعطايا تتوارد على قلبه ، وأصبح من أصحاب المكاشفات والفتوحات ، أي وصل إلى مقام الولاية ، أي من أصحاب الأسرار .[3]

ثم تطور مفهوم الحجاب عند أهل الوحدة :

يقول ابن عربى مبيناً عقيدته في مصطلح الحجاب : " الحجاب هو كل ما ستر مطلوبك عن عينك ، وهو عند أهل الحق انطباع الصور الكونية في القلب ، المانعة لقبول تجلي الحق "[4]،

---

[1] إحياء علوم الدين ٣١٢/٤ .

[2] التعريفات للجرجاني ص٢٣٧ .

[3] معجم ألفاظ الصوفية للشرقاوي ١١٧-١١٨ .

[4] تفسير القرآن منسوب لابن عربى ٧٢١/١ - نقلاً عن المعجم الصوفي ١٠/ -١٩ .

ويظهر معنى ذلك على التفصيل من تفسير الكاشاني لقوله تعالى : ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا۝٤٥ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا۝٤٦﴾ [الإسراء: ٤٥-٤٦] ، يقول: " الله جعل بين نبيه ﷺ وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة لقصور نظرهم عن إدراك الروحانيات وقصر هممهم على الجسمانيات حجاباً مستوراً من الجهل وعمى القلب ، فلا يرون حقيقة القارئ ، ولا آمنوا بالوحدة ، وإنما لا يبصرونك ، لأنهم لا يحسبونك إلا هذه الصورة البشرية لكونهم بدنيين منغمسين فى بحر الهيولى ، محجوبين بالغواشي الطبيعية ، وملابس الصفات النفسانية عن الحق وصفاته وأفعاله ، إذ لو عرفوا الحق لعرفوك ، ولو عرفوا صفاته لعرفوا كلامه ، ولم يكن على قلوبهم أكنة من الغشاوات الطبيعية والهيئات البدنية أن يفقهوه ، ولو عرفوا أفعاله لعلموا القراءة لمن ، ولم يكن في آذانهم وقر لرسوخ أوساخ التعلقات ، ولوا على أدبارهم نفوراً لتشتت أهوائهم وتفرق هممهم فى عبادة متعبداتهم من أصنام الجسمانيات والشهوات ، فلا يناسب بواطنهم معنى الوحدة ، لتألفها بالكثرة واحتجابها بها " .[١]

وهذا مذهب وحدة الوجود الكفري الخرافي الذي قاله ابن عربي وغيره من المتصوفة ، والأصل في الحجاب هو المعنى الشرعي الذي ورد به .

---

[١] معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص١٦ ، ص١٨ وانظر اصطلاحات الصوفية لابن عربي ص١٣ ، والتعريفات ص٨٦ – نقلاً عن المعجم الصوفي ص٥٥٨ وما بعدها –.

المطلب الثاني :– الغلبة :

يقول الدهلوي :" فتلك الصفات إن كانت ملكات راسخة ، تستمر أفاعيلها على نهجٍ واحدٍ وأنهاجٍ متقاربةٍ فهي المقامات ، وإن كانت بوارق تبدو تارةً ، وتنمحي أخرى، ولما تستقر بعد ، أو هي أمورٌ ليس من شأنها الاستقرار ، كالرؤيا والهواتف والغلبة تسمى أحوالاً وأوقاتاً". [1]

تكلم الدهلوي عن الأحوال والمقامات وذكر أن الغلبة حالٌ من الأحوال لا يستقر ، وسأبين في هذا المطلب مصطلح الغلبة ، وتعريفها عند المتصوفة والرد عليه .

تعريف الغلبة :

الغلبة لغة : يقول ابن فارس :" (غلب) الغين واللام والباء أصلٌ صحيح يدلُّ على قوّةٍ وقَهرٍ وشدَّة ، من ذلك: غَلَب الرّجلُ غَلْباً وغَلَباً وغَلَبة ، قال الله تعالى: ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ۝٣﴾ [الروم: ٣] ، والغِلاَب: المغالَبة ، والأغلَبُ: الغَليظ الرّقَبة ، يقال: غَلِبَ يَغْلَبُ غَلَباً. وهضْبةٌ غَلباء، وعِزَّةٌ غلباء..." [2]

الغلبة في اصطلاح المتصوفة:

جاء تعريف الغلبة في معجم مصطلحات الصوفية بأنها " حال تبدو للعبد لا يمكنه معها ملاحظة السبب ولا مراعاة الأدب ويكون مأخوذاً عن تمييز ما يستقبله ، ويكون الذي غلب عليه خوف أو هيبة أو إجلال أو حياء أو بعض هذه الأحوال ، وقيل صاحب الغلبات له

---

[1] حجة الله البالغة ٢/١٦١.

[2] معجم مقاييس اللغة ٤/٣٨٨-٣٨٩.

هجوم ، وذلك عند قوة رغبة الطالب إذا لاحت له أعلام المزيد في حالة طلبه المطلوب ، فلو ظن أن مطلوبه وراء بحر سبحه ، أو في تيه سلكه بالهجوم عند غلبات الإرادة وقوة سلطان المطالبة عليه ."[1]

وكثير من الصوفية قد غلا في باب الغلبة ، فأجاز الشطحات الصوفية ، ومن ذلك :

ما جاء عن أبي يزيد البسطامي[2] أنه قال عن الله تعالى وتقدس " رفعني مرة فأقامني بين يديه وقال لي يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك!! ، فقلت: زيني بوحدانيتك وألبسني أنانيتك وارفعني إلى أحديتك حتى إذا رآني خلقك قالوا: رأيناك، فتكون أنت ذاك، ولا أكون أنا هنا "[3].

وذكر عنه كذلك أنه قال " أول ما صرت إلى وحدانيته فصرت طيراً جسمه من الأحدية، وجناحاه من الديمومة فلم أزل أطير إلى أن صرت في ميدان الأزلية، فرأيت فيها شجرة الأحدية "[4]، ونقل عنه أيضاً أنه قال: " سبحاني سبحاني " وقال أيضاً " ضربت خيمتي بإزاء العرش " [5] ، ومر يوماً بمقبرة للمسلمين فقال " مغرورون " و...لليهود فقال " معذورون "!![6].

---

[1] مصطلحات التصوف للحفني ص١٩٧ .

[2] أبو يزيد البسطامي (١٨٨- ٢٦١ هـ) طيفور بن عيسى بن سروسان البسطامي وسروسان ، كان مجوسيا فأسلم ، ويحكى عنه في الشطح أشياء منها ما لا يصحّ ويكون مقولاً عليه ، انظر طبقات الصوفية ص ٦٧ وما بعدها ، شذرات الذهب ٢٦٩/٣ .

[3] اللمع، لأبي نصر السراج الطوسي ، ص٤٦١ ، تحقيق : د.عبد الحليم محمود ،طه عبد الباقي سرور ، دار الكتب الحديثة مصر ، مكتبة المثنى ببغداد ، ١٣٨٠هـ.

[4] المصدر السابق.

[5] المصدر السابق ص٤٦٤.

[6] المصدر السابق ص ٤٦٣.

وقبول هذه الغلبات والشطحات لا شك باطل ، وتقليل للعقل وقيمته ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك :" وكثير من المتصوفة يذمون العقل ويعيبونه ويرون أن الأحوال العالية والمقامات الرفيعة لا تحصل إلا مع عدمه ويقرون من الأمور بما يكذب به صريح العقل ، ويمدحون السكر والجنون والوله وأمورا من المعارف والأحوال التي لا تكون إلا مع زوال العقل والتمييز كما يصدقون بأمور يعلم بالعقل الصريح بطلانها ممن لم يعلم صدقه وكلا الطرفين مذموم — أي المتكلمين والمتصوفة – ، بل العقل شرط في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال ، وبه يكمل العلم والعمل ، لكنه ليس مستقلاً بذلك ، بل هو غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين ، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار ، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها ، وإن عزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه ، أموراً حيوانية قد يكون فيها محبة ووجد وذوق ،كما قد يحصل للبهيمة ، فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة ، والأقوال المخالفة للعقل باطلة .

والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه ولم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه ، لكن المسرفين فيه قضوا بوجوب أشياء وجوازها وامتناعها لحجج عقلية بزعمهم اعتقدوها حقاً ، وهي باطل وعارضوا بها النبوات وما جاءت به ، والمعرضون عنه صدقوا بأشياء باطلة ، ودخلوا في أحوال وأعمال فاسدة ، وخرجوا عن التمييز الذي فضل الله به بني آدم على غيرهم "[١].

---

[١] مجموع الفتاوى ٣/٣٣٨.

المطلب الثالث :- عالم المثال :

يقول الدهلوي : " وقد دلت أحاديثُ كثيرةٌ على ثبوت عالم تتجسم فيه الأعراض ، وتنتقل المعاني، ويخلق الشيء قبل ظهوره في الأرض ، مثل كون الرحم معلقاً بالعرش...وإنزال الحديد والأنعام ، وإنزال القرآن إلى السماء الدنيا مجموعاً، وحضور الجنة والنار بين يدي النبي ﷺ وبين جدار المسجد بحيث يمكن تناول العنقود...ووزن الأعمال وأمثال ذلك مما لا يخفى على من له أدنى معرفة بالسنة"[1].

ويقول :" وإذا مات الإنسان كان للنسمة نشأة أخرى ، فينشئ فيض الروح الإلهي فيها قوة فيما بقي من الحس المشترك ، تكفي كفاية السمع والبصر والكلام بمدد من **عالم المثال أعني القوة المتوسطة بين المجرد والمحسوس المنبثة في الأفلاك كشيء واحد** ، وربما تستعد النسمة حينئذ للباس نوراني أو ظلماني بمدد من عالم المثال ، ومن هنالك تتولد عجائب عالم البرزخ ، ثم إذا نفخ في الصور : أي جاء فيض عام من بارئ الصور بمنزلة الفيض الذي كان منه في بدء الخلق حين نفخت الأرواح في الأجساد ، وأسس عالم المواليد ، أوجب فيض الروح الإلهي أن يكتسي لباساً جسمانياً ، أو لباساً بين المثال والجسم ، فيتحقق جميع ما أخبر به الصادق المصدوق عليه أفضل الصلوات وأيمن التحيات ، ولما كانت النسمةُ برزخاً متوسطاً بين الروح الإلهي والبدن الأرضي ، وجب أن يكون لها وجه إلى هذا ، ووجه إلى ذلك ، والوجه المائل إلى القدس هو الملكية ، والوجه المائل إلى الأرض هو البهيمية ، **ولنقتصر من حقيقة الروح على هذه المقدمات لتسلم في هذا العلم** ، وتفرع عليها التفاريع قبل أن ينكشف الحجاب في علم أعلى من هذا العلم والله أعلم"[2].

---

[1] حجة الله البالغة ١/١٥٥-١٥٦ .

[2] حجة الله البالغة ٤٩/١.

ويقول الدهلوي : " لما خلق – الله تعالى – آدم عليه السلام ليكون أباً البشر ، وليبدأ منه نوع الإنسان أحدث في عالم المثال صور بنيه ، ومثل سعادتهم وشقاوتهم بالنور والظلمة ، وجعلهم بحيث يكلفون ،وخلق فيهم معرفته والإخبات له، وهو أصل الميثاق المدسوس في فطرتهم ، فيؤاخذون به وإن نسوا الواقعة ؛ إذ النفوس المخلوقةُ في الأرض إنما هي ظل الصور الموجودة يومئذ ، فمدسوس فيها ما دس يومئذ"[1].

ويقول الدهلوي :" قوله ﷺ : ((لا يرد القضاء إلا الدعاء))[2] ، أقول: القضاء ههنا الصورة المخلوقة في عالم المثال التي هي سبب وجود الحادثة في الكون ، وهو بمنزلة سائر المخلوقات يقبل المحو والإثبات"[3].

عرف الدهلوي عالم المثال بأنه عالمٌ تتجسم فيه الأعراض ، وتنتقل فيه المعاني ، ويخلق الشيء قبل ظهوره في الأرض مثل كون الرحم معلقاً بالعرش[4] ، ونزول الفتن كمواقع القطر[5]، ودنو الجنة من النبي ﷺ [6] ، وزعم أن النصوص دلت عليه ، وجعل هذه الأشياء الثابتة في كتاب الله تعالى والسنة الصحيحة في عالم خيال منفصل ، وهذا بلا شك قول باطل ومخالف لما عليه أهل السنة والجماعة أتباع منهج السلف الصالح .

---

[1] حجة الله البالغة ١٥٤/١.

[2] سبق تخريجه .

[33] حجة الله البالغة ١٣٢/٢ .

[4] أخرجه مسلم من رواية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ، ص ١١٢٦ ، ح٢٥٥٥ ، قالت ، قالت : قال رسول الله ﷺ : ((الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله))

[5] أخرجه مسلم من رواية أسامة رضي الله عنه ، كتاب أبواب فضائل المدينة ، باب آطام المدينة ، ص١٤٧ ،ح ١٨٧٨ ، قال : أشرف النبي ﷺ على أطم من آكام المدينة فقال ((هل ترون ما أرى إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر)).

[6] أخرجه البخاري من رواية أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها ، كتاب الأذان ، بابٌ – من غير تسمية – ، ص٥٩ ، ح ٧٤٥ ، قالت في حديثها قال النبي ﷺ : ((...دنت مني الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطاف من قطافها...)).

التعريف بعالم المثال :

عالم لغة :

جمع عالَم ، ولا واحد لعالَم من لفظه ؛ لأن عالَماً جَمْع أشياء مختلفة ، فإن جعل عالم لواحد منها صار جمعاً لأشياء متَّفقة ، وهو اسمٌ بُنِيَ على مثال فاعَل ؛ كما قالوا : خاتم وطابَع ودانَق[1] .

(العالم) الخلق كله وقيل كل ما حواه بطن الفلك وكل صنف من أصناف الخلق كعالم الحيوان وعالم النبات[2] .

المثال لغة : (المثال) القالب الذي يقدر على مثله ، والمقدار ، وصورة الشيء الذي تمثل صفاته[3] .

عالم المثال في اصطلاح المتصوفة :

قال الجرجاني :" البرزخ العالم المشهور بين عالم المعاني المجردة ، والأجسام المادية ، والعبادات تتجسد بما يناسبها إذا وصل إليه ، وهو الخيال المنفصل ، وهو الحائل بين الشيئين ، ويعبر به عن عالم المثال: أعني الحاجز من الأجسام الكثيفة وعالم الأرواح المجردة : أعني الدنيا والآخرة"[4] .

---

[1] انظر تهذيب اللغة ٢/٢٤٥ .

[2] المعجم الوسيط ٢/٦٢٤ .

[3] معجم مقاييس اللغة ٢/٨٥٤.

[4] التعريفات للجرجاني ص٦٣.

فعرف الجرجاني هنا عالم المثال بعالم البرزخ ، وجعله عالم خيال منفصل .

ومما يرد به على هذا المصطلح :

١- إن معنى هذا المصطلح فيه تأويل للنصوص كما سبق وهو قولٌ باطلٌ ليس له أصل في الكتاب والسنة ، وعالم المثال قولٌ مبتدعٌ دخيل ، لم يعرف عن النبي ﷺ ، ولا أصحابه ﵃ ، ولا القرون المفضلة بل جاء بعدهم ،وأصل هذا القول مأخوذ من نظرية المثل التي قال بها أفلاطون[١] .

جاء في المعجم الفلسفي :

"المعنى الفلسفي العام: يطلق اسم المثالية بوجه عام على النزعة الفلسفية التي تقوم على ردّ كل وجود الى الفكر بأوسع معانيه ، وهي بهذا المعنى مقابلة للواقعية الوجودية التي تقرر أن هناك وجوداً مستقلاً عن الفكر.

و لهذه المثالية صورتان: أولاهما تريد أن ترد الوجود الى الفكر الفردي ، و تسمى بالذاتية ، أو بالمثالية الشخصية ، و ثانيتهما تريد أن ترد الوجود الى الفكر بوجه عام فردياً كان، أو جماعياً، أو كلياً ".

ب- المعاني الفلسفية الخاصة:

أول من استعمل لفظ المثالية في اللغة الفلسفية فلاسفة القرن السابع عشر، - ومنهم من - جعل المثالي مقابلاً للمادي.

---

[١] أفلاطون (٤٢٨-٣٤٧ق.م) فيلسوف يوناني ، يعد هو وسقراط وأرسطو واضعي الأسس الفلسفية للثقافة الغربية ، معظم مؤلفاته محاورات : كالرياضيات والسياسة والحب والتربية ،أشهر كتبه : الجمهورية ، انظر موسوعة الفلسفة ، لعبد الرحمن بدوي ، ص١٥٤ وما بعدها ، المؤسسة العربية لدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤م .

ثم اطلقت المثالية بعد ذلك على الأفلاطونية ، لقول أفلاطون بالمثل ، و هي نماذج العالم الحسي، و صوره ، وأصوله، و لها وجودٌ مفارقٌ في عالمٍ خاصٍ بها يسمّى بعالم المعقولات أو عالم المثال ، و تسمّى هذه المثالية الأفلاطونية ، بالمثالية الوجودية (أو الأنطولوجية)"[١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية " يحكى عن شيعة أفلاطون أنهم أثبتوا هذه الكليات المجردة عن الأعيان في الخارج وقالوا إنها قديمة أزلية إنسانية مطلقة وحيوانية مطلقة ويسمونها المثل الأفلاطونية والمثل المعلقة.

وقد رد ذلك عليهم إخوانهم أرسطو وشيعته وجماهير العقلاء وبينوا أن هذه إنما هي متصورة في الأذهان لا موجودة في الأعيان كما يتصور الذهن عدداً مطلقاً ومقادير مطلقة كالنقطة والخط والسطح والجسم التعليمي ونحو ذلك مما يتصوره الذهن وليس من ذلك شيء في الموجودات الثابتة في الخارج.

وهذا الوجود الكلي إذا قيل إنه لا يوجد في الخارج إلا معيناً فلا موجود في الخارج سوى الموجودات المعينة المشخصة بما فيها من الصفات القائمة بها.

وإن قدر وجوده في الخارج فهو إما جزء من المعينات وأما صفة لها".[٢]

٢- الواجب إبقاء الأدلة على ظواهرها بمعانيها وحقائقها :

يقول ابن حجر : " قوله ﷺ : ((إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً)) ظاهره أنها رؤية عين فمنهم من حمله على أن الحجب كشفت له دونها فرآها على حقيقتها وطويت المسافة بينهما حتى أمكنه أن يتناول منها ، وهذا أشبه بظاهر هذا الخبر ، ويؤيده حديث أسماء الماضي في أوائل صفة

---

[١] المعجم الفلسفي ٢/٣٣٧-٣٣٨.

[٢] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ﷺ لابن تيمية ٤/٣٠٧.

الصلاة بلفظ ((دنت مني الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطاف من قطافها)) ، ومنهم من حمله على أنها مثلت له في الحائط ، كما تنطبع الصورة في المرآة فرأى جميع ما فيها ، ويؤيده حديث أنس الآتي في التوحيد ((لقد عرضت علي الجنة والنار آنفاً في عرض هذا الحائط وأنا أصلي)) ، وفي رواية ((لقد مثلت)) ، ولمسلم ((لقد صورت)) ولا يرد على هذا أن الانطباع إنما هو في الأجسام الثقيلة لأنا نقول هو شرط عادي فيجوز أن تنخرق العادة خصوصا للنبي ﷺ ، لكن هذه قصة أخرى وقعت في صلاة الظهر ، ولا مانع أن يرى الجنة والنار مرتين بل مراراً على صورٍ مختلفة ، وأبعد من قال : إن المراد بالرؤية رؤية العلم .

قال القرطبي [1]:" لا إحالة في إبقاء هذه الأمور على ظواهرها لا سيما على مذهب أهل السنة في أن الجنة والنار قد خلقتا ووجدتا ، فيرجع إلى أن الله تعالى خلق لنبيه ﷺ إدراكاً خاصاً به أدرك به الجنة والنار على حقيقتهما" ...

قال ابن بطال[2]لم يأخذ العنقود؛ لأنه من طعام الجنة ، وهو لا يفنى والدنيا فانية لا يجوز أن يؤكل فيها ما لا يفنى وقيل لأنه لو رآه الناس لكان من إيمانهم بالشهادة لا بالغيب ، فيخشى أن يقع رفع التوبة فلا ينفع نفسا إيمانها ، وقيل لأن الجنة جزاء الأعمال والجزاء بها لا يقع إلا في الآخرة.

وحكى ابن العربي في قانون التأويل عن بعض شيوخه أنه قال معنى قوله ﷺ ((لأكلتم منه...)) ، أن يخلق في نفس الآكل مثل الذي أكل دائماً ، بحيث لا يغيب عن ذوقه وتعقب بأنه رأي فلسفي مبني على أن دار الآخرة لا حقائق لها وإنما هي أمثال والحق أن ثمار الجنة لا

---

[1] أبو العباس القُرْطُبي (٥٧٨ - ٦٥٦ هـ) أحمد بن عمر بن إبراهيم، أبو العباس الأنصاري القرطبي: فقيه مالكي، من رجال الحديث يعرف بابن المزين ، كان مدرساً بالإسكندرية وتوفي بها ، ومولده بقرطبة ، من كتبه (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، ومختصر صحيح البخاري ، انظر شذرات الذهب ٤٧٣/٧ ، الأعلام للزركلي ١٨٦/١ .

[2] ابن بطال (ت٤٤٩هـ): العلامة أبو الحسن ، علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي ثم البلنسي ويعرف بابن اللجام ،شارح صحيح البخاري ، كان من أهل العلم والمعرفة ، ومن كبار المالكية ، انظر سير أعلام النبلاء ٣٠٣/١٣ ،وشذرات الذهب ٢١٤/٥ .

مقطوعةٍ ولا ممنوعة ، وإذا قطعت خلقت في الحال ، فلا مانع أن يخلق الله مثل ذلك في الدنيا إذا شاء.."[1]

فيجب البقاء على أصل الدليل وعدم التأويل ، ويجب التصديق بما جاء به الدليل كما هو ، وإثبات الحقائق كما هي ، حتى يسلم لنا الدين .

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة :" وثبت في الأحاديث الصحاح أن النبي ﷺ رأى موسى ﷺ في السماء السادسة، وهو الذي كان يشير عليه بمراجعة الرب تبارك وتعالى للتخفيف من عدد الصلوات، ثبت هذا في (الصحيحين) وغيرهما[2].

وثبت أيضاً في (صحيح مسلم) ...من حديث أنس رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال: ((أتيت – وفي رواية هداب مررت – على موسى ليلة أسري عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره))[3] .

وكل ذلك حق يجب الإيمان به والتسليم له، وإثبات أن رسول الله – ﷺ – رأى موسى عليه السلام في قبره يصلي، ورآه أيضاً في السماء، والله على كل شيء قدير، **ولا يجوز إنكار ما ثبت في النصوص الصحيحة عن النبي – ﷺ – لحيرة العقول فيه ، أوقياس عالم الغيب وعالم البرزخ على عالم الشهادة** ، أو دعوى أن ذلك من مختلقات اليهود ، فكل ذلك خطأ وضلال ، وانحراف عن الصراط المستقيم ..."[4]

وبهذا يتبين بدعية هذا المصطلح ، وأنه من التأويل المذموم وقد يؤدي إلى إنكار مسلمات في الدين كثيرة ؛ بدعوى أنها في عالم خيال منفصل .

---

[1] فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ٥٤١/١-٥٤٢ .

[2] أخرجه البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه ، كتاب الصلاة ، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء ، ص٣٠ ، ح ٣٤٩ .

[3] أخرجه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب من فضائل موسى ﷺ ، ص ١٠٩٥ ، ح٣٢٧٥ .

[4] انظر فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء ، جمع وترتيب ، أحمد بن عبد الرزاق الدويش ، ١٧٥/٢٧ ، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء – الإدارة العامة للطبع ، الرياض ، ط:١، ١٤١٧هـ .

الفصل الخامس : المسائل المتعلقة بالصحابة ﵃ :

المبحث الأول : تعريفهم عند أهل السنة والجماعة .

المبحث الثاني : الكلام فيما وقع بين الصحابة ﵃ .

المبحث الثالث : تفضيل أبي بكر على عمر رضي الله عنهما .

الفصل الخامس : المسائل المتعلقة بصحابة ﷺ :

للصحابة ﷺ منزلةٌ عظيمةٌ في الدين ؛ فهم الذين نصروا النبي ﷺ وآزروه ، وبلغوا دينه في الآفاق ، والطعن فيهم طعن في الدين ، ويجب احترامهم ووضعهم في منزلتهم :

يقول الدهلوي :" أقول الفرقة الناجية هم الآخذون في العقيدة والعمل جميعاً بما ظهر من الكتاب والسنة ، وجرى عليه جمهور الصحابة والتابعين ، وإن اختلفوا فيما بينهم فيما لم يشتهر فيه نص ، ولا ظهر من الصحابة اتفاقٌ عليه استدلالاً منهم ببعض ما هنالك أو تفسيراً لمجمله.

وغير الناجية كل فرقةٍ انتحلت عقيدةٍ خلاف عقيدة السلف ، أو عملاً دون أعمالهم.

قوله ﷺ : ((لا تجتمع هذه الأمة على الضلالة)) [١]، وقوله ﷺ : ((يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل أمة سنة من يجدد لها دينها))[٢] ، وتفسيره في حديث آخر : ((يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين))[٣]"[٤] .

ذكر الدهلوي الفرقة الناجية وبعض أصولها ، وبين عقيدته في الصحابة ﷺ ، وذكر حكم إجماعهم ، ووجوب لزوم منهجهم ، وفي هذا الفصل سأبين تعريف الصحابة ﷺ ، والكلام فيما وقع بينهم ﷺ ، والقول في التفضيل بين الخلفاء الراشدين ﷺ .

---

[١] سبق تخريجه .

[٢] سبق تخريجه .

[٣] سبق تخريجه .

[٤] حجة الله البالغة ٣٨٥/١.

المبحث الأول : تعريفهم عند أهل السنة والجماعة .

تعريف الصحابة :

الصحابة لغةً : جمع صحابي ، يقول ابن فارس : "صحب : الصاد والحاء والباء أصلٌ واحد يدل على مقارنة الشيء ومقاربته ، ومن ذلك الصاحب ، والجمع صحب ، ومن الباب: أصحب فلانٌ ، إِذا انقاد، وأَصْحَبَ الرَّجُل، إذا بلغَ ابنُهُ، وكلُّ شيءٍ لاءم شيئاً فقد استصحبه ، ويقال للأديم إِذا تُرِكَ عليه شَعَرُه مُصْحَبٌ ، ويقال أَصحبَ الماءُ، إذا علاهُ الطُّحْلَب"[1].

وأما في الاصطلاح :

الصحابي هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ، ومات على ذلك[2].

وقد جاءت أدلةٌ كثيرةٌ في بيان فضلهم ، وما لهم ، والنهي عن ذمهم :

ومن تلك الأدلة :

قوله تعالى : ﴿۞لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨] ، وكان المبايعون قرابة الألف والأربعمئة [3].

وقوله سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]

---

[1] معجم مقاييس اللغة ٣٣٥/٣ .

[2] انظر فتح الباري ٣/٧-٥، شرح أصول الاعتقاد ١٥٩/١-١٦٠.

[3] انظر تفسير الطبري ٢٢٤/٢٢ .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر: ٨-١٠]

وقوله ﷻ :﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ۝٢٩﴾ [الفتح: ٢٩]

وكذا أثنى عليهم النبي ﷺ في أحاديث صحيحة منها حديث جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ :((لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها...))[١]،وهذا فيه بيان لفضيلة بعض أصحاب النبي ﷺ ممن بايعوه تحت الشجرة وأنهم لا يدخلون النار.

وحديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: ((خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم))[٢]، ففيه إثبات الخيرية لجميع الصحابة رضي الله عنهم ، الذين هم خير القرون، وأنهم مقدمون في الفضل على من جاء بعدهم من التابعين.

وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : ((لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدَّ أحد ولا نصيفه)) [١] ، فيه بيان لفضل أصحاب رسول الله ﷺ ، حيث وصفهم بالصحبة، ونهى عن التعرض لهم وأوجب ذكرهم بالقول الحسن.

---

[١] أخرجه مسلم عن أم مبشر رضي الله عنها ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، باب من فضائل أصحاب الشجرة ، أهل بيعة الرضوان ، رضي الله عنهم ، ص١١١٧ ، ح٢٤٩٦ .

[٢] أخرجه البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، ومن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه ، ص ٢٩٧ ، ح ٣٦٥٠.

والصحابة ﷺ لهم من سابقة الخير والفضل ما ليس لغيرهم من أمة محمد ﷺ قال الله ﷻ والسابقون السابقون أولئك المقربون ...

وهذا من الأمور المجمع عليها بين أهل السنة والجماعة (أتباع منهج السلف الصالح) :

يقول الإمام أحمد :" من السنة الواضحة الثابتة البينة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين ، والكف عن ذكر ما شجر بينهم ، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو أحداً منهم او انتقصه أو طعن عليه أو عرض بعيبهم أو عاب أحداً منهم فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلا ، بل حبهم سنة والدعاء لهم قربة ، والاقتداء بهم وسيلة ، والأخذ بآثارهم فضيلة "[٢].

قال الطحاوي: "ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حُب أحد منهم ، ولا نتبرأ من أحد منهم ، ونبغض من يبغضهم ، وبغير الخير يذكرهم ، ولا نذكرهم إلا بخير ، وحبهم دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان"[٣].

---

[١١] سبق تخريجه .

[٢] طبقات الحنابلة ، لأبي الحسين ابن أبي يعلى ، ١/٢٩ ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، دار المعرفة ، بيروت.

[٣] انظر العقيدة الطحاوية مع شرحها ص ٤٦٧ .

المبحث الثاني : الكلام فيما وقع بين الصحابة ﭫ .

يقول الدهلوي :" أقول: علم النبي ﷺ أنه إذا بَعُدَ العهد من النبي ، وانقرض الحواريون من أصحابه ، وَوُسِدَ الأمر إلى غير أهله لا بد أن تُجرى الرسوم حسب الدواعي النفسانية والشيطانية ، وتعمهم جميعاً إلا ما شاء الله منهم.

وقال ﷺ : ((إن هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة ، ثم يكون خلافة ورحمة ، ثم ملكاً عضوضاً ثم كائن جبرية وعتواً وفساداً في الأرض ؛ يستحلون الحرير والفروج والخمور ، يرزقون على ذلك وينصرون حتى يلقوا الله))[1].

أقول: فالنبوة انقضت بوفاة النبي ﷺ ، والخلافة التي لا سيف فيها بمقتل عثمان – ﭬ –، والخلافة بشهادة علي كرم الله وجهه [2] وخلع الحسن ﭬ ، والملك العضوض ومشاجرات الصحابة بني أمية ومظالمهم إلى أن استقر أمر معاوية – ﭬ – ، والجبرية ، والعتو خلافة بني العباس فإنهم مهدوها على رسوم كسرى وقيصر"[3].

تكلم الدهلوي فيما سبق عن تفسير حديث النبي ﷺ فيما يكون بعد عهد النبوة ، ثم سما تنازل الحسن ﭬ خلعاً وهذا غير صحيح ، وذكر حكماً لا يليق بالصحابة من بني أمية ﭫ والفتنة التي حصلت ، وسأتكلم في هذا المبحث عن عدالة الصحابة ﭫ وحرمة سبهم وعن الفتنة التي حصلت .

---

[1] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن معاذ ﭬ ، المعجم الكبير للطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم – الموصل ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ – ١٩٨٣ ، ص٥٣/٢٠ ، ح٩١ ، قال ابن كثير إسناده جيد (البداية والنّهاية ١٤٣/١).

[2] تخصيص القول ب (كرم الله وجهه) هو غلو من الرافضة في علي ﭬ وهذا من بدعهم ، ودرج على ذلك غيرهم ، انظر فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء ٣١٥/٤ .

[3] انظر حجة الله البالغة ٣٧٥/٣ .

المطلب الأول :- مسألة عدالة الصحابة ﭿ وحكم سبهم :

سب الصحابة محرم بدلالة الكتاب والسنة والإجماع .

ومن الأدلة على ذلك :

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢]

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾ [الهمزة: ١]

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨]

ومن السنة قوله ﷺ ((لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مدَّ أحد ولا نصيفه)) [١]

وأما الإجماع : فقد أجمع أهل العلم على تحريم سبهم ، والطعن فيهم إجماعاً قطعياً .

يقول الإمام النووي :-

" وكلهم عدول ﭿ ، ومتأولون في حروبهم وغيرها ، ولم يخرج شيء من ذلك أحداً منهم عن العدالة ...ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع ، على قبول شهاداتهم ورواياتهم ، وكمال عدالتهم رضي الله عنهم أجمعين"[٢] .

---

[١] أخرجه البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب - لم يسمه - ، ص٢٩٩ ، ح٣٦٧٣ .

[٢] صحيح مسلم بشرح النووي ١٤٩/١٥، وانظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ليوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، ١٩/١ ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار الجيلسنة ، بيروت ، ١٤١٢هـ.

وسب الصحابة رضي الله عنهم ليس على مرتبة واحدة ، بل مراتب متفاوتة ؛ فإن سبهم أنواع ، فمنها سب يطعن في عدالتهم ، ومنها سب لا يوجب الطعن في عدالتهم ، والسب قد يكون لجميعهم ، أو أكثرهم ، وقد يكون لبعضهم ، وهذا البعض قد يكون ممن تواترت النصوص بفضله وقد لا يكون كذلك[1] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :" وأما من سبهم سباً لا يقدح في عدالتهم ، ولا في دينهم ، مثل وصف بعضهم بالبخل او الجبن او قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك ، فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير ولا يحكم بكفره بمجرد ذلك ، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من العلماء.

وأما من لعن وقبح مطلقاً ، فهذا محل الخلاف فيهم ؛ لتردد الأمر بين لعن الغيظ ،ولعن الاعتقاد.

وأما من جاوز ذلك إلى إن زعم إنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً أو أنهم فسقوا عامتهم ، فهذا لا ريب أيضاً في كفره ؛ فإنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع ، من الرضى عنهم والثناء عليهم ، بل من يشك في كفر مثل هذا فإنه كفر " [2]

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب :" إن اعتقد فسقهم أو فسق مجموعهم وإرتدادهم وإرتداد معظمهم عن الدين ، أو اعتقد سبهم وإباحته ، أو سبهم مع اعتقاد أحقية سبهم ، أو حِلِّيَتَهُ ، فقد كفر بالله تعالى ورسوله – ﷺ – فيما أخبر من فضائلهم وكمالاتهم المستلزمة لبراءتهم عما يوجب الفسق والإرتداد وأحقية السب وإباحته ، ومن كذبهما فيما ثبت قطعاً صدوره فقد كفر ، والجهل بالمتواتر القاطع ليس بعذر ، وتأويله وصرفه من غير دليلٍ معتبرٍ غير مفيد ، كمن أنكر فرضية الصلوات الخمس جهلاً لفرضيتها ، فإنه بهذا الجهل يصير كافراً ، وكذا لو أولها على غير المعنى الذي نعرفه فقد كفر ؛ لأن العلم الحاصل من نصوص القرآن والأحاديث الدالة على فضهلم

---

[1] انظر نواقض الإيمان القولية والعملية ، لعبد العزيز بن محمد العبد اللطيف ، ص٤٠٥ – ٤٣٥ ، مدار الوطن للنشر ، الرياض ، ط:٣ ، ١٤٢٧هـ.

[2] الصارم المسلول ٣ /١٥٨ .

قطعي ، ومن خصّ بعضهم بالسب فإن كان ممن تواتر النقل في فضله وكماله كالخلفاء فإن اعتقد حقية سبه أو إباحته فقد كفر لتكذيبه ما ثبت قطعاً عن رسول الله ﷺ ومكذبه كافر ، وإن سبّه من غير إعتقاد حقية سبه أو إباحته فقد فسق ؛ لأن سباب المسلم فسوق ، وقد حكم بعض أهل العلم فيمن سب الشيخين بالكفر مطلقاً والله أعلم ، وإن كان ممن لم يتواتر النقل في فضله وكماله فالظاهر أن سابه فاسق إلا أن يسبه من حيث صحبته لرسول الله ﷺ فإن ذلك كفر "[١]

فالواجب سلامة الصدر تجاه كل الصحابة ﷺ وحبهم ومودتهم ونصرتهم والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة كما قال سبحانه : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]

ومما سبق يظهر بيان حكم الساب لصحابة رسول الله ﷺ واختلاف الحكم بحسب اختلاف الاعتقاد.

---

[١] الرد على الراافضة لمحمد بن عبد الوهاب ١/١٧-١٨.

المطلب الثاني :– الكلام في الفتنة التي حصلت :

يجب الإمساك عما حدث بين الصحابة ﷺ ، وذكر محاسنهم ومناقبهم ، وصرف أمورهم إلى أحسن المصارف ؛ فهم أول من آمن مع النبي ﷺ ، وهم الذين نصروه ونشروا دين الله ﷻ في الأرض، وقد امتدح الله تعالى المتبعين لهم بإحسان ، وامتدح قولهم في السابقين من المهاجرين والأنصار ، قال تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

وهذا القول هو الذي عليه أهل السنة قاطبة[١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " ويمسكون عما شجر بين الصحابة ، ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه ، والصحيح منه: هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون ، وإما مجتهدون مخطئون ، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره ، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة ، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم ، إن صدر حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم ؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم ، وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ إنهم خير القرون[٢] ، وإن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبا ممن بعدهم [٣]، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه ، أو أتى بحسنات تمحوه ، أو غفر له بفضل سابقته أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس

---

[١] انظر الإمامة والرد على الرافضة ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ص ٣٤١ – ٣٤٢ ، ٣٦٣ – ٣٦٤ تحقيق: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط: ٣، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م ، وانظر الشرح والإبانة ص١٢٥– ١٢٦ .

[٢] سبق تخريجه .

[٣] سبق تخريجه .

بشفاعته ، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه ، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين: إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطئوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور لهم؟ ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليلٌ ونزرٌ مغمورٌ في جنب فضائل القوم ومحاسنهم ، من الإيمان بالله ورسوله ، والجهاد في سبيله ، والهجرة ، والنصرة ، والعلم النافع ، والعمل الصالح.

ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما منَّ الله به عليهم من الفضائل ، علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء ،لا كان ولا يكون مثلهم ، وأنهم هم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم ، وأكرمها على الله تعالى"[١].

والذي عليه جمهور أهل السنة والجماعة أن علياً ﷺ هو أولى بالحق في قتاله مع معاوية ﷺ ، وفي قتاله مع عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم أجمعين[٢].

ومعاوية ﷺ صحابيٌّ جليل، وأحد كَتَبَة الوحي للنبي ﷺ ، وأمير المؤمنين ، أسلَم قبل فتح مكة وقت عمرة القضاء وأخفى إسلامه إلى فتح مكة وقيل اسلم فيه .

روى عنه كثير من الصحابة؛ كابن عباس وجرير والنعمان بن بشير ﷺ .[٣]

وكان عاقلًا في دنياه حاكمًا قويًّا جيدَ السِّياسة تحبُّه رعيَّته واجتمعُوا عليه، مشهورا بالحلم والكرم والرأي والحزم، يقول عنه الإمام ابن تيمية : "ولا تولى بعد علي خير منه ، ولا تولى ملك من ملوك المسلمين أحسن سيرة من معاوية ﷺ ، كما ذكر الناس سيرته وفضائله."[٤]

---

[١] مجموع الفتاوى ٣/ ١٥٤-١٥٧.

[٢] انظر شرح صحيح مسلم ٣٩/٩، مجموع الفتاوى ٤٠٧/٣ ، شرح العقيدة الطحاوية ٧٢٣/٢ .

[٣] انظر سير أعلام النبلاء لابن حجر ١١٩/٣ ط: الرسالة.

[٤] منهاج السنة ١٥٠/٦.

وقال أيضا: "ومُعاوِيَة ممن حسن إسلامه باتفاق أهل العلم؛ ولهذا ولّاه عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – موضعَ أخيه يزيد بن أبي سفيان لما مات أخوه يزيد بالشام، وكان يزيد بن أبي سفيان من خيارِ الناس، وكان أحد الأمراء الذين بعثهم أبو بكر وعمر – رضي الله عنهما – لفتح الشام: يزيد بن أبي سُفيَان، وشرحبيل بن حسنة، وعمرو بن العاص، مع أبي عبيدة بن الجراح، وخالد بن الوليد – رضي الله عنهم –، فلما توفي يزيد بن أبي سُفيَان ولّى عمر بن الخطاب معاوية مكانه، وعمرُ لم يكن تأخذه في الله لومةُ لائم، وليسَ هو ممَّن يُحابِي في الولاية، ولا كان ممَّن يحب أبا سُفيَان أباه، بل كان من أعظم الناس عداوة لأبيه أبي سُفيَان قبل الإسلام، حتى إنه لما جاء به العباس يوم فتح مكة كان عمر حريصا على قتله، حتى جرى بينه وبين العباس نوع من المخاشنة بسبب بغض عمر لأبي سُفيَان، فتولية عمر لابنه مُعاوِيَة ليس لها سبب دنيوي، ولولا استحقاقه للإمارة لما أمَّره "[1]

وهذا مما يدل على فضل هذا الصحابي الجليل وسبقه وحرمة سبه ووجوب الدفاع عنه رضي الله عنه .

وبني أمية كان الإسلام وشرائعه في زمنهم أظهر وأوسع مما كان بعدهم.[2]

وجاء من رواية جابر بن سمرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة ، قال : ثم تكلم بشيء لم أفهمه ، فقلت لأبي : ما قال؟ فقال : كلهم من قريش))[3]

[1] منهاج السنة لابن تيمية ٣٨٢/٤ .

[2] المصدر السابق ٢٣٨/٨ وانظر كتاب حراسة العقيدة ص٧٤ وما بعدها ، للدكتور ناصر العقل ، طبعة : موقع الإسلام اليوم islamway.com.

[3] أخرجه مسلم ،كتاب : الإمارة ، باب: الناس تبع لقريش ، والخلافة في قريش ، ص١٠٠٤ ، ح٤٧٠٨ .

المبحث الثالث : تفضيل أبي بكر على عمر رضي الله عنهما

يقول الدهلوي : "وقد أجمع من يعتد به من الأمة على أن أفضل الأمة أبو بكر الصديق ، ثم عمر رضي الله عنهما، وذلك لأن أمر النبوة له جناحان: تلقى العلم عن الله تعالى، وبثه في الناس، أما التلقي عن الله فلا يشرك النبي ﷺ في ذلك أحد ، وأما بثه فإنما تحقق بسياسة وتأليف ونحو ذلك ، ولا شك أن الشيخين رضي الله عنهما أكثر الأمة في هذه الأمور في زمان النبي ﷺ وبعده، والله أعلم.

وليكن هذا آخر ما أردنا إيراده في كتاب حجة الله البالغة، والحمد لله تعالى أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وأصحابه أجمعين"[1].

حكى الدهلوي بقوله السابق الإجماع على أفضلية أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقال بتقديم أبي بكر على عمر رضي الله عنهما ، وقد وافق بقوله هذا أهل السنة والجماعة ، وسيكون الكلام في هذا المبحث عن تقديم أبي بكر على عمر رضي الله عنهما .

[1] حجة الله البالغة ٣/٣٨٠.

اختلف الناس في الكلام عن المفاضلة بين الصحابة ﷺ :

فمنهم من أمسك عن الخوض فيها ، ومنهم من تكلم بمقتضى النصوص ، والذي عليه إجماع أهل السنة والجماعة القول بأفضلية أبي بكر ثم عمر رضي الله عنهم [1].

واختلفوا بعدهما في عثمان وعلي رضي الله عنهما ،

يقول الإمام الشافعي :" ما اختلف أحد من الصحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – وتقديمهما على جميع الصحابة ، وإنما اختلف من اختلف منهم في علي وعثمان–رضي الله عنهما– ". [2]

وقد استقر اجماع أهل السنة على تقديم عثمان على علي رضي الله عنهما .

يقول الحافظ ابن عبد البر بعد ذكره الأقوال في المسألة :" وأهل السنة اليوم على ما ذكرت لك من تقديم أبي بكر في الفضل على عمر ، وتقديم عمر على عثمان ، وتقديم عثمان على علي رضي الله عنهم[3].

ويقول الحافظ ابن الصلاح[4] :" تقديم عثمان هو الذي استقرت عليه مذاهب أصحاب الحديث والسنة "[1].

---

[1] السنة للخلال ٤٠٤/٢ ، شرح أصول الاعتقاد ١٣٦٩/٧ .

[2] الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، لأحمد بن الحسين الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي ، ص٣٦٩ ، تحقيق: أحمد عصام الكاتب ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت، ط: ١، ١٤٠١هـ .

[3] الاستيعاب ١١١٨/٣ .

[4] ابن الصلاح (٥٧٧ - ٦٤٣ هـ)عثمان بن عبد الرحمن (صلاح الدين) ابن عثمان بن موسى بن أبي النصر النصري الشهرزوري الكردي الشرخاني ، أبو عمرو ، تقي الدين، المعروف بابن الصلاح: أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال ، ولد في شرخان (قرب شهرزور) وانتقل إلى الموصل ثم إلى خراسان ، فبيت المقدس حيث ولي التدريس في الصلاحية ، وانتقل إلى دمشق ، فولاه الملك الاشرف تدريس دار الحديث، وتوفي فيها ، له كتاب (معرفة أنواع علم الحديث)يعرف بمقدمة ابن الصلاح، و الامالي ، انظر الأعلام للزركلي ٢٠٨/٤ .

ويقول الحافظ ابن حجر العسقلاني :" الإجماع انعقد بآخرة بين أهل السنة أن ترتيبهم- أي الصحابة ﷺ - في الفضل كترتيبهم في الخلافة "[2].

..تم البحث ..

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

[1] معرفة أنواع علوم الحديث ، لابن الصلاح ، ص٤٠١ ، تحقيق: عبد اللطيف الهميم ، ماهر ياسين الفحل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط:١، ١٤٢٣ هـ.

[2] فتح الباري ٣٤/٧ ،وانظر ٥٨/٧ .

الخاتمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، فقد تم إنجاز هذا البحث وإتمامه بحول منه سبحانه وعونه ، وهذا عرض لأبرز نتائج البحث :

أولاً : نتائج البحث في مؤلف الكتاب :

١- أهمية العناية بدراسة آراء الأعلام الفقهية المتبوعة الاعتقادية وضرورة تقويمها ،- خاصة المتأخرين منهم - لعظيم أثرهم ، وانتشار كتبهم .

٣- أثرت الأحوال السياسية والدينية والاجتماعية والعلمية السيئة في القرن الثاني عشر على حياة ولي الله الدهلوي ، وتكوينه العلمي ، وآرائه الاعتقادية سلباً وإيجاباً .

٤- كثرت كتب ولي الله الدهلوي رحمه الله التي ضمنها آراءه الاعتقادية ، وعناية أهل العلم بها ، وشهرتها بين الناس بما يحتم ضرورة تحقيقها ودراستها وقويمها .

٥- تناقض واضطرب ولي الله الدهلوي في مسائل عدة .

٦- تأثر ولي الله الدهلوي بالصوفية وتبنى بعض آرائهم ورد عليهم في بعضها الآخر .

٧-**وافق ولي الله أهل السنة والجماعة في مسائل وخالفهم في آخرى ، وفيما يلي بيان ذلك:**

في مصادر تلقي العقيدة ومنهج الاستدلال بها :

وافق أهل السنة والجماعة في اعتبار القرآن والسنة والإجماع والعقل مصادر لتلقي العقيدة .

أ- في الإيمان بالله :

وافق الدهلوي أهل السنة والجماعة في معنى الإيمان بالله ، ووافقهم في أقسام التوحيد .

فوافق أهل السنة والجماعة في توحيد الربوبية وتوحيد العبادة .

وفي باب الأسماء والصفات وافق أهل السنة والجماعة في بيان معنى الأسماء والصفات وإثبات أسماء الله تعالى والقول بأنها توقيفية وغير محصورة بعدد ، وخالفهم في قوله بأن ظواهر نصوص الصفات غير مرادة ، وقال بالتفويض .

واضطرب كلام الدهلوي في التأويل فمنعه وشنع على أصحابه ووقع في جملة من التأويلات .

ب- في بقية أركان الإيمان :

في الإيمان بالملائكة عليهم السلام وافق أهل السنة والجماعة في تعريف الملائكة ، والإيمان بهم ، وتقريره عصمتهم ، والمفاضلة بينهم وبين صالحي البشر .

وفي الإيمان بالكتب : وافق أهل السنة والجماعة في تعريف الكتب ، ومعنى الإيمان بها ونزول القرآن .

وفي الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام : وافق أهل السنة والجماعة في معنى الإيمان بهم والمفاضلة بينهم .

وفي الإيمان بالقدر : وافق أهل السنة في الإيمان بالقدر وخالف في مسائل منها :

- جعل الدهلوي الكتابة في القدر بمعنى الإيجاب والتعين ، وجعل القضاء الصورة المخلوقة في عالم المثال .

- وفي مسألة خلق أفعال العباد وافق الأشاعرة بالقول بالكسب .

- ووافق الدهلوي الأشاعرة بالقول بأن الأسباب تنسب إلى المسببات مجازاً وأن العلاقة بين الأسباب ومسبباتها علاقة اقتران ولا يشترط لوجود المسبب وجود السبب .

ج- في مسائل الإيمان :

وافق أهل السنة والجماعة في القول بجواز الاستثناء في الإيمان ، وحكم مرتكب الكبيرة ، وخالف أهل السنة والجماعة بموافقته لمذهب المرجئة في إثبات الإيمان بمجرد التصديق .

د- في مسائل التصوف :

وافق الدهلوي الصوفية الضلال في بعض مصطلحاتهم كالذوق ، والوجد ، والكشف ، وعالم المثال ، والفناء ..وغيرها .

هـ- في الصحابة :

وافق أهل السنة والجماعة في تعريف الصحابة ، وبيان فضلهم ، وبيان المفاضلة بينهم وبين من بعدهم ،وبحث عدالتهم ، لكن كان له كلام في الصحابة من بني أمية ﷺ .

ثانياً : ملخص لمباحث الكتاب ونقده :

١- الإيمان بالله هو أول أركان الإيمان ، وأعظمها ، وأساسها .

٢- المثبتون للخالق نوعان: أهل توحيد ، وأهل اشراك ، ولم يقع الشرك في الربوبية إلا من طوائف معدودة ، والشرك في الربوبية نوعان: شرك تعطيل ، وشرك باعتقاد اكثر من صانع .

٣- العباد جميعاً - حتى المشركون - مفطورون على توحيد الربوبية .

٤- انحرف المتكلمون في توحيد الربوبية ومن مظاهر انحرافهم فيه :

أ - استدلالهم على وجود الله تعالى بحدوث الأعراض ، فأنكروا المعرفة الفطرية .

ب-جعل المتكلمون الهدف الأول إثبات توحيد الربوبية واستدلوا على وحدانية الله ﷻ بدليل التمانع .

٥- أجمع الأنبياء عليهم السلام على توحيد الله تعالى عبادة واستعانة ، وتنزيهه عما لا يليق بجلاله ، وتحريم الإلحاد في أسماءه .

٦- القرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه ، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم.

٧- التوسل في الشرع : على قسمين توسل مشروع ، وتوسل ممنوع .

٨- تعظيم الأنبياء والصالحين ومحبتهم إنما هي باتباع ما دعوا إليه من العلم النافع ، والعمل الصالح واقتفاء آثارهم ، وسلوك طريقتهم دون عبادة قبورهم ، والعكوف عليها ، واتخاذها أعياداً.

٩- توحيد الأسماء والصفات : هو إثبات ما أثبت الله تعالى لنفسه ، وأثبته له رسوله ﷺ ، ونفي ما نفى الله عن نفسه ، ونفاه عنه رسوله ﷺ من الأسماء والصفات ، والإقرار لله تعالى بمعانيها الصحيحة ، ودلالاتها ، واستشعار آثارها ، ومقتضياتها في الخلق.

١٠- قد انحرفت طوائف عن سلوك الطريق المستقيم في أسماء الله وصفاته ، ومن أهم سمات هذه الطوائف : التحريف ، والتعطيل ، والتكييف ، والتمثيل .

وينتظم المنهج الحق في باب الأسماء والصفات في ثلاثة أصول ، من حققها سلم من الانحراف في هذا الباب ، وهي :

الأصل الأول :تنزيه الله جل وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين.

الأصل الثاني : الإيمان بما سمى ووصف الله به نفسه ، وبما سماه ووصفه به رسوله ﷺ ، على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته .

الأصل الثالث :قطع الطمع عن إدراك حقيقة كيفية صفات الله تعالى ؛ لأن إدراك المخلوق لذلك مستحيل .

١١- الصواب في مسألة حدوث الصفات : الاستدلال بحدوث المخلوقات على الخالق العظيم ، وليس الاقتصار على حدوث صفات المخلوقات ، كما ينبغي أن يكون الدليل خالياً من الألفاظ المجملة ؛ لأنها سبب للاضطراب والاختلاف.

وحقيقة قول الجهمية، والمعتزلة، ومن وافقهم من الأشعرية، وغيرهم، أن الرب لم يزل معطلاً فلا يفعل شيئاً ، ولا يتكلم بمشيته وقدرته.

١٢- القول بالتفويض قولٌ مخالفٌ لمنهج النبي ﷺ وأصحابه القائم على التسليم التام للكتاب والسنة بمفهومهما.

١٣- خالف المتكلمون- من الجهمية والمعتزلة وكثير من متأخري الأشعرية - في استواء الله ﷻ على عرشه وفسروا الاستواء بالاستيلاء والقهر ، وتأويلهم هذا مخالف لعقيدة السلف ، وهو من باب تحريف الكلم عن مواضعه ، وقد ورد عن السلف في إثبات الاستواء نصوص كثيرة .

١٤- رؤية الله عز وجل مسألة قد ثبتت بالكتاب والسنة المتواترة والإجماع ، فالله عز وجل يراه المؤمنون في الدار الآخرة ، وفي عرصات القيامة ، وبعدما يدخلون الجنة ،كما يرون القمر ليلة البدر صحواً ، ورؤية الله عز وجل هي أعلى مراتب نعيم الجنة ، وغاية مطلوب الذين عبدوا الله مخلصين له الدين .

وقد اتفق على القول بإثبات الرؤية الأنبياء والمرسلون ،وجميع الصحابة والتابعون ، وخالفهم في ذلك المعتزلة .

١٥- مذهب السلف في نزول الله عز وجل أن الله يفعل ما يشاء ، وينزل كيف شاء ، ومتى شاء ، وأن نزوله من الأفعال الاختيارية المتعلقة بمشيئته وإرادته.

١٦- منهج أهل السنة والجماعة في الألفاظ المجملة ، الاستفصال عن معناها ، فإن كان حقاً قُبِل المعنى وأوقف اللفظ لعدم وروده ، وإن كان المعنى باطلاً رد اللفظ والمعنى.

١٧- مذهب أهل السنة والجماعة في كلام الله تعالى أن الله تعالى لم يزل فاعلاً متكلماً إذا شاء ، ولا حدوث ، بل إن ذلك ممكن غير ممتنع ، والله قادر عليه وقت ما شاء ، وهو تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ، ومتى شاء ، وكيف شاء ، وهو يتكلم به بصوت يسمع ، وأن نوع الكلام قديم ، وإنْ لم تكن أفراد الكلام قديمة ، وهذا هو المأثور عن أهل الحديث والسنة .

١٨- التأويل في اصطلاح العلماء ، له ثلاثة معان:

الأول: أن يراد بالتأويل حقيقة ما يؤول إليه الكلام، وإن وافق ظاهره، وهذا هو المعنى الذي يراد بلفظ التأويل في الكتاب والسنة.

الثاني: يراد بلفظ التأويل: (التفسير).

الثالث: أن يراد بلفظ (التأويل): صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه ظاهره إلى ما يخالف ذلك، لدليل منفصل يوجب ذلك، وهذا التأويل لا يكون إلا مخالفاً لما يدل عليه اللفظ ويبينه، وتسمية هذا تأويلاً لم يكن في عرف السلف، وإنما سمي هذا وحده تأويلاً طائفة من المتأخرين الخائضين في الفقه وأصوله والكلام، وهذا هو التأويل الذي اتفق سلف الأمة وأئمتها على ذمه، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض ، وهو من أعظم أصول الضلال والانحراف حيث صار ذريعة لغلاة الجهمية والباطنية والمتصوفة في تأويل التكاليف الشرعية على غير مقصودها أو إسقاطها أو تأويل جميع الأسماء والصفات.

١٩- الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان ، والذي لا يصح إيمان عبد حتى يقر به فيؤمن بوجودهم ، وبما ورد في الكتاب والسنة من صفاتهم وأفعالهم ، والملائكة هم رسل الله في تنفيذ أمره الكوني الذي يدبر به السموات والأرض ، وهم رسل الله في تدبيره أمره الديني .

٢٠- الإيمان بالكتب هو الركن الثالث من أركان الإيمان ، فيجب الإيمان بكل كتب الله المنزلة ، والاعتصام بكتاب الله ﷻ ، وسنة نبيه ﷺ .

٢١- الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام هو الركن الرابع من أركان الإيمان ، وقد اختلف العلماء في الفرق بين النبي والرسول ، وأحسن ما قيل في الفرق بينهما: أن الرسول من بُعث إلى قوم كفار بشريعة جديدة ، ولو بالنسبة إليهم ، وإن لم تكن جديدة في نفسها ، والنبي من بعث في قوم مؤمنين مجدداً لشريعة من قبله ، وفرق بين من يرسل إلى مخالفين ، فيؤمن به بعضهم ويكذبه بعضهم ومن يأمر المؤمنين بما يعرفون أنه حق ، فالأول يواجه من المشقة والأذى ما لا يواجهه الآخر والله أعلم

٢٢- النبوة ليست مكتسبة فلا تنال بعلم ولا رياضة ، ولا تدرك بكثرة طاعة أو عبادة ، ولا تأتي بتجويع النفس أو إظمائها ، وإنّما هي محض فضل إلهيّ، ومجرّد اصطفاء ربانيّ، وأمر اختياريّ .

٢٣- قد اشتهر عند أهل الكلام تقرير نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالمعجزات فقط ، وهذا اعتقاد خاطئ أدى بهم إلى إنكار كرامات الأولياء ، لأنهم حصروا دلائل النبوة في المعجزات فقط.

٢٤- أجمع أهل السنة والجماعة على ثبوت الشفاعة يوم القيامة من النبي ﷺ ، ومن صلحاء المؤمنين للمذنبين من المسلمين من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ، لقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩] ، والآيات في الشفاعة المثبتة كثيرة .

٢٥- الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان ، ويتضمن الإيمان بما أخبر الله تعالى به ، وأخبر به رسولُه ﷺ من أحوال البَرْزَخ ، ثم البعث والنُّشور، والقيام من القُبور، ثم الوُقوف في المحشَر، ثم الحساب، ثم الميزان، ثم تطايُر الصحُف فالمؤمن يأخُذ كتابه بيمينِه ، وغير المؤمن يأخذ كتابه بشمالِه، ثم المرور على الصراط، ثم الاستقرار في الجنّة أو في النّار، هذا كلُّه يشمله الإيمان باليوم الآخِر.

٢٦- مذهب سلف الأمة على إثبات عذاب القبر ونعيمه وأن العذاب والنعيم يكونان على النفس والبدن .

٢٧- الإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان ، وهو الإيمان بأن الله جل وعلا قدر في الأزل مقادير الخلائق ، وما يكون من الأشياء على ما اقتضته حكمته البالغة ، فعلم أوقاتها وصفاتها ، وكتبها ، وشائها فهي واقعة كما قدر لها .

والمخالفون في باب القدر فرقتان الجبرية والقدرية .

١- القدرية التي غلت في نفي القدر حتى نفت أن تكون أفعال العباد مخلوقة لله.

٢- الجبرية التي غلت في إثبات القدر حتى جعلت العبد مجبوراً على فعله.

٢٨- الإيمان باللوح المحفوظ يتضمن الإيمان بأنه حق، يجب إثباته، وأنه مخلوق، وأن حقيقته وكيفيته علمها إلى الله ﷻ ، ولا يلزمنا البحث عنها ، ويتضمن الإيمان به أيضاً الإيمان بما ثبت له من أسماء وأوصاف.

٢٩- في مسألة خلق أفعال العباد خالف أهل السنة في ذلك عامة الطوائف والفرق ، فالجهمية الجبرية ومن وافقهم أثبتوا خلق الله لأفعال العباد ونفوا قدرة العباد عليها ، وسووا بين أفعالهم الاختيارية والاضطرارية .

والمعتزلة القدرية ومن وافقهم نفوا خلق الله لأفعال العباد ، وقالوا بأن العباد هم الذين خلقوا أفعالهم ، وأثبتوا قدرة العباد المطلقة على أفعالهم.

ورامت الأشعرية التوسط بين الجبرية والقدرية فأحدثت نظرية الكسب ، وحارت أفهامهم في تصورها ، واضطربت أقوالهم في التعبير عنها .

٣٠- قول أهل السنة والجماعة في التحسين والتقبيح هو القول الصحيح ، والوسط بين الفرق ؛حيث قالوا بأن التحسين والتقبيح شرعيان وعقليان ، والأفعال من حيث هي قد يدرك العقل حسنها وقبحها قبل ورود الشرع ، وقد لايدرك ذلك ، إلا أن الثواب والعقاب في الجميع معلق على ورود الشرع.

٣١- الأسباب عند أهل السنة والجماعة تؤثر في مسبباتها لا بذاتها ، وإنما بمشيئة الله وخلقه ، وتيسيره لما يعاونها، وصرفه لما يعارضها ، ويرى الأشاعرة أن علاقة السبب بمسببه ونتيجته مجرد علاقة اقتران ، حيث إنهم يزعمون أن المسبب يوجد عند وجود السبب لا بوجوده ؛ فالإحراق عندهم لا يحصل بالنار، وإنما يحصل عند النار.

وذلك نظير قولهم في القدر وأفعال العباد وهذا قول خاطئ لا يمكن تصوره ، ويلزم عليه ان الله ﷻ متصف بمفعولاته .

٣٢- من أصول أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل واعتقاد ، يزيد بطاعة وينقص بالمعصية ، خلافاً للخوارج والمعتزلة والمرجئة .

٣٣- جوز أهل السنة والجماعة اتباع السلف الاستثناء في الإيمان في الأعمال ، ومنعوا الإستثناء في أصل الإيمان الذي هو تصديق القلب .

٣٤- الكبيرة هي كل ما ترتب عليه حد في الدنيا ، أو وعيد في الآخرة ، أو لعن أو غضب .

وصاحب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، خلافاً للخوارج الذين كفروه وللمعتزلة الذين جعلوه في منزلة بين منزلتين ، والمرجئة الذين قالوا لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله .

٣٥- كانت بداية التصوف عبارة عن تمسك بالأخلاق ، والزهد في الدنيا ، ثم انحرف مفهومه إلى الانقطاع عن الدنيا والعلم ، ثم انحرف إلى عقائد باطلة ، كالحلول والاتحاد ، وترك الواجبات ، وفعل المحرمات وغيرها من الانحرافات.

٣٦- للصوفية مصطلحات كثيرة بنوا عليها مذهبهم ، وغالباً ما تكون مصطلحات غامضة تحتاج إلى بيان وايضاح.

٣٧- لا معنى للتصوف الذي يتناقض مع القرآن الكريم ، أو السنة النبوية ، أو ما اجتمعت عليه الصحابة الكرام في الصدر الأول من الدعوة الإسلامية ، ولا معنى للتصوف الذي تتعارض مبادئ معتقده مع مبادئ الإسلام، وما عُلم من الدين بالضرورة ، أو التصوف الذي يشتمل على عبارات وكلمات أو عقائد مخالفة لم ترد عن النبي ﷺ أو الصحابة الكرام ﭬ أو التابعين الأبرار ، وتفتح باباً للفتن و الشبهات، ودعاوى الظن والشك وتبتعد عن صفاء الإسلام وبهائه ونصاعة الحق فيه.

٣٨- ظهر مصطلح الكشف ليدل على ما يحدثه الله في قلب العبد من العلوم التي تخفى على غيره من الناس عند قربه من الله عز وجل ، ثم تطور في القرن الخامس الهجري ليدل على مدلولات متباينة ، كشهود صفات الله شهوداً قلبياً ، والتحير في هذه الصفات ، والكشف عن ذات الله ﷻ والنبوات ، وأمور الدنيا والآخرة ، وأخيراً عند غلاة الصوفية أصبح مدلول الكشف انكشاف الحقائق العلمية والصفات الإلهية والأمور الكونية ، وكل ما يختص به الله تعالى عند تجلي الحق في العبد ، وحلوله فيه تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً

٣٩- تطور مصطلح السكر عند الصوفية من حالة تعرض للصوفي يزول فيها عقله وإحساسه عند ورود بعض الأحوال عليه ، إلى شهود القدر والاسترسال معه ، دون

أن يفرق بين مأمور ومحظور ، ثم إلى حالة تعرض له عند حلول الذات الإلهي فيه ، وزوال صفة الآدمية عنه عند الحلولية ، وأخيراً تضمن معانٍ مختلفة كلها تتضمن الوحدة ، وأبرزها لذة وطرب عند شهود الوحدة .

٤٠- ظهر مصطلح الأنس في القرن الثالث بمعانٍ متعددة ، منها ما هو شرعي :كالأنس بذكر الله وطاعته والتقرب إليه ، ومنها ما هو بدعي : كارتفاع الحشمة ، والوحشة بين العبد وخالقه وكذلك الأنس بفناء العبد في شهود ربه عن شهود ما سواه ، وأخيراً عند غلاة الصوفية أصبح الأنس: أنس العبد بفناء وجوده في وجود الرب ، فيصبح وجودهما واحداً.

٤١- تطور مصطلح التوكل عند الصوفية من معنى اعتماد القلب على الله وتفويض الأمور إليه مع فعل الأسباب إلى دعوى الاعتماد على الله بإسقاط الأسباب ، ثم ترك التوكل جملة وجعل مقاماً للعامة وليس للخاصة والأولياء الواصلين ، وأخيراً عند أهل الوحدة ترك التوكل وعدم صحته ؛ لأنه لا يوجد في الكون سوى الوكيل الذي هو الله ، تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً

٤٢- ظهر مصطلح التفريد في القرن الرابع الهجري ليتضمن معنيين :

الأول : إفراد الله بالقدم.

والثاني : الفناء عن الخلق والنفس والأفعال .

ثم تطور في القرن الخامس الهجري ليتضمن معانٍ صحيحة بإفراد الله بالإيثار على غيره في جميع الأحوال والأعمال ، ومعانٍ باطلة تنفي الإثنينية لإثبات الحلول .

وأخيراً عند غلاة الصوفية أصبح التفريد إفراد الله تعالى بالوجود تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً.

٤٣- بدأ الكلام في الحجاب عند الصوفية موافقاً للكتاب والسنة ، ومن ذلك الحديث عن حجاب المعاصي ، ثم دخل مصطلح الحجاب في مفهوم الحلول والاتحاد

٤٤- عالم المثال مصطلح فيه تأويل للنصوص الشرعية بالباطل ، وهو قول ليس له أصل في الكتاب والسنة ، وعالم المثال قول مبتدع دخيل ، لم يعرف عن النبي ﷺ ولا أصحابه

ﷺ ، ولا القرون المفضلة بل جاء بعدهم ، وأصل هذا القول مأخوذ من نظرية المثل التي قال بها أفلاطون ، والواجب إبقاء الأدلة على ظواهرها بمعانيها وحقائقها.

٤٥- يجب الإمساك عما حدث بين الصحابة ﷺ ، وذكر محاسنهم ومناقبهم ، وصرف أمورهم إلى أحسن المصارف ؛ فهم أول من آمن مع النبي ﷺ وهم الذين نصروه ، ونشروا دين الله ﷻ في الأرض ، وقد امتدح الله تعالى المتبعين لهم بإحسان ، وامتدح قولهم في السابقين من المهاجرين والأنصار ،قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠] ، وهذا القول هو الذي عليه أهل السنة قاطبة .

٤٦- الذي عليه إجماع أهل السنة والجماعة القول بأفضلية أبي بكر ثم عمر ﷺ ، واختلفوا بعدهما في عثمان وعلي رضي الله عنهما .

وقد استقر اجماع أهل السنة على تقديم عثمان على علي رضي الله عنهما.

والحمدلله أولاً وآخراً ، ظاهراً وباطناً ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

الفهـــارس العامـــة

فهرس الآيـــات

١٦- ﴿.. وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ..٧﴾	آل عمران	٧	٩٨،١٢٥، ١٣٢
١٧- ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا ...١٦﴾	آل عمران	١٦	٦٨
١٨- ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ... ﴾	آل عمران	١٨ -١٩	٦٠
١٩- ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ ...٧٤﴾	آل عمران	٧٤	١٥٥
٢٠- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ١٠٢﴾	آل عمران	١٠٢	٢
٢١- ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ ...١٧٣﴾	آل عمران	١٧٣	٢٤٤
٢٢- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ.. ١﴾	النساء	١	٢
٢٣- ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ ...٦﴾	النساء	٦	٣٢٣
٢٤- ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ ...٣١﴾	النساء	٣١	٢٥٨
٢٥- ﴿۞وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ .. ٣٦﴾	النساء	٣٦	٥٨
٢٦- ﴿..يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ .. ﴾	النساء	٤٦	١٢١
٢٧- ﴿.. فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ ... ٥٩﴾	النساء	٥٩	٢٩٦
٢٨- ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ... ٦٥﴾	النساء	٦٥	٢٩٥
٢٩- ﴿.. ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا١١٠﴾	النساء	١١٠	٣١٢
٣٠- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ...١٣٦﴾	النساء	١٣٦	١٣٨
٣١- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن	النساء	١٥٠	١٥٤

يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ ...﴾		١٥٢-	
٣٢-﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ ...﴿١٦٤﴾﴾	النساء	١٦٤	١٢١
٣٣-﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ...﴿١٦٥﴾﴾.	النساء	١٦٥	١٦٤،٢٢ ٠
٣٤-﴿.. ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴿٣﴾﴾	المائدة	٣	٩٢،٣٠١
٣٥-﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ...﴿١١﴾﴾	المائدة	١١	٢٢٩
٣٦-﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ...﴿١٦﴾﴾	المائدة	١٦	٢٢٤
٣٧-﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ...﴿٣٥﴾﴾	المائدة	٣٥	٦٦،٦٨
٣٨-﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا.......	المائدة	٤٦	١٤٢
٣٩-﴿.. إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ ...﴿٧٢﴾﴾	المائدة	٧٢	٨٠
٤٠-﴿... وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ...﴿١﴾﴾	الأنعام	١	٥٤
٤١-﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ ...﴿١٧﴾﴾	الأنعام	١٧	٧١
٤٢-﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ...﴿٥٠﴾﴾	الأنعام	٥٠	٧١
٤٣-﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴿٨٦﴾﴾	الأنعام	٨٦	١٣٩
٤٤-﴿.. قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ ..﴿٩١﴾﴾	الأنعام	٩١	٦٠
٤٥-﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ...﴿١٠٣﴾﴾	الأنعام	١٠٣	٣٣٨
٤٦-﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ ...﴿١٢٥﴾﴾	الأنعام	١٢٥	١٢٠
٤٧-﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا ...﴿١٣٦﴾﴾	الأنعام	١٣٦	٨٠

٤٨- ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ...﴿١٥٣﴾﴾	الأنعام	١٥٣	١٤٨
٤٩- ﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ...﴾	الأعراف	٨ – ٩	١٨٨
٥٠- ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا...﴿٢٨﴾﴾	الأعراف	٢٨	٢٢٠
٥١- ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ ﴿٣١﴾﴾	الأعراف	٣١	٢٢٧
٥٢- ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ...﴿٣٢﴾﴾	الأعراف	٣٢	٢٢٠
٥٣- ﴿.. فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ ..﴿٥٧﴾﴾	الأعراف	٥٧	٢٢٥،٢٢٦
٥٤- ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ...﴿٥٣﴾﴾	الأعراف	٥٣	١٢٦
٥٥- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ...﴿٥٧﴾﴾	الأعراف	٥٧	٢٢٤،٢٢٥
٥٦- ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ..﴿١٤٣﴾﴾	الأعراف	١٤٣	٢١٢،٢٨٤، ٣٣٨
٥٧- ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا...﴿١٤٨﴾﴾	الأعراف	١٤٨	١٢٣
٥٨- ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ...﴿١٧٢﴾﴾	الأعراف	١٧٢	٥٠
٥٩- ﴿أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ ...﴿١٧٣﴾﴾	الأعراف	١٧٣	١٩٩
٦٠- ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ ...﴿١٨٠﴾﴾	الأعراف	١٨٠	٦٧
٦١- ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ...﴿١٨٨﴾﴾	الأعراف	١٨٨	٧١
٦٢- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ ..﴾	الأعراف	١٩٤ –١٩٥	٣٤،٧٢
٦٣- ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ...﴿٢﴾﴾	الأنفال	٢	٢٣٥،٢٤ ٤
٦٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا	الأنفال	٢٩	٢٢٧

...﴿٢٩﴾			
٦٥- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾	الأنفال	٦٤	٣٥٢
٦٦- ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ...٦﴾	التوبة	٦	١٢١
٦٧- ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ...٣١﴾	التوبة	٣١	٦٣
٦٨- ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ ...١٨﴾	يونس	١٨	٨٠
٦٩- ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ ...٣١﴾	يونس	٣١	٣٩
٧٠- ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا ... ﴾	هود	١٥ – ١٦	٦٣
٧١- ﴿.. وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ ..٤٤﴾	هود	٤٤	١٠٤
٧٢- ﴿... وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ١٧﴾	يوسف	١٧	٢٣٩
٧٣- ﴿.. أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ ... ٤٠﴾	يوسف	٤٠	٥٦
٧٤- ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ...٨﴾	الرعد	٨	١٩٤
٧٥- ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ ...١٦﴾	الرعد	١٦	٢٠١
٧٦- ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ...٢﴾	النحل	٢	١٣٧
٧٧- ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا ...٨٠﴾	النحل	٨٠	٢٦٤
٧٨- ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ...٥٦﴾	النحل	٥٦	٨٠
٧٩- ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ ...٧٤﴾	النحل	٧٤	٨٦
٨٠- ﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ...١٥﴾	الإسراء	١٥	٢٢٠
٨١- ﴿.. وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ ... ٤٤﴾	الإسراء	٤٤	٢٨٢
٨٢- ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ ...٤٥﴾	الإسراء	٤٥	٣٣٩

		٤٦–	
٨٣- ﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا ...﴿٥٥﴾﴾	الإسراء	٥٥	١٤٢
٨٤- ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ ...﴿٥٦﴾﴾	الإسراء	٥٦	٢٨٩
٨٥- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ...﴿٥٧﴾﴾	الإسراء	٥٧	٦٨
٨٦- ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ ...﴿٧٩﴾﴾	الإسراء	٧٩	١٦٧
٨٧- ﴿قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ...﴿١٠٢﴾﴾	الإسراء	١٠٢	٤٠
٨٨- ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا..﴾	الكهف	٣٢ – ٣٤	٢٤٦
٨٩- ﴿...فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا ...﴿١١٠﴾﴾	الكهف	١١٠	٢٤٠
٩٠- ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ ... ﴿٩﴾﴾	مريم	٩	٣٣٤
٩١- ﴿...هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴿٦٥﴾﴾	مريم	٦٥	٨٦
٩٢- ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ ...﴿٧١﴾﴾	مريم	٧١	١٨٤
٩٣- ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴿٥﴾﴾	طه	٥	١٠٢
٩٤- ﴿... لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ... ﴿١٤﴾﴾	طه	١٤	٢٨٣
٩٥- ﴿قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴿٤٦﴾﴾	طه	٤٦	١٠٠
٩٦- ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا ...﴿٨٩﴾﴾	طه	٨٩	١٢٣
٩٧- ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴿١٠٩﴾﴾	طه	١٠٩	١٦٧،٣٧١
٩٨- ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴿١١٠﴾﴾	طه	١١٠	٨٧

٩٩- ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٢﴾	الأنبياء	٢	٨٨
١٠٠- ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ .. ٢٢﴾	الأنبياء	٢٢	٤٥
١٠١- ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ... ٢٥﴾	الأنبياء	٢٥	٥٨،٧١
١٠٢- ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ... ٢٨﴾	الأنبياء	٢٨	١٧٠
١٠٣- ﴿... وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠﴾	الأنبياء	٣٠	٢٣١
١٠٤- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٣٣﴾	الأنبياء	٣٣	٥٤
١٠٥- ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ ... ٤٧﴾	الأنبياء	٤٧	١٨٨
١٠٦- ﴿۞وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣﴾	الأنبياء	٨٣	٧٠
١٠٧- ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ... ٨٧﴾	الأنبياء	٨٧	٧٠
١٠٨- ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ ... ٥٢﴾	الحج	٥٢	١٥٣
١٠٩- ﴿بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ ... ٦٣﴾	المؤمنون	٦٣	٢١٥
١١٠- ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ ...﴾	المؤمنون	٨٤ – ٨٩	٣٩،٤٦
١١١- ﴿... وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾	المؤمنون	١٠٠	١٧٥
١١٢- ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ... ١١٧﴾	المؤمنون	١١٧	٦٣
١١٣- ﴿..وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ ... ٢﴾	النّور	٢	٣٢٠

١١٤- ﴿.. وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ ...﴾	النّور	٣٩	٣١٢
١١٥- ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ ...﴾	الفرقان	٧	٦٠
١١٦- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ ...﴾	الفرقان	٦٢	٥٤
١١٧- ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	الشعراء	٢٣	٤٠
١١٨- ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗا...﴾	النّمل	١٤	٤٠
١١٩- ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ ...﴾	النّمل	٦٥	٧١،٣٠٥
١٢٠- ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ ...﴾	العنكبوت	٢٦	٢٣٨
١٢١- ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ...﴾	العنكبوت	٦٥	٦٣
١٢٢- ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾	الرّوم	٣	٣٤٠
١٢٣- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ... ﴾	الروم	٢٧	٥٢
١٢٤- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ ...﴾	الرّوم	٤٠	٣٧
١٢٥- ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ ..	لقمان	٢٥	٤٥،٢٧٧
١٢٦- ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ ...﴾	الأحزاب	٥٨	٣٦٥
١٢٧- ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ ..﴾	فاطر	١٤ – ١٥	٧١،٧٢
١٢٨- ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ ...﴾	يس	١٢	١٩٥
١٢٩- ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ	يس	٦٥	١٢٣

أَرۡجُلُهُم ...﴿٦٥﴾			
١٣٠- ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴿٨٢﴾	يس	٨٢ – ٨٣	٣٤،٣٧،٢٠٠
١٣١- ﴿وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ ...﴿١٥٨﴾	الصافات	١٥٨	٣٣٤
١٣٢- ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴿٩٦﴾	الصافات	٩٦	٢٠١،٢١٥
١٣٣- ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ...﴿٣﴾	الزمر	٣	٧٢
١٣٤- ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴿٣٣﴾	الزمر	٣٣	٢٣٩
١٣٥- ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا ...﴿١١﴾	غافر	١١	١٧٩
١٣٦- ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ ...﴿١٨﴾	غافر	١٨	١٧١
١٣٧- ﴿... وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ...﴿٤٤﴾	غافر	٤٤	٩٥
١٣٨- ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ ...﴿٤٦﴾	غافر	٤٦	١٧٦
١٣٩- ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ...﴿٦٠﴾	غافر	٦٠	٦٣،٢١٠
١٤٠- ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ ...﴿٢١﴾	فصّلت	٢١	١٢٣
١٤١- ﴿... لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴿١١﴾	الشورى	١١	٨٥،٩٢
١٤٢- ﴿۞وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ ...﴿٥١﴾	الشورى	٥١	٣٣٦
١٤٣- ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ .....﴿١٣﴾	الزخرف	١٣	١٠٤
١٤٤- ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا .. ﴾	الزخرف	١٥	٣٣٤
١٤٥- ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ...﴿٣٢﴾	الزخرف	٣١ – ٣٢	١٥٥
١٤٦- ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴿٣﴾ فِيهَا	الدّخان	٣ –	٢٠٠،٣١

يُفْرَقُ...﴿٤﴾﴾		٤	٠
١٤٧- ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴿٥٦﴾﴾	**الدّخان**	**٥٦**	**١٨٠**
١٤٨- ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ...﴿٢٤﴾﴾	**الجاثية**	**٢٤ – ٢٦**	**٤٠**
١٤٩- ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ..﴾	**الأحقاف**	**٩**	**٦٠**
١٥٠- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴿٩﴾﴾	**محمد**	**٩**	**٢٣٧**
١٥١- ﴿۞لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ...﴿١٨﴾﴾	**الفتح**	**١٨**	**٣٥٢**
١٥٢- ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ...﴿٢٩﴾﴾	**الفتح**	**٢٩**	**٣٥٣**
١٥٣- ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾	**الحجرات**	**١٠**	**٢٦١**
١٥٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ ...﴿١٢﴾﴾	**الحجرات**	**١٢**	**٣٥٦**
١٥٥- ﴿۞قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا ..﴾	**الحجرات**	**١٤**	**٢٣٦**
١٥٦- ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ...﴿١٥﴾﴾	**الحجرات**	**١٥**	**٢٣٩**
١٥٧- ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ ...﴿٢٢﴾﴾	**ق**	**٢٢**	**٢٨٩**
١٥٨- ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴿٥٦﴾﴾	**الذاريات**	**٥٦**	**٥٨،٧١،٢ ٨٢**
١٥٩- ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴿٤﴾﴾	**النجم**	**٤**	**٣١١**
١٦٠- ﴿۞وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ...﴿٢٦﴾﴾	**النجم**	**٢٦**	**١٧٠**
١٦١- ﴿.. إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴿٢٨﴾﴾	**النجم**	**٢٨**	**٢٩٧**

١٦٢- ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ ..﴿٣٢﴾﴾	النجم	٣٢	٢٥٨
١٦٣- ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴿٤٩﴾﴾	القمر	٤٩	١٩٤
١٦٤- ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴿٢٩﴾﴾	الرحمن	٢٩	٢٠٠
١٦٥- ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴿٣﴾﴾	الحديد	٣	٨٦
١٦٦- ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ ... ﴿١٠﴾﴾	الحشر	٨ – ١٠	٣٥٣
١٦٧- ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ...﴿٢٤﴾﴾	الحشر	٢٢ – ٢٤	٨٦،١٩٥
١٦٨- ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ ...﴿٢﴾﴾	الجمعة	٢	١٥٢
١٦٩- ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ...﴿١١﴾﴾	التغابن	١١	١٩٤
١٧٠- ﴿.. لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴿١﴾﴾	الطلاق	١	٨٨
١٧١- ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ ...﴿٩﴾﴾	الملك	٨ – ٩	٢٢٠
١٧٢- ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا﴿٧﴾﴾	المعارج	٦ – ٧	٥٢
١٧٣- ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا ...﴿١٨﴾﴾	نوح	١٧ – ١٨	١٧٣
١٧٤- ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا ...﴿٢٣﴾﴾	نوح	٢٣	٧٥،٨١
١٧٥- ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا﴿٢٠﴾﴾	الجن	٢٠	٥٨
١٧٦- ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴿٤٨﴾﴾	المدّثر	٤٨	١٧١

١٧٧- ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١﴾	القيامة	١	١٧٣
١٧٨- ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾	القيامة	٢٢ – ٢٣	١٠٧،١٠٨،١٣٣
١٧٩- ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾	المطفّفين	١٤	١٢٩
١٨٠- ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾	المطففين	١٥	١٠٧،٣٣٦
١٨١- ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾	الأعلى	١٨ – ١٩	١٤٢
١٨٢- ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ٣﴾	الفجر	٣	١٦٦
١٨٣- ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾	الفجر	٢٢	٢٨٤
١٨٤- ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا... ١٠﴾	الشمس	٧– ١٠	٢١٥
١٨٥- ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦﴾	الليل	٥ – ٦	١٩٩،٢٢٧
١٨٦- ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦﴾	الضحى	٦	٣١٢
١٨٧- ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ... ٥﴾	البينة	٥	٥٨
١٨٨- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧﴾	البينة	٧	١٤٠
١٨٩- ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١﴾	الهمزة	١	٣٥٦
١٩٠- ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾	الإخلاص	٤	٨٦

فهرس الأحاديث

فهرس الآثــار

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع :

١- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، صديق بن حسن القنوجي ، تحقيق : عبدالجبار زكار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨م.

٢- إحياء علوم الدين ، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، دار المعرفة ، بيروت ، ٢٠٠٤م.

٣- إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول ، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ، تحقيق:محمد سعيد البدري أبو مصعب ، الناشر دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.

٤- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، تحقيق : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت، ط : ٢ ،١٤٠٥هـ.

٥- أصول الدين ،لأبي منصور عبد القاهر البغداداي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط: ٣ ، ١٤٠١هـ.

٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد بن الأمين الجكني الشنقيطي ت١٣٩٣ ،دار الفكر بيروت – لبنان ،١٤١٥هـ

٧- أساس البلاغة ، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (الزمخشري) ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط: ١ ، ١٤١٩ هـ.

٨- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ، لنخبة من العلماء ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، الرياض ، ط: ١ ، ١٤٢١هـ.

٩- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، لصالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط: ٣ ، ١٤٢٣هـ.

١٠- إعراب القرآن وبيانه ، لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش ، دار الإرشاد للشؤون الجامعية ، حمص ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت) ،ط: ٤ ، ١٤١٥هـ .

١١- إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) ، تحقيق: محمد عزير شمس ، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة ، ط: ١، ١٤٣٢ هـ .

١٢- اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم ، لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ط: ٢ ، ١٣٦٩هـ.

١٣- اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ، أدورد فنديك ، دار صادر ، بيروت ، ١٨٩٦م

١٤- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، لصالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ، دار ابن الجوزي ، ط: ٤ ، ١٤٢٠هـ .

١٥- الاستقامة ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ابن تيمية الحراني) ، تحقيق: د. محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، ط: ١، ١٤٠٣هـ.

١٦- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ليوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار الجيلسنة ، بيروت ، ١٤١٢هـ .

١٧- الأسماء والصفات ، لأحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي ، تحقيق : عبد الله بن محمد الحاشدي ، مكتبة السوادي ، جدة ، ط: ١.

١٨- الاعتصام ، لإبراهيم اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الشقير، سعد بن عبد الله آل حميد ، هشام بن إسماعيل الصيني ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، الرياض، ط: ١ ، ١٤٢٩ هـ.

١٩- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، لأحمد بن الحسين الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي ،تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة ، بيروت، ط: ١، ١٤٠١هـ.

٢٠- الأعلام ، لخير الدين الزركلي الدمشقي ، دار العلم للملايين ، ط : ١٥ ، ٢٠٠٢ م .

٢١- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) ،لعبد الحي الحسني الطالبي ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط:١ ، ١٤٢٠ هـ.

٢٢- الإمام المحدث المجدد شاه ولي الله الدهلوي ، حياته ودعوته ، محمد بشير السيالكوتي ، دار ابن حزم ، الرياض . ط:١ ، ١٤٢٠هـ.

٢٣- الإمامة والرد على الرافضة ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، تحقيق: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي. مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط: ٣، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

٢٤- الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية ، للدكتورة آمال العمرو ، رسالة دكتوراة مقدمة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض، ١٤٢٥-١٤٢٦هـ.

٢٥- الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة ، عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط:١ ،١٤١١هـ.

٢٦- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ، ط: ٣ ، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٢٧- الكشف عن حقيقة التصوف ، لمحمود عبدالرؤوف قاسم ، دار الصحابة ، لبنان /بيروت ، ط: ١ ، ١٤٠٨هـ.

٢٨- اللمع ، لأبي نصر السراج الطوسي ، تحقيق : د.عبد الحليم محمود ،طه عبد الباقي سرور ، دار الكتب الحديثة مصر ، مكتبة المثنى ببغداد ، ١٣٨٠هـ.

٢٩- بدائع الفوائد ، لمحمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) ، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا ، عادل عبد الحميد العدوي ، أشرف أحمد، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، ط:١ ، ١٤١٦هـ.

٣٠- البداية والنّهاية ، للحافظ عماد الدين ابن كثير، تحقيق: عبد الله التركي ، دار الهجرة للطباعة ، الجيزة ، ط:١ ،١٤١٧هـ .

٣١- بستان العارفين لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، ت: محمد الحجار ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط:٦ ، ١٤٢٧هـ.

٣٢- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: موسى الدويش ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ، ط: ٣ ، ١٤١٥هـ.

٣٣- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، لسليمان بن عبد الله آل الشيخ ، دراسة وتحقيق:زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق ، ط:١ ، ١٤٢٣هـ

٣٤- تاريخ دمشق ، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر ، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمَّان ، ١٤١٥ هـ.

٣٥- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، تحقيق ودراسة: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم ، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض ، ط: ١، ١٤٢٥ هـ.

٣٦- التعرف لمذهب أهل التصوف ، لمحمد الكلاباذي أبو بكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٠هـ .

٣٧- التعريفات ، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط: ١ ، ١٤٠٥هـ.

٣٨- تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط: ٢ ، ١٤٢٠هـ .

٣٩- تقريب التهذيب ، لأحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق : محمد عوامة ، دار الرشيد ، دمشق ، ط: ١، ١٤٠٦هـ.

٤٠- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، ١٣٨٧ هـ.

٤١- تلبيس إبليس ، لجمال الدين لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ، ط: ١، ١٤٢١هـ.

٤٢- تنزيه القرآن عن المطاعن ، للقاضي عبد الجبار ، تحقيق وتقديم :د. أحمد السايح ، المستشار توفيق علي وهبة ، مكتبة النافذة ، الجيزة ، ط: ١ ، ٢٠٠٦م.

٤٣- تهذيب الأسماء واللغات ، لمحي الدين بن شرف النووي ، تحقيق مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر، بيروت ، ١٩٩٦م.

٤٤- تهذيب اللغة ، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي ، تحقيق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط: ١، ٢٠٠١م .

٤٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط: ١ ،١٤٢٠هـ.

٤٦- التصوف المنشأ والمصادر ، إحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة ، باكستان – لاهور ، ط: ١ ، ١٤٠٦هـ .

٤٧- جامع البيان في تأويل القرآن ، لأبي جعفر الطبري ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط: ١ ، ١٤٢٠ هـ.

٤٨- جامع الرسائل ، لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق : د. محمد رشاد سالم ، دار العطاء ، الرياض ، ط: ١ ، ١٤٢٢هـ.

٤٩- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ، تحقيق : أبو الأشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية — الرياض ، ط:١ ، ١٤١٤هـ .

٥٠- جامع شروح العقيدة الطحاوية على شرح ابن أبي العز الحنفي ، شرح المشايخ صالح آل الشيخ وعبد العزيز ابن باز ومحمد ناصر الدين الألباني وصالح الفوزان ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، ط: ١ ،١٤٢٧هـ.

٥١- جهود شاه ولي الله الدهلوي في نشر عقيدة السلف ، لمنى محمد عبد الوهاب البطش الجامعة الإسلامية ، غزة ، كلية أصول الدين ، ١٤٣٥هـ.

٥٢- جهود مخلصة في خدمة السنة النبوية ، للدكتور عبدالرحمن الفريوائي ، إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والافتاء ، بنارس – الهند ، ط:١ ، ١٤١٦هـ.

٥٣- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، تحقيق: د.علي حسن ناصر، د.عبد العزيز إبراهيم العسكر، د. حمدان محمد، دار العاصمة ، الرياض ، ط:١ ، ١٤١٤هـ.

٥٤- حراسة العقيدة ، للدكتور ناصر العقل ، طبعة موقع الإسلام اليوم islamway.com.

٥٥- حجة الله البالغة ، لشاه ولي الله الدهلوي ، راجعه وعلق عليه محمود طعمه الحلبي ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ.

٥٦- الحبائك في أخبار الملائك ، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط: ١، ١٤٠٥ هـ.

٥٧- الحطة في ذكر الصحاح الستة، لأبو الطيب محمد صديق خان الحسيني البخاري القِنَّوجي ، دار الكتب التعليمية ، بيروت ، ط: ١ ، ١٤٠٥هـ.

٥٨- خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل ، لمحمد إسماعيل البخاري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط: ١ ، ١٤٠٤هـ.

٥٩- درء تعارض العقل والنقل ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧هـ.

٦٠- رجال الدعوة والفكر (ولي الله الدهلوي) ، لأبي الحسن علي الحسني الندوي ، دار القلم ، الكويت ، ط: ١، ١٤٠٥هـ .

٦١- رسائل العدل والتوحيد ، تأليف : الحسن البصري ، القاضي عبد الجبار ، القاسم الرسي ، الشريف المرتضي ، يحيى ابن الحسين ،تحقيق : محمد عمارة ، دار الشروق ، القاهرة ، ط: ٢ ، ١٤٠٨هـ.

٦٢- رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب ، لأبي الحسن الأشعري ، تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ط: ١٤١٣هـ.

٦٣- رسالة في أسس العقيدة ، للدكتور محمد بن عودة السعوي ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، الرياض ، ط:١ ، ١٤٢٥هـ.

٦٤- الرد على الجهمية للإمام الحافظ ابن منده ، تحقيق: الدكتور علي بن محمد الفقيهي ، مكتبة الغرباء الأثرية ، مكة المكرمة ، ط: ٣ ، ١٤١٤هـ .

٦٥- الرد على الجهمية ، لعثمان بن سعيد الدارمي ، تحقيق : بدر بن عبد الله البدر ، دار ابن الأثير ، الكويت ، ط: ٢ ، ١٩٩٥م .

٦٦- الرد على الزنادقة والجهمية ، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، تحقيق: محمد حسن راشد، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ.

٦٧- الرد على المنطقيين ، لتقي الدين أحمد بن تيمية الحراني ، تحقيق: عبد الصمد الكتبي ، راجعه محمد طلحة بلال ، مؤسسة الريان ، بيروت ، ط: ١ ، ١٤٢٦ هـ .

٦٨- الرسالة التدمرية – تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع – ، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ابن تيمية الدمشقي) ، تحقيق: محمد بن عودة السعوي ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط: ٦ ، ١٤٢١هـ .

٦٩- الرسالة القشيرية ، لأبي القاسم القشيري ، تحقيق: عبد الحليم محمود والدكتور محمود الشريف، مطابع مؤسسة الشعب القاهرة ، ١٤٠٩هـ.

٧٠- الرسل والرسالات ، لعمر بن سليمان الأشقر العتيبي ، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، ط: ٤ ، ١٤١٠ هـ.

٧١- الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين، للدكتور سهل العتيبي ، دار كنوز إشبيليا ، الرياض ، ١٤٣٠هـ.

٧٢- الروح، لابن القيم الجوزية ،تحقيق: بسام العموش، دار ابن تيمية ، الرياض ، ط: ١ ، ١٤٠٦هـ.

٧٣- الروح عند أهل الكلام والفلسفة، لعلي العبيدي ، دار الدرر السنية ، الدمام .

٧٤- الروضة الندية (ومعها: التعليقاتُ الرَّضية على «الرَّوضة النّديَّة» ،لأبي الطيب محمد صديق خان الحسيني البخاري القِنَّوجي، تعليق الشيخ: محمد ناصر الألباني ، تحقيق : علي بن حسَن الحَلبيُّ الأثريّ ، دار ابن القيم للنشر والتوزيع ، الرياض ، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، القاهرة ، ط: ١ ، ١٤٢٣ هـ.

٧٥- زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ، مكتبة دار القلم والكتاب، المملكة العربية السعودية، ط:١، ١٤١٦هـ.

٧٦- الزواجر عن اقتراف الكبائر، لأحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، دار الفكر، ط:١، ١٤٠٧هـ.

٧٧- السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي ، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، مجلس دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد ، ط:١، ١٣٤٤ هـ.

٧٨- سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ، دار الحديث- القاهرة ، ١٤٢٧هـ.

٧٩- سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ، تحقيق:شعيب الأرناؤوط وبشار معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة — لبنان ، ١٤٠٢ هـ.

٨٠- السّنة للخلال، لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال، تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية للنشر والتوزيع ، ط: ١، ١٤١٠ هـ.

٨١- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للإمام محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ، ط:١، جـ ١ – ٤: ١٤١٥ هـ ، جـ ٦: ١٤١٦ هـ جـ ٧: ١٤٢٢ هـ.

٨٢- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لمحمد ناصر الدين الألباني ، دار المعارف، المملكة العربية السعودية – الرياض ، ط:١، ١٤١٢ هـ

٨٣- سنن أبي داود، لأبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) ، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط – مُحَمَّد كامِل قره بللي ، دار الرسالة العالمية ، ط:١، ١٤٣٠ هـ.

٨٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط ، محمود الأرناؤوط ، دار بن كثير — دمشق ، ١٤٠٦هـ

٨٥- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم هبة الله ابن الحسن اللالكائي ،تحقيق: سيد عمران ، دار الحديث ، القاهرة ،١٤٢٥هـ.

٨٦- شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض المسمى إكمال المعلم بفوائد مسلم ، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، تحقيق: د. يحيى اسماعيل ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر ، ط:١، ١٤١٩ هـ.

٨٧- شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط:١٠، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .

٨٨- شرح العقيدة الواسطية ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين ، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ، ط: ٦ ، ١٤٢١هـ .

٨٩- شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار ابن أحمد ، تحقيق: الدكتور عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة القاهرة ، ط:٣ ، ١٤١٦هـ .

٩٠- شعب الإيمان ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ،تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول دار الكتب العلمية – بيروت ،ط:١، ١٤١٠هـ.

٩١- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب (ابن قيم الجوزية) ، دار المعرفة، بيروت، لبنان ، الطبعة: ١٣٩٨م.

٩٢- الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ومجانبة المخالفين ومباينة أهل الأهواء المارقين وهو المشهور بالإبانة الصغرى ، لأبي عبد الله ابن بطة العكبري، تحقيق: علي بن حسن الأثري ، دار الأثرية ، عمَّان ، ط:١، ١٤٣٠هـ.

٩٣- الشريعة ، لمحمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي ، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي ، دار الوطن ، الرياض، ط:٢، ١٤٢٠ هـ .

٩٤- صحيح أبي داود وضعيفه، لمحمد ناصر الدين الألباني ، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع ، الكويت ، ط:١ ، ١٤٢٣ هـ.

٩٥- صحيح الترغيب والترهيب ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، مكتَبة المِعارف ، الرياض ، ط:١، ١٤٢١هـ.

٩٦- الصارم المسلول على شاتم الرسول، لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم (شيخ الإسلام ابن تيمية) ، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني ، محمد كبير أحمد شودري ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط:١ ، ١٤١٧هـ.

٩٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط:٤، ١٤٠٧ هـ.

٩٨- الصفدية ، لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم (شيخ الإسلام ابن تيمية)، تحقيق : محمد رشاد سالم ، مكتبة ابن تيمية، مصر ، ط:٢، ١٤٠٦هـ.

٩٩- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم الجوزية ، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة ، الرياض ، ط:٣ ، ١٤١٨ هـ.

١٠٠- طبقات الحنابلة ، لأبي الحسين ابن أبي يعلى ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، دار المعرفة ، بيروت.

١٠١- طبقات الصوفية ، لأبي عبد الرحمن السلمي ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط:١ ، ١٤١٩هـ.

١٠٢- الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري ، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط:١ ، ١٩٦٨ م.

١٠٣- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ، لمحمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي ، مكتبة دار الزمان ، المدينة المنورة ، ط:١، ١٤٠٥هـ

١٠٤- عقيدة السلف وأصحاب الحديث ، لاسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني ، دار طويق ، الرياض ، ط:١، ١٤٢٤هـ.

١٠٥- العقيدة ، للدكتور محمد بن عودة السعوي ،كنوز إشبيليا ، الرياض ، ط:١ ، ١٤٢٣هـ .

١٠٦- العقيدة الواسطية ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي ، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود ، أضواء السلف ، الرياض ، ط:٢ ، ١٤٢٠هـ.

١٠٧- العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها ، لأبي عبد الله محمد الذهبي ، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود ، مكتبة أضواء السلف ، الرياض ، ط:١، ١٤١٦هـ.

١٠٨- عوارف المعارف ، تحقيق : أحمد السايح ، توفيق علي وهبة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط:١ ، ١٤٢٧هـ.

١٠٩- غاية المرام في علم الكلام ، لعلي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي ، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٣٩١ هـ .

١١٠- فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء ، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش ، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة للطبع ، الرياض ، ط:١، ١٤١٧هـ .
١١١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، رقَّمَ كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي ، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ .
١١٢- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، تحقيق: محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ط:٧ ، ١٣٧٧هـ.
١١٣- الفرق بين الفرق، لعبد القاهر البغدادي التميمي الأسفراييني ، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ) ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط:٢، ١٩٧٧م.
١١٤- الفضل المبين في المسلسل من أحاديث النبي الأمين ﷺ ، لولي الله الدهلوي ، ص٦٥ ، علق عليه : محمد عاشق البرني الهندي ،دار الكتاب ، ديوبند ، ١٤١٨هـ
١١٥- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي ، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي ، مكتبة الفرقان ، عجمان ، ط:١ ، ١٤٢٢هـ.
١١٦- القاموس المحيط ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، ط: ٨ ، ١٤٢٦ هـ.
١١٧- القول المفيد على كتاب التوحيد ، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين ، دار ابن الجوزي، الرياض ، ط:٢، ١٤٢٤هـ.
١١٨- كشف المحجوب ، لعلي بن عثمان الهجويري ، دراسة وترجمة وتعليق : إسعاد عبد الهادي قنديل ، مراجعة وتقديم : بديع جمعة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٧م.

١١٩- متن القصيدة النونية ، محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن القيم الجوزية) ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط: ٢ ، ١٤١٧هـ .

١٢٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لأبي الحسن نور الدين علي الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة ، ١٤١٤ هـ.

١٢١- مجلة البحوث الإسلامية ،مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض.

١٢٢- مجموع الفتاوى ، لتقي الدين أحمد بن تيمية الحراني ،تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار ، دار الوفاء ، ط:٣ ، ١٤٢٦هـ.

١٢٣- مجموع فتاوى الشيخ عبدالعزيز ابن باز ، ٥/٣٣٥ ، أشرف على جمعه وطبعه : محمد بن سعد الشويعر ، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد .

١٢٤- مجموعة الرسائل والمسائل ، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، تحقيق : محمد رشيد رضا ، محمد الأنور البلتاجي ، مكتبة وهبة القاهرة ، ط:٢ ، ١٤٢٠هـ.

١٢٥- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لمحمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) ، اختصره: محمد بن محمد البعلي شمس الدين ، (ابن الموصلي) ، تحقيق: سيد إبراهيم ، دار الحديث، القاهرة ، ط:١، ١٤٢٢هـ.

١٢٦- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر الزرعي (ابن القيم الجوزية) ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط:٢ ، ١٣٩٣هـ .

١٢٧- مدلولات مصطلحات الصوفية عبر مراحل التصوف ، د. دولة العسيري ، رسالة دكتوراة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض .

١٢٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار إحياء التراث العربي بيروت ، الطبعة الأولى ، ط:١.

١٢٩- مشكاة المصابيح ، لمحمد بن عبد الله الخطيب العمري، لأبي عبد الله ولي الدين التبريزي ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط:٣، ١٩٨٥م.

١٣٠- مشكل الحديث وبيانه ، لمحمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، تحقيق: موسى محمد علي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط:٢ ، ١٩٨٥م.

١٣١- مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية ، لأدريس محمد إدريس ، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، مكتبة الرشد الرياض ،ط:٢ ، ١٤٢٦ هـ.

١٣٢- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، حافظ بن أحمد حكمي، ت: عمر بن محمود أبو عمر ، دار ابن القيم – الدمام ، ١٤١٠هـ.

١٣٣- معالم أصول الدين ، لفخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٤هـ.

١٣٤- معجم مصطلحات التصوف ، للدكتور عبد المنعم الحفني ، دار المسيرة ، بيروت ، ط:٢ ، ١٤٠٧هـ.

١٣٥- معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة : ١٣٩٩هـ.

١٣٦- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ، لياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، تحقيق: إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط:١، ١٤١٤ هـ.

١٣٧- معرفة أنواع علوم الحديث ، لابن الصلاح ، تحقيق: عبد اللطيف الهميم ، ماهر ياسين الفحل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط:١، ١٤٢٣ هـ.

١٣٨- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن الأشعري ، نعيم زرزور ، المكتبة العصرية ، ط:١ ، ١٤٢٦هـ.

١٣٩- منازل السائرين ، لعبد الله الأنصاري الهروي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة: ١٤٠٨هـ.

١٤٠- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط:١ ، ١٤٠٦ هـ.

١٤١- موسوعة الفلسفة ، لعبد الرحمن بدوي ، المؤسسة العربية لدراسات والنشر ، بيروت ، ط: ١ ، ١٩٨٤م .

١٤٢- موطأ الإمام مالك من رواية يحي الليثي ، دار الشعب ، مصر ، ط:١ .

١٤٣- موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة ، للدكتور : سليمان الغصن ، دار العاصمة ، الرياض ، ط: ١ ، ١٤١٦هـ.

١٤٤- موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها ،د. صالح الغامدي ، مكتبة المعارف -الرياض ، ط١ ، ١٤٢٤هـ .

١٤٥- موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الأشاعرة ، للدكتور عبد الرحمن المحمود ، دار ابن الجوزي ، الرياض ، ط: ٢ ، ١٤٣٤هـ.

١٤٦- موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الصوفية ، للدكتور محمد عبد الرحمن العريفي ، دار المنهاج ،الرياض ، ط:١ ،١٤٣٠هـ.

١٤٧- موقف أهل السنة والجماعة من الأسباب وآراء المخالفين ، ليلى نوري المغامسي الحربي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤١٨ هـ .

١٤٨- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، ط :١ ، ١٣٨٢ هـ.

١٤٩- المباحث العقدية المتعلقة باللوح المحفوظ ، لعادل حجي العامري ، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ١٤٢٨هـ .

١٥٠- المحيط في اللغة ، لإسماعيل ابن عباد الطالقاني ، تحقيق: محمد حسن آل ياسين ، عالم الكتب ، بيروت ، ط:١، ١٤١٤هـ .

١٥١- المدخل ، لمحمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي (ابن الحاج) ، دار الفكر، بيروت ، ١٤٠١هـ.

١٥٢- المستدرك على الصحيحين للحاكم، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله (الحاكم النيسابوري)، تحقيق : مقبل بن هادي الوادعي ، دار الحرمين ، القاهرة ، ١٤١٧هـ .

١٥٣- المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضاً ونقداً، د. صادق سليم صادق ، ط: ٢ ، ١٤٢٧هـ.

١٥٤- المفردات في غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد (الراغب الأصفهانى)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي ، دار القلم ، الدار الشامية ، دمشق - بيروت ، ط:١ ، ١٤١٢ هـ.

١٥٥- المعجم الصوفي ، دراسة علمية فى الأصول القرآنية للمصطلح الصوفى ، رسالة دكتوراة من كلية دار العلوم جامعة القاهرة ، إعداد: د. محمود عبد الرازق.

١٥٦- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية ، للدكتور جمال صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، بيروت ، ١٩٨٢م .

١٥٧- المعجم الكبير ، لسليمان بن أحمد (أبو القاسم الطبراني) ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، ط:٢ ، ١٤٠٤هـ — ١٩٨٣م .

١٥٨- المعجم الوسيط ،لإبراهيم مصطفى ، وأحمد الزيات ، وحامد عبد القادر ، ومحمد النجار، تحقيق : مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة.

١٥٩- الملل والنحل ، لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٤هـ.

١٦٠- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط:٢ ، ١٣٩٢هـ.

١٦١- الموافقات ، لإبراهيم اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، دار ابن عفان ، الجيزة ، ط:١ ، ١٤١٧هـ.

١٦٢- المواقف ، لعضد الدين الإيجي ، دار الجيل ، بيروت ، ط:١، ١٩٩٧م .

١٦٣- الموجز في تحصيل السؤال وتلخيص المقال في الرد على أهل الخلاف ، لأبي عمار عبد الكافي الإباضي ضمن كتاب آراء الخوارج ، تحقيق: د.عمار طالبي.

١٦٤- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، دار صادر، بيروت ، ط:٣، ١٤١٤ هـ.

١٦٥- لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام ، لعبد الرزاق الكاشاني ، تحقيق: أ.د أحمد السايح ، المستشار توفيق وهبه ، أ.د عامر النجار ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٤٢٦هـ ،٢٠٠٥م .

١٦٦- لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، محمد عجاج بن محمد تميم بن صالح بن عبد الله الخطيب ، ص٣٤٥ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط : ١٩ ، ١٤٢٢هـ

١٦٧- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ، لأبي العون محمد بن أحمد السفاريني ، مؤسسة الخافقين ومكتبتها ، دمشق ، ط:٢ ، ١٤٠٢ هـ.

١٦٨- النبوات ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان ، أضواء السلف، الرياض، ط:١ ، ١٤٢٠هـ.

١٦٩- نظم المتناثر من الحديث المتواتر ، لأبي عبد الله محمد بن أبي الفيض الحسني الإدريس(الكتاني) ، تحقيق :شرف حجازي ، دار الكتب السلفية ، الجيزة، ط: ٢

١٧٠- نواقض الإيمان القولية والعملية ، لعبد العزيز بن محمد العبد اللطيف ، مدار الوطن للنشر ، الرياض ، ط:٣ ، ١٤٢٧هـ.

١٧١- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، لمحمد الزرعي (ابن القيم الجوزية) ، تحقيق: محمد أحمد الحاج ، دار القلم ، دار الشامية ، جدة ، ط:١، ١٤١٦هـ.

١٧٢- الهداية الربانية في شرح العقيدة الطحاوية، لعبد العزيز بن عبد الله الراجحي ، دار التوحيد للنشر ، الرياض ، ط:١، ١٤٣٠هـ .

١٧٣- الوحي المحمدي ، لمحمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط:١، ١٤٢٦ هـ.

١٧٤- وقفات مع الفكر العقدي الوافد ومنهجية التعامل معه ، للدكتور فوز بنت عبد اللطيف كردي .

فهرس المحتويات

الفصل الأول :– المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بالله : ٣١